محي الدين توفيق ابراهيم

ابن السكيت اللغوي

رسالة ماجستير من
كلية الآداب بجامعة
القاهرة بدرجة إمتياز

الطبعة الاولى

١٩٦٩

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

Ibrāhīm, Muḥyī al-Dīn Tawfīq.

/Ibn al-Sikkīt al-lughawī./

محي الدين توفيق ابراهيم

ابن السكيت اللغوي

رسالة ماجستير من
كلية الاداب بجامعة
القاهرة بدرجة إمتياز

الطبعة الاولى

١٩٦٩

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

الاهـــداء

الى التي شاركتني عبء هذا الجهد منذ أن كان وليدا

حتى أصبح عملا علميا ثم مطبوعا جاهـزا للتـداول ،

الى زوجي المصون اهدي هذا الكتاب ...

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، والصلاة والسلام على أفضل من نطق باللسان العربي المبين .

وبعد : فموضوع هذا البحث ، امام من ائمة اللغة الذين افنوا حياتهم في جمعها وتدوينها ، وشدوا الرحال الى بوادي العرب ليشافهوا فصحاءها، ويأخذوا عنهم الفصيح من الكلام العربي ، ويرووا عنهم ادبا وشعرا ، ثم يعودوا الى حواضرها ليدونوا كل ما سمعوه فحفظوا لنا تراثنا الادبي واللغوي الخالد .

وقد دفعتني الى دراسة هذا الامام دوافع عديدة ، منها ايماني الصادق بان امتنا العربية صائرة لا محالة الى لم شملها ، وتوحيد اجزائها المبعثرة . فقد ظلت امتنا تعاني من ذلك الرقاد العميق بعد ان غربت شمس الحضارة عن بلادنا بفعل ذلك التخريب الذي نجم عن هجوم التتار وغيرهم عليها وتدميرهم لمعالم الحضارة والمدنية فيها . واذا كانت الوحدة العربية حتمية تاريخية ، فلابد ان نتهيأ لها وان نعد انفسنا لتحمل تبعتها العظيمة .

ومن اهم هذه التبعات العناية باللغة العربية واحياء آثارها واخراج كنوزها الدفينة كيما نعدها لتكون لغة العلم . فكثيرا ما نجد علماءنا يشكون من صعوبة تدريس العلوم باللغة العربية لافتقارهم الى المصطلح العلمي العربي الذي يتيح لهم تدريس هذه العلوم الحديثة .

وقد قامت جهود كبيرة محمودة في هذا السبيل تولته مؤسسات علمية كالمجامع العلمية واللغوية فى القاهرة ، ودمشق ، وبغداد لمواجهة هذه الحاجة وسد النقص الذي طرا على لغتنا العربية بعد ان كانت قرونا طويلة لغة العلم بغير منازع . ولاشك ان احياء كنوز اللغة العربية مما صنعه هؤلاء العلماء ، واخراجها من جديد ودراستها دراسة علمية حديثة من أهم مستلزمات هذه الحركة التي أشرنا اليها . ولاريب في ان ابن السكيت كان احد اولئك الذين تركوا لنا كنوزا عظيمة جمعت بين ثناياها مادة لغوية يمكن الافادة منها في هذا السبيل .

هذا ، ومن ناحية اخرى فان اكثر الدراسات التي قامت قديما وحديثا وتناولت خصائص اللغة والتي بلغت أوجها عند أبي على

الفارسي ، وابن جني ، وابن خالويه ، وغيرهم من علماء القرن الرابع ، انما بنيت على تلك المصنفات التي وضعها من سبقهم من اللغويين كالخليل ، وسيبويه ، والكسائي ، والفراء ، والاصمعي ، وابي زيد ، وابي عبيده ، وابن الاعرابي ، وابن السكيت ، وغيرهم . فلاسبيل اذن الى تقويم هذه الدراسات التي عرفها القرن الرابع الا باحياء ذلك التراث الذي بنيت عليه ودراسته دراسة علمية حديثة .

اما صلتي بابن السكيت فقد بدات منذ زمن طويل حينما كنت اراجع هذا الكتاب او ذاك من كتب اللغة ، وابحث عن لفظة غريبة في معاجمها ، فلفت نظري كثرة تردد اسمه في تلك الكتب والمعاجم . فلما تقدمت بي الدراسة وازداد اطلاعي على امهات الكتب العربية تبين لي ان لهذا الرجل كتبا كان لها اثر عظيم في الحياة الادبية واللغوية في حياته وبعد مماته ، كان بعضها موضعا للدراسة شرحا وتلخيصا وتهذيبا كما فعل باصلاح المنطق ، وكان بعضها حافزا لبعض التاليف المشابهة التي نسجت على منواله ككتاب الالفاظ ، وكان بعضها يمثل اقدم ما وصل الينا من الكتب التي تتعرض لبعض مشكلات اللغة وظواهرها كالاضداد ، والقلب والابدال وبذلك عقدت العزم على دراسة شخصية هذا الرجل ومنهجه ، وآثاره .

ولهذا كان من الطبيعي ان اقسم البحث الى بابين : ادرس في اولهما ابن السكيت ، وادرس في الآخر كتبه التي وصلت الينا . وقد قسمت الباب الاول الى ثلاثة فصول :

درست في الفصل الاول عصره من نواحيه السياسية والاجتماعية والعقلية .

وفي الفصل الثاني تعرضت لحياته منذ طفولته حتى مقتله ، والقيت الاضواء على شخصيته وثقافته . أما الفصل الثالث فقد خصصته لاحصاء آثاره الادبية واللغوية ، وما عمله من شروح لدواوين الشعراء الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين والعباسيين وكيف كانت طريقته في الشرح .

ويقع الباب الثاني في اربعة فصول . خصصت الفصل الاول لدراسة اصلاح المنطق والثاني لكتاب الالفاظ ، والثالث لكتابي الاضداد ، والقلب والابدال ، وكنت انوي ان اخصص لكل من هذين الكتابين الاخيرين فصلا خاصا ، غير ان اتفاق الكتابين من حيث انهما يتعرضان لظاهرتين من ظواهر اللغة العربية وهما التضاد ، والابدال جعلني اوثر دراستهما في فصل واحد .

وعند دراستي لهذه الكتب وجدت انه من الضروري دراسة ما قام حولها من دراسات ، وما نسج على منوالها او تاثر بها من كتب ، فاصلاح المنطق كما قلنا كان موضعا لدراسات عديدة لم يصل الينا منها الا قليل ، فتناولتها بالدرس وهي : جوامع اصلاح المنطق لزيد ابن رفاعة احد

مؤسسي المدرسة الفلسفية المعروفة باخوان الصفا ، ومختصر اصلاح المنطق للوزير المغربي ، وخلاصة اصلاح المنطق للراغب الاصفهاني ، وتهذيب اصلاح المنطق للخطيب التبريزي ، وتفسير ابيات اصلاح المنطق لابن السيرافي . وهذه الكتب اكثرها مخطوطة ، ولم يطبع منها سوى جوامع اصلاح المنطق ، وجزء من تهذيب التبريزي .

واما الالفاظ ، والاضداد ، والقلب والابدال وان لم تقم حولها دراسات كتلك التي قامت حول اصلاح المنطق ، فانها قد تركت اثارا كبيرة في الكتب المشابهة التي الفت فيما بعد ، ولذلك تناولت هذه الكتب بالدرس اكمالا للبحث . فمما لاشك فيه ان كتاب الالفاظ ترك اثرا كبيرا في ادب الكاتب لابن قتيبة ، والالفاظ الكتابية للهمذاني ، وفقه اللغة للثعالبي وقد درست هذه الكتب واثر كتاب ابن السكيت فيها وفي كتب الالفاظ بصورة عامة على ضوء ما انتهيت اليه من ان هذه الكتب تؤلف مدرسة قائمة بذاتها انفصلت عن كتب الصفات .

وقد وجدتني مضطرا في دراستي لكتابي الاضداد ، والقلب والابدال الى ان اقدم لكل منهما بدراسة موجزة لآراء علماء العربية قديما وحديثا في هاتين الظاهرتين : التضاد والقلب والابدال لنكون على بينة من حقيقتهما. ثم انتهيت الى دراسة الكتب المشابهة فتعرضت اولا لكتاب الاضداد المنسوب للاصمعي واثبت انه كتاب ابن السكيت نفسه ثم درست كتب السجستاني وابي بكر الانباري وابن الدهان والصفاني . ومن كتب القلب والابدال درست كتاب الابدال لابي الطيب اللغوي وبينت اثر كتاب ابن السكيت فيه ، وكذلك تناولت كتاب سر الليال في القلب والابدال لأحمد فارس الشدياق بالدرس .

أما الفصل الرابع فقد خصصته لدراسة مصادر ابن السكيت ومنهجه اللغوي وطريقته في التاليف ، ودراسات اخرى حول مصطلحه اللغوي والنحوي ، وضوابطه ، ومكانته العلمية . وكان لزاما علي ان اتعرض بشيء من الايجاز لمناهج الكوفيين والبصريين ومصادرهم وأيضا المدرسة البغدادية التي امتزجت فيها المدرستان بعد ذلك .

ثم كانت الخاتمة تلخيصا لهذا البحث ، وابرازا لأهم نتائجه .

وتنقسم مصادر البحث الى قسمين اساسيين :

الاول : يشمل كتب التراجم العامة والخاصة . فمن كتب التراجم العامة ما رتب على حروف المعجم كوفيات الاعيان ، وما رتب على سني الوفيات كمرآة الجنان لليافعي . واما كتب التراجم الخاصة فاقصد بها

التي ترجمت للادباء والنحويين واللغويين خاصة ، ومنها ما هو مرتب على حروف المعجم كانباه الرواة للقفطي ، ومنها ما هو مرتب حسب الطبقات كطبقات الزبيدي ، ومنها ماهو مرتب على سني الوفيات كنزهة الالباء لابي البركات الانباري . ولما كان ابن السكيت شيعيا ، وكان تشيعه سببا في مقتله فقد رجعت الى الكتب الخاصة بتراجم الشيعة ككتاب الرجال للنجاشي ، والكتب التي تفرعت عنه ككتاب تنقيح المقال في احوال الرجال للممقاني .

والقسم الثاني من المصادر يشمل كتب ابن السكيت نفسها التي وصلت الينا ، وما قام حولها من دراسات ، والكتب التي تشابهها على نحو ما بينا آنفا .

ومن بين هذه المصادر ماهو مخطوط ، وخاصة الكتب التي قامت حول اصلاح المنطق على نحو ما بينا آنفا ، وبعض كتب التراجم ، كطبقات النحويين لابن قاضي شهبة ، وبعض كتب التاريخ الهامة ، ككتاب عقد الجمان للعيني ، وغيرها من الكتب المخطوطة على نحو ماهو مبين في ثبت المصادر بآخر الكتاب . هذا بالاضافة الى المصادر الاخرى المطبوعة القديمة منها والحديث .

وهناك عشرات من الكتب رجعت اليها ولم اسجلها في ثبت المصادر لعدم ورودها في هوامش البحث .

وبعد ــ فلا يسعني الا ان اقدم جزيل شكري وامتناني لاستاذي الدكتور يوسف خليف لما بذله معي من جهود مخلصة ، ولارشاداته وتوجيهاته القيمة التي كان لها اكبر الاثر في اخراج هذا البحث ، واكماله على الوجه المطلوب .

كما اسدي جزيل شكري وامتناني ايضا للاستاذين الكبيرين الدكتور خليل يحيى نامي ، والاستاذ مصطفى السقا اللذين كنت اراجعهما بين حين وآخر في اثناء اشتغالي بهذا البحث فلم يبخلا علي بملاحظاتهما ، وارشاداتهما الثمينة . وكذلك اوجه شكري ، واعترافي بالجميل الى كل من ساعدني في عملي .

والله من وراء القصد ، ومنه التوفيق .

محيي الدين توفيق ابراهيم

الثلاثاء

٤ صفر ١٣٨٦ هجرية

٢٤ مايو (آيار) ١٩٦٦ ميلادية

البــاب الاول

ابــن الســكيت

عصره ـ حياته ـ آثــاره

الفصل الاول

عصـــره

١ ـ الحيـاة السيـاسـية

٢ ـ الحيـاة الاجتماعيـــة

٣ ـ الحيـاة العقليـــة

الفصـــل الاول

عصر ابــن السـكيت

١ - الحيـاة السياسـية :

ولد ابن السكيت في خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) ، وقتل فى خلافة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) ، فكانت حياتـه فى النصف الثاني من العصر العباسى الاول ، ذلك العصر الذي كان من أزهى العصور الإسلامية . بلغت فيه الامبراطورية الاسلامية اوج عظمتها ، وترامت اطرافها شرقا وغربا فطرقت أبواب الصـين ، وأبواب القسطنطينية . فهذا الرشيد قد ملأ الدنيا هيبة ، وبلغت الخلافة فى عهده فى نفوذها وسطوتها مبلغا عظيما خاصة بعد نكبة البرامكة .

على أن الرشيد على ما كان عليه من رجاحة فى العقل ، وحكمـة فى التفكير ، ارتكب خطأ كبيرا عانت منه الدولة كثيرا بعـد ذلك حين ولى العهد من بعده أولاده : الامين ، والمأمون ، والمعتصم .

وقد جر هذا الخطأ على الدولة كثيـرا من الويلات ، فما كاد الامين يتولى الخلافة حتى أخذ يعمل على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد[١] . واستغلت حاشيتا الاخوين هذه الثغرة وراحت بدافع من أطماعها ولما كان بينها من تنافس تزيد من شقة الخلاف بين الاخوين ، وتذكى نار الخصومة بينهما ، فأغرت الامين بخلع أخيه المأمون وشجعت المأمون على التصدي له وخلعه من الخلافة[٢] .

---

(١) اليعقوبي : ١٦٦/٣

(٢) المصدر السابق : ص ١٦٧

فكانت الفتنة التي قسمت البلاد وأهلها الى طائفتين تؤيد كل منها أحد الاخوين ، ونشبت الحروب واقتتل الناس ، ومات خلق كثير ، حتى انتهت بدخول جيوش المأمون بغداد من الشرق والغرب وقتل الامين(٣) .

بقى المأمون أول الامر فى خراسان ، ثم عاد الى بغداد سنة اربع ومائتين . ولم تكن الدولة في السنين الاولى من خلافته مستقرة ، بل كان عليه ان يواجه كثيرا من الثورات فى مختلف الانحاء ، ولكن الامر استتب له بعد ذلك ، فكان عهده كعهد ابيه ازدهارا وتقدما . فقد نبتت تلك البذور التي بذرت فى عهد أسلافه من الخلفاء العباسيين ، وأتت أكلها ثمارا يانعة ازدان بها العصر ، وكانت مفخرة من مفاخر العرب والمسلمين .

ثم جاء من بعده اخوه المعتصم الذي أدخل الاتراك الى الجيش ، وقلدهم المناصب الرفيعة ، وأغدق عليهم ، حتى طغوا وعاثوا فى بغداد فسادا ، فكانوا يسيرون بخيولهم فى شوارع بغداد وأسواقها فيتعرضون للنساء ويدهسون الاطفال ، فيثور أهل بغداد ويضربونهم أو يقتلونهم ، حتى ضاق الناس بهم ذرعا فقصدوا للمعتصم وشكوا اليه ما كانوا يقاسونه . فعزم المعتصم على الخروج من بغداد وأمر ببناء عاصمته الجديدة سامراء(٤) .

كان اعتماد المعتصم على العنصر التركي وبالا على الدولة فيما بعد وقد شعر هو نفسه بخطئه ، وخيبة أمله فيهم ، وشكا ذلك الى بعض خاصته(٥) .

---

(٣) اليعقوبي : ص ١٧١
(٤) ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢١١
(٥) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ٩/١١

وانتشر نفوذ الاتراك فى عهد الواثق ، وازدادت أقدامهم ثبوتا واستمر الامر كذلك فى خلافة المتوكل فعزم على التخلص من نفوذهم ، فأراد أن ينقل عاصمته الى دمشق حيث يمكنه الاعتماد على العرب والاستعانة بهم على التخلص من نفوذ الاتراك ، وقد نفذ ما عزم عليه ، فغادر سامراء فى أواخر سنة ٢٤٣ هـ . ودخل دمشق فى صفر من سنة ٢٤٤ هـ[٦] ، الا أن الاتراك أحسوا الخطر فعزموا على التخلص منه[٧] .

ويبدو ان المتوكل لم يطب له المقام في دمشق ، فقفل راجعا الى العراق بعد فترة وجيزة قضاها فى دمشق[٨] .

ووقع المتوكل فى نفس الغلطة التي وقع فيها الرشيد من قبل ، فأسند ولاية العهد من بعده الى أولاده : المنتصر ، والمعتز ، والمؤيد[٩] . الا انه لم يكن راضيا عن ابنه المنتصر فعزم على تقديم المعتز عليه[١٠] . واستغل الاتراك هذا وتآمروا مع المنتصر على قتل ابيه . وهكذا خضعت الخلافة للنفوذ التركي ، وضعف سلطان الخلفاء ، وأصبحوا العوبة بيد الاتراك يولونهم متى شاؤا ويعزلونهم متى أرادوا .

ولابد للباحث فى عصر ابن السكيت من ان يتعرض للعلاقة بين العباسين والعلويين ، فقد ذهب ابن السكيت نفسه ضحية للصراع الدامي الذي آلت اليه العلاقة بين البيتين .

قامت الدعوة العباسية على أساس ان آل محمد أحق بالخلافة من بني أمية .

---

(٦) اليعقوبى : ٢١٦/٣

(٧) المصدر السابق ، الموضع نفسه .

(٨) الطبري : ٥٥/١١

(٩) اليعقوبى : ٢١١/٣

(١٠) الطبري : ٦٢/١١

وما كاد الامر يتم ويقضي على دولة الامويين ، حتى شب الخلاف بين العباسيين والعلويين .

وبدأ هذا الخلاف نظريا ثم ما لبث ان تحول الى صـــراع دام فشبت الثورات عارمة يقودها العلويون . فكانت ثورة محمـــد النفس الزكية ، واخيه ابراهيم[١١] فى خلافة المنصور ، ثم ثورة يحيى بن عبدالله واخيه ادريس الذي تنسب اليه دولة الادارسة فى شـمالي افريقية فى خلافة الرشيد[١٢] .

وكان من ذلك أيضا أن قبض الرشيد على موسى الكاظم الامـام السابع من الائمة الاثنى عشر عند الشيعة الامامية ، وبقى فى الحبس حتى مات وقيل انه قتل[١٣] .

وقد أراد المأمون ان يضع حدا لهذا الصراع فأسند ولاية العهد الى علي الرضا بن موسى الكاظم[١٤] ، وزوج ابنته من محمـــد الجواد[١٥] . غير ان العباسيين فى بغداد لم يرضوا بذلك وكاتبـوا المأمون ، وثاروا عليه ، الا أن عليا الرضا مات بعد ذلك ، وقيـل أن المأمون دس له السم[١٦] ، واستمرت العلاقة بين العباسيين والعلويين حسنة حتى ولى المتوكل الخلافة ، وكان يكره آل علي ويحقـــد عليهم[١٧] وكان يجالس من يكرههم ويشجع على النيل منهم[١٨] .

وقد أمر بهدم قبر الحسين وحرث أرضه ســـنة ست وثلاثين

---

(١١) انظر تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن ١١٢/٢-١٢٥
(١٢) المصدر السابق ص ١٢٧ وما بعدها .
(١٣) اليعقوبى ١٤٥/٣
(١٤) الفخرى ١٩٨
(١٥) اليعقوبى ١٨٢/٣
(١٦) الفخرى ١٩٩
(١٧) الاصفهانى : مقاتل الطالبيين ٣٨٥
(١٨) تاريخ ابى الفداء ٣٨/٢

ومائتين[١٩] لما علم أن الناس يزورونه ، ويحجون اليه •

٢ ـ الحياة الاجتماعية :

كان لاتساع رقعة الدولة الاسلامية شرقا وغربا أن دخلت أمم عديدة تحت لواء الاسلام ، ودخل فيه منهم عدد عظيم لا يمتون الى العروبة بصلة • وحاولت الدولة الاموية اول الامر الاعتماد على العرب فحسب والاكتفاء بهم في بعض الشئون الفنية وابعاد غيرهم عن مناصب الدولة الرفيعة ، غير أن ذلك لم يدم طويلا لكثرة ما دخل في الاسلام من غير العرب وكان منهم فرس وهنود وروم ومغاربة وأقباط • وكانت لهؤلاء قبل الاسلام حضارات عريقة كان لها أثر كبير في حضارة الاسلام •

ولما قامت الدعوة العباسية كان عمادها الموالي من الفرس وخاصة اهل خراسان • فلما سقطت دولة بني أمية وجاء بنو العباس كان جل اعتمادهم على هؤلاء الذين ظاهروهم وحملوا لواء دعوتهم • أما العرب فما زال نفوذهم يقل حتى تغلب عليه نفوذ الفرس فى خلافة المأمون ، فقد قيل أن غلبة المأمون على الامين انما هي غلبة الفرس على العرب • وقد ساعد عى ذلك انقسام العرب على انفسهم الى يمنية ومضرية وما زال الخلاف يشتد بينهم ، والعصبية تقوى ، حتى قام بينهم النزاع المسلح فى كثير من بقاع الدولة الاسلامية التي ذهبوا اليها عند الفتح • وظل نفوذ الفرس يسيطر على شئون الدولة متمثلا فى وزرائها وكتابها وقوادها ، فكانت منهم بيوتات معروفة كان لها شأن كبير فى سياسة الدولة كالبرامكة وآل سهل وآل وهب وآل الخطيب وآل طاهر وغيرهم[٢٠] • وظل الامر كذلك حتى جاء المعتصم وكانت أمه تركية فقرب الاتراك وأدخلهم فى جيشه وبذل لهم العطايا

(١٩) تاريخ الطبرى ٣٦/١١

(٢٠) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ٢٧/٥

وأخرج العرب من ديوان العطاء ، وزاد نفوذ الاتراك فى عهده فطغوا وعاثوا في بغداد فسادا ، فكانوا ربما تعرضوا للنساء والاطفال ، فثار أهل بغداد وكادت تقوم فتنة لولا أن المعتصم أمر ببناء سرمن رأى ليبتعد بجنده اليها وليتخذ منها عاصمة لدولته •

أما المسلمون فقد انقسموا منذ أواسط القرن الاول الى شيعة وأهل سنة ، وكان الخلاف بادىء الامر سياسيا ، ثم ما لبث أن امتد الى نظرة كل منهم الى مختلف نواحي الحياة والدين • وما زال الامر يتفاقم والفرقة تشتد حتى شملت البلاد طولا وعرضا ، وقامت المجادلات والمناظرات بعد أن استأثر العباسيون بالحكم دون العلويين ، فقامت الثورات العلوية المعروفة كالثورات التي أذكى نيرانها محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم في عهد أبي جعفر المنصور ، والحسين بن علي فى عهد الهادي ، ويحيى وادريس ابنا عبدالله بن الحسن فى عهد هارون الرشيد[٢١] • ثم ما لبثت أن تغيرت نظرة الدولة الى الشيعة في خلافة المأمون فقربهم وقلد عليا الرضا أحد الائمة الاثنى عشر ولاية العهد ، وزوج ابنه محمد الجواد من ابنته ، وظل الامر كذلك حتى جاء المتوكل فانقلب عليهم وقرب أهل السنة على نحو ما رأينا سابقا •

أما أهل الذمة فهم اليهود والنصارى والمجوس والصابئة ، وكان لكل منهم رؤساؤهم الدينيون ، وكانت الدولة فى الغالب تتسامح معهم وتترك لهم حرية العبادة ، الا فى بعض العهود حين كان الخلفاء يتشددون فى معاملتهم ويفرضون عليهم بعض القيود وكان الرشيد أول من فعل ذلك من خلفاء بني العباس ، فقد أمر بهدم الكنائس فى الثغور وما بنى منها في الامصار بعد الفتح الاسلامي ، ثم أوصى بأخذ

(٢١) تاريخ الاسلام السياسي ٢/٢٩

أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم • وقد بلغت القيود التي وضعت على أهل الذمة أشدها فى زمن المتوكل الذي أمر النصارى واليهود بجعل صور شياطين من خشب على أبواب دورهم وبتسوية قبورهم مع الارض ، وأن تكون أرديتهم الخارجية من اللون الاصفر ، وأن يجعلوا خرقتين مختلفتي الصبغ على الثوب تلقاء الصدور ومن وراء الظهر ، وبتصيير رقعتين على ما ظهر من لباس مماليكهم يخالف لونهما لون الثوب الظاهر • ولم يرخص لهم الا بركوب البغال والحمير واتخاذ السروج من الخشب وبتصيير كرتين على مؤخر السروج[٢٢] • ومن الملاحظ أن هذه المعاملة القاسية التي كان يبديها بعض الخلفاء نحو أهل الذمة وخاصة اليهود والنصارى كانت تظهر فى أحوال سياسية خاصة ، وكان ذلك فى الغالب على أثر الغزوات التي كان يقوم بها الروم على بعض الثغور الاسلامية وفيما عدا ذلك كان أهل الذمة يتمتعون بالتسامح والمعاملة الحسنة ، وكان لكثير منهم نفوذ عند بعض الخلفاء • وازدهرت كنائسهم ودياراتهم وكان كثير منها فى العراق ومنها ما هو قريب من بغداد محاط بالحدائق والبساتين • وعلى العموم فقد كانت معاملة المسلمين للنصارى أحسن بكثير من معاملة الدولة الرومانية الشرقية ، فعندما احتل نقفور بلاد الشام اضطهدت كنيسته الرسمية اليعاقبة وغيرهم من الطوائف المسيحية ، وعانى نصارى الشام صنوف العذاب حتى اضطروا الى الخروج من انطاكية وشرد رؤساؤهم الدينيون وسجنوا واعدموا[٢٣] •

وكان المجتمع العباسي ينقسم من جهة أخرى الى طبقتين رئيستين هما الخاصة والعامة • أما الخاصة فهم الخليفة وأهل بيته ورجال

---

(٢٢) فيليب حتى وآخرون : تاريخ العرب مطول ٢/٤٣٣

(٢٣) آدم متز : الحضارة الاسلامية ١/٥٥

دولته وأرباب البيوتات وأتباعهم من جند وأعوان وموال • وأما العامة فهم ما دون اولئك من سائر أهل البلاد من صناع وتجار صغار وفلاحين •

كانت طبقة الخاصة تمتلك الثروات الطائلة والاراضي الشاسعة ، وكانت تعيش فى نعيم وبذخ ، في قصور شامخة بلغت آية في الفن والهندسة ، تحيط بها الحدائق الغناء ، وتمتلىء بالنفيس من الاثاث المجلوب من مختلف البلاد • وكانت هذه الطبقة هي المسيطرة على تجارة البلاد البرية والبحرية ، وقد اشتهر من هؤلاء التجار الكبار بيوتات معروفة كآل الجصاص في بغداد وأحمد بن عمار فى البصرة وكانوا يسيطرون على تجارة الهند والصين ، وبلغ من ثراء بعضهم أن كان محمد بن سليمان وهومن الاسرة العباسية يمتلك نيفا وخمسين مليون درهم غير الضياع والدور وكانت غلته مائة الف درهم في اليوم[٢٤] • ولعل أصدق مثل على ثراء هذه الطبقة الفاحش أن نذكر أن المأمون عندما عفا عن الفضل بن الربيع وزير الامين أعاد اليه ضيعة من ضياعه المصادرة • وكان مبلغ مالها ثلاثمائة ألف درهم وستين ألفا قدرها لقوته وقوت عياله • واهتم الخلفاء وغيرهم من الاغنياء ببناء القصور وكانوا متأثرين بالفرس[٢٥] فى بنائها وفى مظاهر البلاط فى ملبسهم ومآكلهم •

وكانت دور الاغنياء تقسم الى ثلاثة أقسام :

الحرم ، وغرف الخدم ، ومجالس الضيوف •

وكان يكتنف كل ذلك الحدائق الغناء المزروعة بانواع الشجر والورود والرياحين التي تحيط بها الاسوار •

أما دور العامة فلا تحيط بها أسوار ، تطل نوافذها على الشوارع

---

(٢٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ٢٧/٥

(٢٥) تاريخ الاسلام السياسي ٣٠٥/٢

حتى ليرى المار ما في داخلها[٣٦] . وكانت العامة تتألف كما قلنا من الصناع والحرفيين والتجار الصغار في المدن ، ومن الفلاحين في الارياف . وكان العيارون فئة من الطبقة العامة يتصفون بصفات خاصة ولهم لباسهم الخاص وكان لهم شأن عظيم في بعض الاحيان اذ كان يستعين بهم الخلفاء والأمراء عند قيام الفتن والمنازعات ، وقد استعان بهم الامين في حربه مع المأمون والمستعين في حربه مع المعتز ، وكان مثلهم الشطار غير أن هؤلاء كانت تغلب عليهم اللصوصية والفساد[٣٧] .

ومن ملامح المجتمع العباسي انتشار الاماء وكثرتهن واهتمام العامة والخاصة بهن ، وليس الاستكثار منهن حدثا في الاسلام ، وانما هو من بقايا التمدن القديم فقد كان ملوك الفرس والروم يتهادونهن وبلغت عدتهن عند بعض الاكاسرة ٦٠٠٠ جارية[٣٨] .

وقد كان الخلفاء يعنون باقتناء الاماء ، وامتلأت قصورهم بهن ، وكثيرا ما كان العمال والامراء يتقربون اليهم بالهدايا التي كانت تشمل فيما تشمل الجواري الحسان من مختلف الاجناس ، فقد أهدى ابن طاهر الى الخليفة المتوكل هدية فيها ٢٠٠ وصيفة ووصيف ، فلا غرو اذا تكاثرن في قصور الخلفاء والامراء وأهل الوجاهة . فكان لبعض بني العباس ألف جارية[٣٩] .

وكان لبعض جواري قصور الخلافة نفوذ كبير ، وكان نفوذهن يزداد حين يصبحن امهات أولاد ، ومنهن من كن أمهات لبعض الخلفاء كالخيزران أم الهادي ، والرشيد . ومراجل أم المأمون ، وماردة

---

(٢٦) المصدر السابق ، الموضع نفسه .
(٢٧) تاريخ التمدن الاسلامي ٥٢/٥ وما بعدها
(٢٨) المصدر السابق ٣٥/٥
(٢٩) المصدر السابق الموضع نفسه .

أم المعتصم ، وقراطيس أم الواثق ، وشجاع أم المتوكل[٣٠] فلما تعود الناس اقتناء الجواري اشتغل النخاسون فى استجلابهن من أقصى بلاد الترك والهند والكرج والخطا (الصين) وأرمينيا والروم والبربر والنوبة والزنج والحبشة صغارا وكبارا . وكانت تجارة الجواري أشد رواجا فى بغداد ، فكانوا يحملون اليها أجملهن خلقا وأذكاهن عقلا لما يتوقعونه من بيعهن بالاثمان الباهظة[٣١] .

وكان لمجالس الغناء والطرب أهمية كبيرة عند العباسيين فقد اهتم الخلفاء باختيار الندماء والمغنين والضاربين على الآلات الموسيقية ، وقد فاق هارون الرشيد أسلافه فى ذلك ، فقد كان مولعا بالغناء يجزل العطاء للمغنين والموسيقيين ، وقد برز فى مجالسه مغنون وموسيقيون كبار من أمثال ابراهيم الموصلي وابن جامع من المغنين ، وزلزل وبرسوم من الضاربين .

وكان الامين يجلس مع ندمائه فى مكان واحد . وكان من أعطى الناس وأوهبهم للاموال اذا شرب وطرب .

أمر مرة لابراهيم الموصلي بألف ألف درهم[٣٢] .

وكان المأمون والمعتصم يحبان الغناء وقد برز فى عهديهما اسحق ابن ابراهيم الموصلي .

أما الواثق فكان أتقن الخلفاء للغناء[٣٣] . وكان يقدر اسحق الموصلي ويعجب به .

وكان لانتشار النفوذ الفارسى في الدولة العباسية أثر كبير فى

---

(٣٠) ضحى الاسلام ١١/١

(٣١) تاريخ التمدن الاسلامي ٥/٣٥ـ٣٦

(٣٢) الاغاني ٥/٣٧٨

(٣٣) السيوطى تاريخ الخلفاء ص ١٣٦ وانظر اخبار غنائه والاصوات التي غناها في الاغاني ٩/٢٧٨ .

ظهور الازياء الفارسية فى البلاط العباسى • وفى بغداد أخذ الميـــل للازياء الفارسية ينمو ويطرد •

وكان اللباس الفارسى لباس البلاط الرسمي ، فقد قرر أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين لبس القلانس ، وهي القبعات السود الطوال المخروطية الشكل ، بصفة رسمية ، كما أدخل استعمال الملابس المحلاة بالذهب ، وغدا خلعها على الناس من حق الخليفـــة يتبين لنا ذلك جليا من العملة التي ضربت في عهد الخليفة المتوكل ، حيث تظهر صورته مرتديا ملابس فارسية حقيقية •

وكان اللباس العادي للطبقة الراقية فى العهد العباسى يشتمل على سروال فضفاض ، وقميص ودراعة وسترة وقفطان وقباء وقلنسوة • أما لباس العامة فيشتمل على ازار وقميص ودراعة وسترة طويلـــة وحزام • وكانوا ينتعلون الاحذية والنعال •

وكان الخلفاء يحتفلون بالعيدين احتفالا دينيا ، فيؤمون النـاس في الصلاة ، ويلقون عليهم خطبة في فضائل العيـد وما يجب علـى المسلمين اتباعه للمحافظة على شعائر الاسلام • ولا غرو فقـــد كانت مظاهر الاسلام تتجلى فى الاحتفال بهذين العيدين فى الامصـــار الاسلامية ، وعلى الاخص في بغداد وبيت المقـدس ودمشق • وكانت المدن الاسلامية وعلى الاخص مدينة بغداد ، تسطع فى أرجائها الانوار فى ليالي العيد ، وتتجاوب أصوات المسلمين بالتهليل والتكبيـــر وتزدحم الانهار بالزوارق المزينة بأبهى الزينات ، وتسطع من جوانبها أنوار القناديل ، وتتلألأ الانوار الساطعة من قصور الخلافة ، وقـد لبست الجماهير الطيالسة السود تشبها بالخلفـــاء العباسيين الذين اتخذوا السواد شعارا لهم • وكان بعضهم يتخذ بدل العمائم قلانس طويلة مصنوعة من القصب والورق مجللة بالسواد كذلك ، ويلبسون

بدل الدروع دراعات كتب عليها « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم »[٣٤] .

وفيما عدا هذين العيدين الاسلاميين كانت هناك أعياد أخرى يحتفل بها احتفالا عظيما وهي النوروز والمهرجان والرام . أما النوروز ومعناه اليوم الجديد فهو أول أيام السنة الفارسية وهو أول الربيع . والمهرجان آخر السنة ، وأما الرام فهو اليوم الخامس بعد المهرجان ، وهذه الاعياد مرتبطة ببعض الاساطير الفارسية القديمة . وكان العباسيون خاصة وعامة يحتفلون بهذه الاعياد ويتبادلون الهدايا النادرة ويخرجون الى الحدائق والبساتين يفرحون ويمرحون ويلبسون أبهى ملابسهم .

وقد فاقت مواكب الخلفاء العباسيين مواكب الامويين في الروعة والبهاء . ففي ايام الجمع يسير الحراس على اختلاف طبقاتهم في مقدمة موكب الخليفة حاملين الاعلام ، ثم يليهم امراء البيت العباسى على الخيول المطهمة ، ثم الخليفة ممتطيا جوادا شديد البياض ، وبين يديه كبار رجال الدولة . وكان الخليفة يلبس فى تلك المواكب القباء الاسود ويتمنطق بمنطقة مرصعة بالجواهر ، ويتشح بعباءة سوداء ، ويلبس قلنسوة طويلة مزينة بجوهرة غالية ، وبيده قضيب النبي صلى الله عليه وسلم وخاتمه ، ويتدلى على صدره سلسلة ذهبية مرصعة بالجواهر النفيسة . وكان من مظاهر سيادة الخليفة في بغداد أن يضرب على باب قصره بالطبول والدبادب والابواق فى اوقات الصلاة .

ومن أعظم مواكب الخلفاء العباسيين موكب الحج ، حيث يجتمع ببغداد الحجاج من مختلف الامصار الاسلامية الشرقية ، وخاصة أهل العراق وفارس وخراسان وغيرها ، وقد أعدوا عدتهم من الابل

---

(٣٤) تاريخ الاسلام السياسى ٢/٣١٥-٣١٦

والثياب والطعام الذي كان يتكون عادة من الاقراص المعجونة باللبن والسكر والكعك والفواكه اليابسة وغيرها من طعام الحاج ، ومعهم شرذمة من الجند لحراستهم • وتسير في مقدمة هذا الموكب هوادج تعلوها قباب مزينة بالديباج المطرز بالذهب يقيم في أحدها أمير الحاج(٣٥) •

٢ ـ الحياة العقلية :

رأينا ان اتساع رقعة الدولة الاسلامية بعد الفتوح التي أدخلت في الاسلام أمما مختلفة كثيرة منها ما كانت له حضارة عريقة ومنها ما لم يعرف الحضارة من قبل ، وكان من هؤلاء وهؤلاء الهنود والصين والترك والفرس والأرمن واليونان والرومان والآشوريون ، والكلدانيون والسريانيون والنبط والاقباط والبربر والاسبان والزنوج • وقد كانت سياسة الدولة الاموية منع العرب من الامتزاج بهذه الامم والمحافظة على العنصر العربي والسيادة العربية ، بيد أن هذا السد سرعان ما تجمع وراءه سيل جارف أغرق دولة بني أمية ومضى في طريقه عاتيا • فلما جاء بنو العباس فتحوا الباب على مصراعيه للموالي من الامم الاخرى وخاصة الفرس الذين كانت لهم في الدعوة العباسية اليد الطولى ، فاختلطت هذه الاقوام وامتزج بها العرب بالتزاوج والمجاورة •

وكان من أثر ذلك أن نمت الحضارة الاسلامية نموا يستدعى علما واسعا بكثير من شئون الحياة ، من هندسة وطب ونجوم ، ونظام حكم وفقه ، ولغة وأدب ، كان من أثر ذلك كله أن انتشرت في المملكة الاسلامية ثقافات مختلفة لامم مختلفة(٣٦) • وأهمها أربع ثقافات هي الثقافة الفارسية ، والثقافة اليونانية ، والثقافة الهندية ، والثقافة

---

(٣٥) تاريخ الاسلام السياسي ٣١٩/٢ •
(٣٦) أحمد أمين : ضحى الاسلام ١٦٢/١

العربيـــــة .

كان من أثر تولي الفرس لشئون الدولة العباسية وزراء وكتابـا أن شجعوا الثقافة الفارسية وأعانوا على الترجمة من لغـــة آبائهم ، وأخذ المثقفون ينقلون الى العربية ما حفظته العصور من تراث آبائهم وكانت لهم كتب فى التنجيم والهندســـة والجغرافية . وقد عقـــد ابن النديم[٣٧] فى كتابه الفهرست فصلا لاسماء النقلة من الفارســية الى العربية ، نذكر منهم :

١ ــ عبدالله بن المقفع
٢ ــ آل نوبخت
٣ ــ الحسن بن سهل
٤ ــ جبلة بن سالم
٥ ــ محمد بن الجهم البرمكي

أما تأثير الثقافة الهندية فى الثقافة الاسلامية والعربيـة فكان من ناحيتين : ناحية مباشرة ، وذلك باتصال المسلمين أنفسهم بالهنـد من طريق التجارة ، ومن طريق الفتح العربي . فان هذا الفتح صير ما فتح من بلاد السند جزءا من المملكة الاسلامية . وناحيـة غير مباشرة ، وذلك نقل ثقافتهم بواسطة الفرس ، فان الفرس اتصلوا بالهنـــود اتصالا وثيقا قبل الفتح الاسلامي ، وأثروا فيهم وتأثروا بهم[٣٨] .

وكان للثقافة اليونانية مراكز كثيرة في العراق والشام ومصر منها جند يسابور فى خوزستان وكان فيها مدرسة للطب وكنيسة مسيحية مستقلة هي الكنيسة النسطورية ، وحران القريبة من الرهـــا وبلاد الروم ، والاسكندرية التي نشـــأت فيها مدارس فلســـفية كثيرة كالافلاطونية الحديثة وغيرها . وكان من أثر هـــذه المراكز أن تأثرت

---

(٣٧) الفهرست صفحة : ١٧٧/١
(٣٨) ضحى الاسلام ١٣٣/١

الثقافة الاسلامية بالثقافة اليونانية على يد اولئك الاطباء والعلماء الذين كانوا يجيدون اليونانية ، فنقلوا الى العربية نفائس العلم اليوناني من طب وفلسفة ومنطق ، ويكفي أن نشير الى ما كان لمنطق أرسطو من أثر فى العلوم الاسلامية الاخرى كالفقه والنحو وعلم الكلام . فقد كان للقياس المنطقي أثر كبير فى توجيه هذه العلوم وتطويرها .

وجملة القول أن المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ماكان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والآداب عند سائر الامم المتمدنة فى ذلك . ولم يتركوا لسانا من ألسن الامم المعروفة اذ ذاك لم ينقلوا منه شيئا ، وان كان أكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية فأخذوا من كل أمة أحسن ما عندها ، فكان اعتمادهم فى الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان . وفى النجوم والسير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس . وفى الطب (الهندي) والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والاقاصيص على الهنود . وفى الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم على الانباط أو الكلدان . وفي الكيمياء والتشريح على المصريين . فكأنهم ورثوا أهم علوم الآشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود واليونان(٣٩) .

كانت أول عناية الخلفاء العباسيين موجهة الى الطب والتنجيم ، والسبب في ذلك الحاجة الماسة الى ذلك ، فالمنصور احتاج الى الطب لمرضه ، واحتاج الى التنجيم لانه كان يعتقد أن هناك ارتباطا بين حركات النجوم ومنازلها . وبين ما يحدث فى عالمنا من نحس أو سعد . ومن ذلك الحين صار الطب والتنجيم عملين رسميين ، يتولاهما رجال رسميون . فجورجيس بن جبريل بن بختيشوع

---

(٣٩) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٣٥/٢

الجند يسابوري صار طبيبا للمنصور ، ثم لما تقدمت به السن عين المنصور مكانه تلميذه عيسى بن شهلاثا . واتخذ نوبخت الفارسي منجما له ، فلما ضعف عين مكانه ابنه سهل بن نوبخت . ولما تولى المهدي اتخذ طبيبه عيسى الصيدلاني الملقب بأبي قريش ، واتخذ توفيل بن توما النصراني الرهاوي رئيسا لمنجميه . فلما تولى الرشيد اتخذ طبيبه بختيشوع بن جورجيس ، ويوحنا بن ماسويه النصراني . ولما استخلف المأمون كثر في بلاطه الاطباء والمنجمون ، فمن منجميه حبش الحاسب ، وعبدالله بن سهل بن نوبخت ، ومحمد بن موسى الخوارزمي ، وما شاء الله اليهودي ، ومن أطبائه سهل بن سابور ، ويوحنا بن ماسويه ، وجورجيس بن بختيشوع ، وعيسى بن الحكم ، وزكريا الطيفوري . فلما آلت الخلافة الى المعتصم كان طبيبه سلمويه ، ثم يوحنا بن ماسويه(٤٠) .

وقد ادى هذا الاهتمام بالطب والتنجيم ورعايتهما الى نقل العلوم الفلسفية وغيرها من العلوم ، ذلك أن الاطباء والمنجمين كانوا يجمعون الى علم الطب والتنجيم الفلسفة والهندسة والرياضة والموسيقى ، فقد كانت هذه العلوم تشكل وحدة ثقافية لا تتجزأ . ولذلك تولى الاطباء والمنجمون الذين رعتهم الدولة نقل كتب أخرى في غير الطب والتنجيم أو أشرفوا على نقلها ، فيوحنا بن البطريق (الطبيب) الترجمان مولى المأمون كان أمينا على ترجمة الكتب الحكمية حسن التأدية للمعاني ، وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب .

ومن أهم هذه العلوم المنقولة التي اهتم بها العرب والمسلمون علم المنطق فقد أقبلوا على دراسته واستيعابه ليتسلحو بالسلاح الذي شهره أعداء الاسلام من الزنادقة في وجوههم فكان علم الكلام الذي استخدمته مختلف الفرق الاسلامية فى الجدل وفى الرد على الزنادقة ،

---

(٤٠) احمد امين : ضحى الاسلام ١/٢٧١–٢٧٢

وقد أدى ذلك الى اختلاف كبير بين الاسلوب القرآني في الجدل وبين أسلوب المتكلمين فأنت ان قارنت بين أسلوب القرآن واسلوب المتكلمين ، وجدت فرقا كبيرا يمكنك أن تلخصه في أن أساليب المتكلمين جارية على أساليب منطق « أرسطو » وليس كذلك أسلوب القرآن •

وكان لعلم الكلام أثر كبير في ازدياد الجدل بين مختلف الطوائف الاسلامية • وقد شهدنا في هذا العصر ازدياد نفوذ المعتزلة وقوة شوكتهم وارتفاع شأنهم واستيلائهم على السلطان وخاصة في عهد المأمون الذي آمن بحركتهم وامتحن الناس بالقول بخلق القرآن(٤١) ، وهو احدى مقالات المعتزلة •

وظل نفوذ المعتزلة ساريا في زمن المعتصم الذى جارى أخاه في القول بخلق القرآن وامتحن العلماء فيه وضرب أحمد بن حنبل من أجل ذلك(٤٢) ، واستمر الامر كذلك في خلافة الواثق ، فلما جاء المتوكل منع القول به وشجع أهل السنة(٤٣) •

والى جانب هذه العناية الكبيرة بعلوم الاوائل العقلية ازدهرت في العصر العباسي الاول العلوم النقلية الدينية واللسانية • فقد ازدهرت العناية بالقرآن وقراءاته واشتهر قراء ثقاب من أشهرهم أبو عمر بن العلاء ، ويعقوب بن أبي اسحاق الحضرمي ويحيى بن الحارث الذماري المتوفى سنة ١٤٥ هـ ، وحمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ) في خلافة أبي جعفر المنصور ، وعلي الكسائى (ت ١٨٩ هـ) وأبو عبدالرحمن المقرى (ت ٢١٣ هـ) ، وخلف بن هشام البزار (ت ٢٢٩ هـ) • ويعد هارون بن موسى البصري الذي

---

(٤١) الفخرى : ص : ١٩٨ •
(٤٢) اليعقوبى ، ٣/١٩٨ •
(٤٣) المصدر السابق ، ص : ٢٠٩

كان مولى للأزد أول من حاول نقد القراءات المختلفة ، وبحث وجوه النظر التي تقوم عليها ، ونقد الاسانيد التي تستند اليها نقدا قويا وعلى الرغم من أنه كان قدريا معتزلا ، فقد قدره البخاري ومسلم ، ووثقه يحيى بن معين(٤٤) .

وكان لاشتغال المسلمين بالقرآن وقراءته أن احتاجوا الى تفسيره وتوضيح مشكله وغريبه ، فنشأ علم التفسير . والواقع ان المسلمين احتاجوا الى تفسير بعض آيات القرآن الكريم فى حياة الرسول وبعد مماته فكانوا يسألونه ويسألون صحابته من بعده ، وكان من أشهر الصحابة الذين ينسب اليهم تفسير القرآن عبدالله بن عباس ، وأثر عنه أنه قال : اذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا فى الشعر فان الشعر عربي ، حتى لقد كان يفسر كثيرا من الآيات القرآنية بألفاظ وردت فى الشعر الجاهلي . وسار على منواله تابعوه ومن جاء بعده الا أن كل ذلك كان يحدث من غير تنظيم . أماالطريقة المنظمة فى تفسير القرآن ، فانها لم تظهر الا فى العصر العباسى . ومن أول من وضع التفاسير أسحق بن راهويه(٤٥) ، والفراء وكتابه (معاني القرآن) من أقدم ما وصل الينا فى هذا العلم وقد رتبه حسب ترتيب الآيات .

اتجه المفسرون فى تفسير القرآن اتجاهين : يعرف أولهما باسم التفسير بالمأثور ، وهو ما أثر عن الرسول وكبار الصحابة . وقد اتسع على مر الزمن بما أدخل عليه من آراء أهل الكتاب الذين دخلوا فى الاسلام ، والذين كانت لهم آراء أخذوها عن التوراة والانجيل مثل كعب الاحبار اليهودي ، وعبدالله بن سلام . وابن جريج . « ولقد كان اسلام هؤلاء فوق التهمة والكذب ، ورفعوا الى درجة أهل العلم الموثوق بهم » ، كما كانوا يتخذون الشعر مرجعا للتفسير

---

(٤٤) تاريخ الاسلام السياسي ٢/٢٤٥

(٤٥) ابن النديم : الفهرست ١/٢٣٠

في استعمالاته اللغوية [٤٦] • وأصدق من يمثل هذا الاتجـاه فـي التفسير محمد بن جرير الطبري • والاتجـــاه الثاني هو التفسير بالرأي ومن أشهر مفسريه المعتزلة ، ومن أشهر مفسري المعتزلـــة أبو بكر الاصم (٢٤٠ هـ) وابن جرو الاســـدي (٣٨٧ هـ) ، ثم الزمخشري بعد ذلك •

امـا الحديث النبوى الشـريف فقد ظل محفوظـا في صدور الصحابة وتابعيهم ومن اخذ عنهم ، ولم تقم اية محاولة لجمعه وتدوينه الا في اواخر القرن الاول وعلى وجه التحديد في خلافة عمر بن عبـد العزيز الذى امر واليه على المدينة ابا بكر بن حزم ، بجمعه وتدوينه ، ويبدو ان ذلك لم يتم • وظلت الحاجة الى جمعه وتدوينه تزداد كلمـا تقدمت السنين ، وذهب حفظته وكثر وضعه ، ودب الخلل الى معانيه • فلما جاء العصر العباسي ، وانتصف القرن الثانى ، بدأ التأليف في الحديث كما بدأ في العلوم الاخرى ، ووجدت هذه النزعة الى تدوين الحديث في شتى الامصار الاسلامية ، ففي مكة جمع الحديث ابن جريج المتوفى نحو سنة ١٥٠ هـ (الرومي الاصل) ولم يوثقه البخاري وقال « انـه لايتابع في حديثه » ، وفي المدينة محمد بن اسحق (١٥١هـ) ومالك بن انس (ت ١٧٩ هـ) ، وبالبصرة الربيـع بـن صبيح (ت ١٦٠ هـ) ، وسعيد ابن أبى عروبة (ت ١٥٦ هـ) ، وحماد بن سلمة (ت ١٧٦) ، وبالكوفة سفيان الثورى (ت ١٦١ هـ) وبالشام الاوزاعى (ت ١٥٦هـ) وباليمن معمر بن راشد الصنعانى (ت ١٥٣ هـ) ، وبخراسان ابـن المبارك (ت ١٨١ هـ) ، وبمصر الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) • حتى اذا كان القرن الثالث نشطت حركة الجمع والنقد ، وتمييز الصحيـح من الضعيف ، وتشريح الرجال والحكم لهم او عليهم [٤٧] ، فكـان

---

(٤٦) تاريخ الاسلام السياسي ٤٤٢/٢

(٤٧) احمد امين : ضحى الاسلام ١٠٧/٢ ، ١٠٩

بذلك علم (التجريح والتعديل) علــى يدى يحيى بن معيــن [٤٨] •
وقد وضعت في هذا العصر أو بعده بقليل أشهر كتب الحديث قاطبة ، وهي (الموطأ) لمالك بــن أنيس (ت ١٧٩ هـ) ومسند ابــن حنبــل (ت ٢٤١ هـ) ، ثم كتب الصحاح الستة ، وهي جامــع الصحيــح البخارى (ت ٢٥٦ هـ) ، وصحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) ، وســنن ابن ماجــة (ت ٢٧٣ هـ) ، وسنن ابي داود (ت ٢٧٥ هـ) وجامــع الترمذى (ت ٢٧٩ هـ) ، وسنن النسائي (ت ٣٠٣ هـ) •

وكانت في العصر الاموى مدرستان للفقه ، وهما مدرسة اهــل الرأى ، ومدرسة اهل الحديث • وقد تجلى ذلك بوضوح في آخــر العصر الاموى ، واول العصر العباسي ، وزاد الخلاف بين المدرستين وتميزتا على مرور الزمان ، وكان يمثل أهل الرأى العراقيون وخاصــة الكوفيين وكان يمثل أهل الحديث الحجازيون وخاصــة المــدنيين • ويرجع هــذا الخلاف بين المدرستين الى اختلاف الحيــاة في الحجــاز والعراق • فعلى حين كانت الحياة في الحجاز بسيطة غير معقدة ، بلغت في العراق حدا من التعقيد لتقدمه في مضمار الحضارة ولانه بلد تكثــر فيه العناصر الاجنبية بحضاراتها الجديدة على العرب • أضف الــى ذلك التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التــي حدثت فيــه مما جعل الحاجة تزداد الى استنباط القوانين الشرعية التي تنظم كــل ذلك • ولذلك لم تعد الاحاديث تفى بهذا الغرض ، وكان لابد مــن القياس • وقد شهد هذا العصر أيضا ظهــور امامين آخرين من أئمــة التشريع الاسلامي وهما الشافعي وابن حنبل وادركه أيضا من قبلهمــا أبو حنيفة ومالك وفي هذا العصر الذى نؤرخه دونت المسائل الفقهية وفتاوى بعض الصحابة والتابعين ، ووضعت فيه امهات كتب الفقه علــى

(٤٨) وفيات الاعيــان : ٥/١٠٩

المذاهب الاربعة (٤٩) .

العربية وعلومها وآدابها :

وجد العرب أنفسهم بعد الفتوحات الاسلامية واتساع رقعة الدولة ازاء امم تنطق بلسان غير لسانها لها ثقافات واسعة ، وحضارة عريقة ، وحاولت الدولة الاموية أن تقي العنصر العربي من الاختلاط بهذه الامم ، وان تحتفظ بالدماء العربية نقية ، الا ان محاولاتها هذه سرعان ما انهارت امام ذلك المد الجارف الذى تكون بدخول اعداد كبيرة لاتحصى تحت ظل الدولة الاسلامية . وما زال الاختلاط بين العرب وغيرهم يسير ببطء خجلا متوانيا طوال عهد الامويين حتى وجدناه يشتد ويقوى بانهيار دولتهم ، وقيام دولة العباسيين التى اعتمدت في دعوتها وقيامها على الموالى وخاصة الفرس منهم ، كما رأينا سابقا .

وكان من اثر هذا الاختلاط بالامم غير العربية ان تأثر اللسان العربي ، وكان بديهيا ان يحدث ذلك وخاصة فى المدن التي اختلطت فيها هذه الاقوام كالبصرة والكوفة . وتدل الاخبار التى وصلت الينا على أن البصرة في أواخر العصر الاموي كانت تشيع فيها الالفاظ الفارسية ، يدل على ذلك احتفاظ اسماء بعض احيائها بالمقطع الفارسى (آن) كمهلبان ، وأميتان ، وجعفران ، وعبدالرحمانان ، وخالدان ، وطلحتان ، ورباط عبادان (٥٠) .

وكانت الالفاظ والاساليب الفارسية تشيع في كلام اهلها (٥١) . وأدى ذلك الى نشوء لغة تفاهم يتكلم بها سكان المدن ، واستعانت هذه اللغة بابسط وسائل التعبير اللغوى ، فبسطت المحصول الصوتى ، وصوغ القوالب اللغوية ، ونظام تركيب الجملة ، ومحيط المفردات ،

---

(٤٩) انظر احمد امين : ضحى الاسلام ٢/١٥١ وما بعدها .

(٥٠) معجم البلدان ١/٦٤٤

(٥١) يوهان فك : العربية ص ١٧ .

وتنازلت عن الاعراب. وتلك هي الامور التي اطلق عليها الفصحاء من العرب اسم اللحن ، ونستطيع أن نصنفه في ثلاثة انواع ، لحن في مخارج الحروف ، ولحن في تركيب الجمل ، ولحن في الاعراب .

أما اللحن في مخارج الحروف فقد انتشر بانتشار الفتوحات واختلاط العرب بالامم الاخرى . وممن اشتهربذلك الشاعران : زياد الاعجم ، وابو العطاء السندى ، والمحدثان : مكحول ، ونافع . ولكن هذا اللحن لم يقتصر على الاجانب ، بل تسرب الى ألسنة بعض العرب ، كعبيد الله بن زياد .

وانتشر اللحن التركيبي بين الطبقة الوسطى من الشعب كما في قصة التاجر الذى باع جنود المسلمين دواب رديئة فاستجوبه الحجاج ، فاجابه : « شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مدانيها ، وكما تجيء تكون » . أي شركاؤنا بالاهواز والمدائن يبعثون الينا بها ، فنحن نبيعها عى وجوهها . ثم انتقل الى الطبقات العليا ، من أمثال : خالد ابن عبدالله القسرى ، وعبيدالله بن زياد ، والحجاج ، فقد قال اولهم في فزعه : « اطعمونى ماء » وقال ثانيهما : « افتحوا سيوفكم » (أى سلوها) وقال لسويد بن منجوف : « اجلس على است الارض » ، وكان ثالثهم يلحن لحنا خفيا : «يزيد حرفا » وينقص حرفا ، ويجعل ان في موضع أن ، وأن في موضع ان » .

وشاع اللحن الاعرابى حتى شمل بعض رؤساء وكبار القوم كالمغيرة بن عبدالرحمن القرشي ، وبشير بن مروان ، والحجاج ، والوليد بن عبدالملك ، واخيه محمد ، وغيرهم : وشمل كل من وفد الى المدن من العرب (٥٢) .

واستمر اللحن في الفشو في خلافة العباسيين ، ولم يسلم منه كبار الادباء والعلماء كحماد الراوية ، وابى شيبة ابراهيم بن عثمان

---

(٥٢) انظر حسين نصار : المعجم العربى ١/٢٣-٢٤

قاضي واسط ، وشبيب بن شيبة الخطيب المشهور ، والكسائي والفراء ، وابى عبيدة وغيرهم • ومما يدل على شيوع اللحن وانتشار العجمة بين العامة والخاصة ، اننا نسمع في هذا العصر عن أشخاص اعجب بهم الناس لسلامة لغتهم وخلو لسانهم من اللحن والعيب ، كأبى سعيد المعلم مربى المهدى والهادى ، وابى زيد الانصارى ، وغيرهما (٥٣) •

وقد ادى كل هذا الى ظهور حركة « تنقية اللغة » ، وقد ظهرت بوادرها مع ظهور اللحن وشيوع الخلل في اللسان العربي منذ العصر الاموى ، ولذلك أخذنا نسمع منذ ذلك الحين عن محاولات لضبط اللغة ، وانصبت هذه المحاولات في الغالب على منع اللحن في قراءة القرآن فكان بذلك النقط الاعرابي للقرآن الكريم على يدى أبى الاسود الدؤلي والنقط الاعجامى على يدى نصر بن عاصم ، هذا التنقيط الذى ادى الى ظهور الحركات على يدى الخليل • وقد تبع ذلك دراسة اللغة واستقراؤها ، ومحاولة وضع قواعدها •

وقد وجد العلماء الذين اشتغلوا بحركة التنقية هذه ان اللغة السليمة الفصيحة يجب ان تطلب في مظانها الاصيلة في بوادى العرب حيث الحياة على طبيعتها ، والاعراب على سجيتهم لم يتأثروا بالحضارة ولم يختلطوا بالاعاجم ، فلم يفسد لسانهم • ولذلك شد كثير من أئمة العربية الرحال الى الصحراء وأخذوا العربية من افواه فصحائها ، ثم عادوا الى مدنهم يحملون ثروة لغوية كان لها رواج عظيم في اسواق العلم بالبصرة والكوفة ، ثم بغداد من بعدهما • ووضعت الكتب الضخام التي تضم بين طياتها مفردات العربية واقوال العرب وامثالهم واشعارهم • وقد عرف من هؤلاء العلماء أبو عمرو بن العلاء ، والخليل والكسائي ، والاصمعي ، وابو عمرو الشيباني ثم صاحبنا ابن السكيت ، وغيرهم ممن ندين لهم بهذه المرويات الضخمة من أدب ولغة •

---

(٥٣) يوهان فك : العربية ص ٥٣

والى جانب هذا كانت هناك رحلة فصحاء الأعراب الى الأمصار الاسلامية للميرة ولعرض مادتهم اللغوية على العلماء فالرحلة اذن ليست من جانب واحد • وفي الفهرست لابن النديم اسماء كثير من هؤلاء الاعراب الفصحاء الذين اخذ عنهم اللغة اهل الأمصار : بصريين وكوفيين وبغداديين • وقد استمر تعويل العلماء على فصاحة هؤلاء الاعراب الى عصر ابن جني المتوفى سنة ٣٩٤ هـ •

ويرى الاستاذ احمد امين ان هذه الحركة ، حركة جمع اللغة وتدوينها سارت في مراحل ثلاث :

المرحلة الاولى : جمع الكلمات حيثما اتفق ، فالعالم يرحل الى البادية يسمع كلمة في المطر ، ويسمع كلمة في اسم السيف ، وأخرى في الزرع والنبات ، وغيرهما في وصف الفتى أو الشيخ ، الى غير ذلك • فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب الا ترتيب السماع •

المرحلة الثانية : جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضوع واحد •• والذي دعا الى هذا فى اللغة ـ على ما يظهر ـ انهم رأوا كلمات متقاربة المعنى ، فأرادوا تحديد معانيها ، فدعاهم ذلك الى جمعها في موضع واحد •• وتوجت هذه المرحلة بكتب تؤلف في الموضوع الواحد ، فألف أبو زيد كتابا في المطر ، وكتابا في اللبن • وألف الاصمعي كتبا كثيرة صغيرة ، كل كتاب في موضوع •

المرحلة الثالثة : وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ، ليرجع اليه من أراد البحث عن معنى كلمة (٥٤) •

الا انه سرعان ما يلاحظ ان هذه المراحل الثلاث لم تكن مرتبة هذا الترتيب الزمني فالخليل واضع الفكرة الثالثة ، كان أسبق زمنا من ابي زيد والاصمعي واضعي الفكرة الثانية (٥٥) • الا ان بعض

---

(٥٤) ضحى الاسلام ٢٦٣/٢

(٥٥) المصدر السابق ص : ٢٧٠

الباحثين يفسر ذلك بان الثلاثة تعاصروا زمنا طويلا ؛ فالخليل عاش من (١٠٠ — ١٧٥) ، والاصمعي من (١٢٢ — ٢١٣) ، وابو زيد توفي (سنة ٢١٥) عن بضعة وتسعين عاما • فقد عاشوا زمنا طويلا ، وربما سبق الاصمعي ، وابو زيد بالتأليف في المفردات ، وبأن الخليل على ماعليه اكثر المحققين وضع الفكرة فقط ، ولم يستطع ان يملأها وينفذها من قاربه في الزمن مثل الاصمعي ، وابى زيد ، لان فكرة الخليل كانت طفرة في التفكير ، وكانت قبل زمانها ، فلم يستطع ان يملأها وينفذها الا من اتى بعده ، وبعد الاصمعي ، وابى زيد • لهذا لاتزال فكرة التسلسل معقولة صحيحة [٥٦] • على اننا يجب ان نلاحظ ان الانتقال من مرحلة الى مرحلة اخرى من هذه المراحل الثلاث لا يعني ان المرحلة التي قبلها قد انتهت ، فالرسائل اللغوية مثلا استمرت في الظهور حتى بعد ظهور المعاجم ، وربما استمرت الى وقتنا هذا •

وقد دفع انتشار اللحن من ناحية اخرى الى ظهور علم النحو باستقراء اللغة ووضع قواعدها ، وكان اول المشتغلين به بصريين ، ثم شاركهم في ذلك الكوفيون ، وقام خلاف بين المدرستين لاختلافهما في المنهج ولتباين مصادرهما • وسنتعرض لهذا الخلاف فيما بعد ، ويهمنا ان نعرف هنا ان هذا الخلاف كان له بعض النتائج الخطيرة لما أدى اليه من تنافس بين المصرين ، واندفع منتسبو كل من المدرستين الى تجريد المجلدات ، وتصنيف الكتب في دراسة العربية وقواعدها حتى قامت المدرسة البغدادية ، في القرن الثالث على أساس التوفيق بين آراء المدرستين • وكان اول تأليف علمي درست فيه قواعد اللغة ودونت كتاب سيبويه الذى هو في حقيقة الامر خلاصة دراسات علماء العصر •

---

(٥٦) المعجم العربى ٣٤/١

ويهمنا هنا ايضا ان نعرف ان الكوفيين اعتمدوا القياس على الشاذ ، ولذلك كثرت عنايتهم بالرواية . ومن هنا أيضا كثر عندهم الاهتمام باشعار العرب . وعرف منهم رواة كبار كالمفضل الضبى ، وابى عمرو الشيبانى ، وابن الاعرابى ، وابن السكيت . على ان العناية بالرواية لم تقف عندهم فحسب ، بل اننا نجد ان كثيرا من البصريين عنوا بها ايضا ، ورووا لنا كثيرا من أشعار العرب وآدابهم كأبى زيد ، والاصمعي ، وابى عبيدة ، وغيرهم . وعلى العموم كان هذا العصر عصر رواية ، وحفظ ، وجمع ، وتدوين ، ثم دراسة وتقعيد .

ولم يقتصر التطور والتجديد على الحياة العلمية في هذا العصر . بل تعداها الى الحياة الادبية . بل ان الادب كان اسرع الى التأثر بروح العصر من العلم بحكم انه مرآة الحياة ولسانها المعبر . وقد ادى ظهور جيل جديد من المولدين ممن امتزجت في عروقهم دماء العرب بدماء الاعاجم وتفاعلت فيهم الثقافات العربية ، والفارسية ، والاغريقية ، والهندية ، الى تغير النظرة الاجتماعية الى مختلف شؤون الحياة ، فلم يعد المجتمع عربيا صرفا يحمل تلك النظرة القبلية المثالية التي تمثل البدوي بصفاء نفسه وبساطة تفكيره ، فقد تعقدت الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وكان لابد ان ينعكس كل ذلك على الادب شعرا ونثرا .

وقد ظهرت في هذا العصر طبقة من الشعراء المولدين الذين تطور على ايديهم الشعر العربى في شكله ومضمونه ، فقد ظهرت قوالب شعرية جديدة لم تعرف في العصر القديم فاخذنا نسمع عن المزدوجة ، والرباعى او الدوبيت ، والموشح [٥٧] . وتطور الاسلوب فتخلص من التعقيد والاغراب ، ومال الى السهولة والرقة ، ويتجلى كل ذلك في شعر بشار ، وابى نواس ، والعباس بن الاحنف ، وغيرهم من شعراء ذلك

(٥٧) يوهان فك : العربية ص : ٩٥ وما بعدها

العصر .

ولم يشمل هذا التطور الذي طرأ على الشعر العربي الشكل فقط ، بل تعداه الى المضمون فاتسع الخيال الشعري وتنوعت اغراضه، ومن أهم مزايا الشعر في هذا العصر المبالغة في التعبير وخاصة في المدح وكثرة الاهتمام بوصف الخمر ، وغزل الغلمان وشيوع شعر المجون ، ووصف الرياض والازهار (٥٨) .

ولم يكن حظ النثر باقل من حظ الشعر ، فقد تطورت الكتابة في هذا العصر تطورا عظيما ، وتأثرت بما ترجم من ادب الفرس ، والهنود ، ويتجلى ذلك فيما ترجم ابن المقفع عن الفارسية ، فقد حاول هذا الكاتب الكبير ان يبلغ في البيان والبلاغة ونصاعة الاسلوب حدا كبيرا ، ولكنه مع ذلك كان يتوخى السهولة والبساطة على نحو ما وجدنا في شعر بشار . وتوالت بعد ذلك الاعمال الادبية ، وتنوعت فنون النثر . وقد عرف هذا العصر كاتبا من اعظم كتاب العربية ، وهو الجاحظ الذى ترك آثارا عظاما تدل على سعة في الثقافة ، وعمق في التفكير بالاضافة الى نصاعة الاسلوب ، وجمال العبارة . ولم يكن ابن المقفع ، والجاحظ الاديبين الوحيدين اللذين عرفهما هذا العصر ، بل عاصرهما عدد كبير من الكتاب والخطباء .

---

(٥٨) انظر فى تفصيل ذلك جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٤٣-٢٥ .

الفصـل الثـاني

حيـاتــه

١ ـ نسـبه وأسـرتـه
٢ ـ مولـده ونشـأتـه
٣ ـ شـخصيتـه
٤ ـ تشـيعه
٥ ـ ثقـافتـه
٦ ـ شـعره
٧ ـ شـيوخـه
٨ ـ معـاصـروه ..
٩ ـ تـلاميـذه
١٠ ـ مقتلـه

الفصـــل الثــاني
(حيــاتــه)

١ ـ نســبه وأسرته :

أ ـ نسبه :

لم تزد المصادر التي ترجمت لابن السكيت على ذكر اسمه واسم أبيه ولقبه . فهو لدى اوائل الذين ترجمـــوا له : « ابو يوسف بن اسحاق السكيت[١] » او هو : « يعقوب بن اسحاق بن السكيت ابو يوسف » في بعض المصادر المتأخرة الاخرى[٢] . وانفرد ابن الاثيـــر بذكر اسمه ونسبه كما يلي : « يعقوب بن اسحاق بن يوسف المعروف بابن السكيت[٣] » . ومن الواضح أن كلمة (ابن) الثانية محرفة عن (أبو) بدليل أن ابن الاثير لم يذكر كنيته .

أما (السكيت)[٤] فهو لقب لابيه[٥] لانه كان كثير الســـكوت طويل الصمت .

ويبدو أن ابن السكيت لم يكن عربي الاصل ، فقد كان أبوه خوزيا من احدى قرى دورق بالاهواز ، وقد ذكر ذلك بنفسه حين سأله الفراء عن نسبه[٦] . مما جعل الفراء يستحي ويعتكف في بيته أربعين يومـــا

---

(١) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢١ ، النجاشي : كتـاب الرجال ٢ـ٣١٢

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٤ : ٢٧٣ ، السيوطي : بغيـــة الوعاة ٢ـ٣٤٩ ، ابن شـــاكر الكتبي : عيـــون التواريخ ص ٦١١ ومخطوطه الذهبي : سير اعلام النبلاء : ٨ : ١٥٠ (مخطوطة) .

(٣) التاريخ الكامل : ٧ـ٥٥

(٤) على وزن فعيل (بكسر الفاء وتشديد العين وكسرها) العيني : عقـد الجمان ١٣ـ١٧١

(٥) ابن النديم : الفهرست ١ـ٧٢ ، ياقوت : معجم الادباء ٢٠ـ٥٠ ، ابن عبدالمجيد اليمني : اشارة التعيين ص : ٥٩ (مخطوطة)

(٦) فهرست ابن النديم ١ـ٧٢ ، تاريخ بغداد ١٤ـ٢٧٣ ، وفيات الاعيان ٥ـ٤٣٩

لا يغادره فلما سأله اصحابه عن سبب ذلك قال : « سبحان الله أستحي من السكيت لاني سألته عن نسبه فصدقني فى ذلك وفيه بعض القبح[٧] » . فأي قبح فى هذا النسب ؟ يبدو أن الخوز كانوا معروفين ببعض الصفات الذميمة ، فذكر ياقوت الحموي أنهم كانوا : « معروفين بالبخل والحمق وسقوط النفس ، ومن أقام بها سنة نقص عقله » ، وأنهم كانوا : « ألأم الناس وأبخلهم[٨] .. » بل ان دورق التي ينتسب الى احدى قراها هي أيضا معروفة بقبح صفات أهلها فأهلها قليلو الغيرة[٩] .

ويزعم بروكلمان[١٠] أن ابن السكيت من أصل آرامي ولم يذكر الى أي شيء استند في هذا الزعم فمن المعروف أن الخوز[١١] كانوا

---

(٧) الفهرست ١ـ٧٢

(٨) معجم البلدان ١ـ٤١٢

(٩) نفس المصدر ٢ـ٦١٨ . يقول ياقوت : « وفى أهلها سماحة ليست في غيرهم من أهل الاهواز ، واكثر نسائها لا يرددن كف لامس واهلها قليلو الغيرة » .

(١٠) تاريخ الادب العربي ـ ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ٢ـ٢٠٥ .

(١١) سكان اقليم خوزستان ويقابل الاقليم القديم سوسيانا وهو يعرف الآن رسميا باسم (عربستان) والسبب فى هذه التسمية أن قبائل كعب وبني لام البدوية قد اجتاحوا سهول هذا الاقليم المحلة . وكان هذا الاقليم في العهد الساساني مندمجا في الاقاليم الجنوبية (نيم ـ روز) وقد انشأ سكانه من النصارى اقليما كنسيا اسمه (بيت هوزاني) قصبته (بيت لاباط) التي عرفت فيما بعد بجنديسابور (جنديسابور) عند العرب . وفتح العرب هذا الاقليم عام ١٩ هـ ، (٦٤٠ م) . والسكان فيه قبيحو المنظر سيئو الخلق محبون للنزاع والخصام جشعون وبشرتهم في لون النحاس وهم نحاف خفاف اللحى ، أما شعرهم فكث ولعلهم بقايا الزنوج الذين سكنوا هذا الاقليم من قبل وكانوا لا يزالون يتحدثون بلغة خاصة (خوزي) ليست بهندية ولا اوربية ولا سامية ولعلها بقايا لغة الانزانيت او العلابيين .
ويقال ان بقايا هذه اللغة باقية في لغة أهل دزفل .
(انظر (دائرة المعارف الاسلامية . مادة خوزستان ٩ : ٣٨ـ٣٩) .

يتكلمون لغة خاصة « ليست بهندية ولا أوربية ولا ساميـــة[١٢] » •
ومهما يكن أصل هذه اللغة فان ابن السكيت لم يكن عربيا ، وهـــذا
يفسر لنا عدم ذكر المؤرخين نسبه •

ب ـ اسرتـــــه :

كان أبوه اسحاق السكيت من أصحاب الكسائي [١٣] ثم الفراء [١٤]
من بعده • وكان عالما فاضلا ، وكان يعقوب يقول : « أنا أعلم من أبي
بالنحو وأبي أعلم مني بالشعر واللغة »[١٥] • وكان معلمـــا للصبيان
بدرب القنطرة ببغداد[١٦] • وقد أخذ عنه جماعـــــة من العلماء منهم
أبو حنيفة الدينوري[١٧] •

أما أمه فليس من الواضح الى من تنتســـــب • أهي خوزية ؟ أم
عربية ؟ أم فارسية ؟ أم غير ذلك ؟ هذا ما لم يتحدث عنـــه من ترجموا
له • غير انه يقال انها عاشت حتى مقتل ابنها من قبل المتوكل فقيل انه
بعث اليها بديته على نحو ما ذكر السيوطي[١٨] • وفيما عدا هـــــذه
الاشارة العارضة الى أمه لم يرد ذكرها في أي موضع آخر مما بـين
أيدينا من كتب التاريخ والتراجم • وأغلب الظن ان ما جاء في السيوطي
ليس صحيحا لان كافة المصادر الاخرى تجمع على أن الدية أرســـلت
الى ابنه وليس الى أمه فلعل في ذلك تحريفا •

---

(١٢) المصدر السابق .
(١٣) الفهرست ١ـ٧٢ ، معجم الادباء ٢٠ ـ ٥٠ ، نزهة الالباء ص : ٢٣٨
(١٤) الفهرست ١ـ٧٢ .
(١٥) الفهرست ١ـ٧٢
(١٦) تاريخ بغداد ١٤ـ٢٧٣ ، نزهة الالباء ص : ٢٣٨
(١٧) الفهرست ١ـ٧٨
(١٨) السيوطي : بغية الوعاة ٢ـ٣٤٩

ويبدو أنه كان لابن السكيت أولاد[١٩] منهم يوسف وقد كتب له آذ يعيش حتى نادم المعتضد[٢٠] (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ) وكان عالما راوية يروي أخبار العلماء[٢١] .

ولكن من هم أولاد ابن السكيت الآخرون ؟ وكم عاشوا ؟ هذا أيضا لم تذكره المراجع على أن الانباري[٢٢] يتحدث عن أحـــد النحويين الذين صنفوا فى النحو واللغة كتبا عديدة اسمه احمد بن السكيت ولم يشر الى أنه يمت الى عالمنا اللغوي بصلة الرحم . أفهو مجرد اتفاق فى الالقاب لاتفاق فى الصفات ؟

هذا كل ما توفر عن اسرة ابن السكيت ونسبه .

٢ ـ مولده ونشـــأته :

أ ـ مولـــده :

لم تحدد كتب التراجم تاريخ ميلاد ابن السكيت كعادتها في أكثر الاحيان حين تهمل ذكر تاريخ ميلاد من تترجم له ، فلم يبق لدينا الا أن نتعرف على هذا التاريخ بعد التثبت من تاريخ وفاته ومن عمره .

وأما عمره ففيه روايتان : الاولى رواية الزبيـــدي عن أبي جعفر أحمد بن محمد بن نصر الضبعي أنه قال : « لم يكن يعقوب بلـــغ ثمانين[٢٣] » . والرواية الثانية : ما ذكره الخطيب البغدادي من أنـــه

---

(١٩) ابن العماد : شذرات الذهب ٢ـ١٠٦

(٢٠) الفهرست ١ـ٧٢

(٢١) القفطي : انباه الرواه ٢ـ١٥٨

(٢٢) نزهة الالباء ص ٣٠٥ .

(٢٣) طبقات النحويين واللغويين ص : ٢٢٣ (مخطوطة)

« قد بلغ ثمانيا وخمسين سنة[٢٤] » وتابعه في ذلك ابن خلكان وأبو الفداء[٢٥] • وفرق ما بين الروايتين • ويبدو أن رواية الزبيدي قد حصل فيها حذف وتحريف أي سقطت كلمة (وخمسين) وحرفت (ثمانيا) الى (ثمانين) ذلك لان كل الدلائل تشير الى ان ابن السكيت لم يطل عمره حتى بلغ الثمانين • فقد كان من أصحاب ثعلب وقد عاشا معا ردحا من الزمن كانا يحضران فيه مجالس الشيوخ • ومن المعلوم أن ثعلبا ولد سنة مائتين[٢٦] • وقد قتل ابن السكيت في سنة ثلاث وأربعين ومائتين أو سنة ست وأربعين ومائتين ، فلو كان ما رواه الزبيدي عن عمره صحيحا فانه يكون قد ولد في سنة مائة وثلاث وستين أو سنة مائة وست وستين ، ويكون الفرق بين عمريهما على هذا قريبا من اربع وثلاثين سنة ، أو سبع وثلاثين سنة وهو فرق كبير من الصعب أن يكون بين رجلين ترافقا واغترفا من مناهل العلم معا بل ان هذا يعني أن ابن السكيت أسن من بعض شيوخه أو يقاربهم في العمر فلم يبق الا رواية الخطيب التي يذكر فيها أن ابن السكيت بلغ ثمانيا وخمسين سنة • واذا كان ابن السكيت قد قتل في سنة ٢٤٦ على وجه الترجيح كما سنرى فيما بعد فان مولده يكون سنة ١٨٨ وهو تاريخ قريب من تاريخ مولد صاحبه ثعلب •

ويبدو أنه ولد في بغداد بدرب القنطرة حيث كان أبوه يعلم الصبيان وحيث ترعرع وشارك أباه في هذه المهنة الى أن اضطر الى الكسب فتعلم النحو[٢٧] •

---

(٢٤) تاريخ بغداد ١٤ـ٢٧٤

(٢٥) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٣ ، تاريخ أبي الفداء ٢ـ٤١

(٢٦) انباه الرواة ١ـ١٤٤ •

(٢٧) تاريخ بغداد ١٤ـ٢٧٣

ب ـ نشـــــأته :

لم يكن ابن السكيت اديبا كاتبا أو شـــــاعرا حتى نستطيع أن نستخلص من كتبه أو شعره شيئا ما عن نشأته وتدرجه فى مراحـــــل حياته ، بل كان عالما لغويا وكتبه جميعها لا تخرج عن هذا الباب حتى تلك التي شرح فيها شعر الشعراء • فلا مناص اذن من الاعتمـــاد على تلك النتف المبثوثة هنا وهناك فى كتـــب التراجم والتي يمكن أن تلقي ضوءا على بعض مراحل حياته وحتى هذه الكتب لم تتحدث الا عـــــن النزر اليسير من أخباره وتنقلاته • وعلاقته بالمجتمـــــع الذي حوله ، وأكثر ما تورده انما يدور حول حياته بعد أن ذاع صيته وطـــــارت شهرته فى الآفاق •

بدأ حياته مؤدبا مع أبيه لصبيان العامـــــة بدرب القنطـــــرة ببغداد[٢٨] ويبدو أن هذه المهنة لم ترضه ولم توفر له اسباب العيش الرغيد فأراد أن يجد له عملا فاتجه الى تعلم النحو واللغة واتصل بأهل درب القنطرة فأجروا له بعض المال[٢٩] أعانـــــه على ما يبدو على الاستمرار فى الاغتراف من مناهل العلم والتتلمـــــذ للشيوخ الذين اتصل بهم منذ حداثة سنه كالفراء وأبي عمرو الشيباني[٣٠] ، ويقـــول هو نفسه أنه كان يأخذ من أبي عمرو الشيباني هذا وهـــو صبي[٣١] • ثم ارتحل الى البادية وسمع من فصحاء الاعراب[٣٢] •

---

(٢٨) تاريخ بغداد ١٤ـ٢٧٣

(٢٩) المصدر السابق : الموضع نفسه

(٣٠) معجم الادباء ٢٠ ـ ٥٠

(٣١) الفهرست ١ـ٦٨

(٣٢) أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين لوحة ١٥٦ (مصـــــورة) ، الفهرست ١ـ٧٢

ثم اتصل بعد ذلك ببشر بن هارون[٣٣] وأخيه ابراهيم[٣٤] كاتبي محمد بن عبدالله بن طاهر [٣٥] • فما زال يختلف اليهما والى اولادهما دهراً فاحتاج ابن طاهر الى رجل يعلم ولده وجعل ولده في حجر ابراهيم ثم قطع ليعقوب رزقا خمسمائة درهم ثم جعلها ألف درهم [٣٦] • وهكذا تدرجت به الحياة حتى وصلت به الى هذه المنزلة الرفيعة ويبدو أنه انقطع عن حضور مجالس شيوخه قبل ارتحاله الى سامراء واتصاله بمحمد بن عبدالله بن طاهر وكاتبيه • وكان ذلك استجابة لنصيحة صديقه الحميم ثعلب [٣٧] • وما زال يتصل بكبار رجالات القصر العباسي كمحمد بن الزيات [٣٨] الذي أجرى عليه ألفي درهم [٣٩] • ثم اتصل بالواثق[٤٠] وكان يحضر بعض مجالسه ثم اتصل بالفتح بن

---

(٣٣)، (٣٤) لم اعثر لهذين الكاتبين على ترجمة في المراجع المتوفرة . غير أن الطبري ذكر في حوادث سنة ٢٤٩ انهما كانا نصرانيين ، وان العامة انتهبت بيتهما بعد هجوم الروم على بعض الثغور الجزرية وقتلهم المسلمين هناك .

(٣٥) هو الامير محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي الخراساني وجده طاهر بن لحسين هو قائد المأمون المشهور ، ولاه المتوكل على بغداد ، وعظم سلطانه في دولة المعتز الى ان مرض بالخوانيق . ومات سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وكان جوادا أديبا شاعرا .

(انظر فوات الوفيات ٣-٣٠٤ ط . دمشق) .

(٣٦) تاريخ بغداد ١٤-٢٧٣

(٣٧) القفطي : انباه الرواة ١-٢٧

(٣٨) هو ابو جعفر بن عبدالملك بن الزيات . كان جده من قرية (دسكرة) بناحية جبل وقد وزر للمعتصم والواثق وكان أديبا شاعرا بليغا عالما بالنحو واللغة الا انه كان قاسيا غليظ القلب قتله المتوكل سنة ٢٣٣ هـ .

(انظر وفيات الاعيان ٤-١٨٢)

(٣٩) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢٣

(٤٠) المصدر السابق صفحة ٩٤ .

خاقان[٤١] الذي أوصله الى المتوكل فاختاره مؤدبا لولديه المعتز والمؤيد واختصه لمنادمته[٤٢] وما زال على تلك الحال حتى قتل على نحو ما سنرى فيما بعد .

٢ ـ شخصيته :

اول ما يلاحظه الباحث في شخصية ابن السكيت جانبان لايخلوان من تناقض ، فهو متواضع في بعض الاحيان الى درجة انه لايتردد في ابداء رغبته في التعلم من زميل له اصغر سنا مثل ثعلب[٤٣] .

اما الجانب الآخر فهو اكثر وضوحا في معالم شخصيته وفيه يبدو ابن السكيت معتدا بنفسه الى درجة الغرور . قال ثعلب[٤٤] : « كان يعقوب بن السكيت مقداما جسورا على العلماء يتوردهم بالاشياء للنضل الذي كان يحس من نفسه » وقد اوقعه هذا الغرور في مآزق حرجة مع شيوخه ، ومن ذلك ماجرى له مع ابن الاعرابي ، قال ثعلب[٤٥] في رواية له عما جرى في احد مجالس ابن الاعرابي : « قال ابن الاعرابي يقال اضرب الرجل اذا أقام في بيته ولزمه ، فقال له يعقوب : « من يحكى

---

(٤١) هو وزير المتوكل كان ذكيا فطنا وكان من أولاد الملوك وكان يحضر دائرة فصحاء العرب والعلماء الكوفيين والبصريين وكانت له خزانة كتب لم ير اعظم منها كثرة وحسنا . قتل مع المتوكل سنة سبع واربعين ومائتين .
(انظر معجم الادباء ١٦ـ١٧٤)

(٤٢) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢١ .

(٤٣) في مراتب النحويين « لوحة ٥٤ـ٥٦ » قال ثعلب : كنت عند يعقوب يوما فسألني عن شيء فصحت وكان ثعلب شديد الحدة فقال لاتصح فوالله ما سألتك الا مستفهما .

(٤٤) الزجاجي : مجالس العلماء ص ٤٤

(٤٥) المصدر السابق ، الموضع نفسه

هذا أصلحك الله ؟ » فأقبل عليه ابن الاعرابي فقال ما اشد حاجتك الى من يعرك اذنك ثم يصفعك » .

ولم يكن ابن السكيت على مثل هذه الجرأة والاقدام على ابن الاعرابي فحسب ، بل لم يدع احدا من شيوخه الكبار الا وكانت له مثل هذه الحادثة التي كانت مع ابن الأعرابي ، وقد وقف وقفة المتحدي أيضا امام شيخه ابى نصر صاحب الاصمعي فغلطه في مسائل حتى اضطره الى الرد عليه بقسوة أشد من قسوة ابن الاعرابي [٤٦] . ومثل هذا حدث له ايضا مع الاثرم [٤٧] واللحياني [٤٨] .

ونستخلص من هذا كله أنه كان على شيء كبير من الغرور كان يدفعه الى ان يتعالم على أشياخه ويتطاول عليهم . فمنهم من كان يردعه حتى يستخذي ويستكين . كما جرى له مع أبى نصر صاحب الاصمعي ، ومنهم من كان يتحملها منه كما فعل الاثرم ، واللحياني ويبدو أن هذا الاعتداد بالنفس جعله يقعد عن مجالس العلماء [٤٩] قبل أوانه ويطلب الرياسة بسرعة » [٥٠] بل انه كان يترفع عن الجلوس مع العامة في مجالس العلماء فقد طلب من ابي عبيد ان يقرأ عليه كتابه « الغريب المصنف » فأبى وطلب منه ان يحضر مع العامة فغضب ابن السكيت واخذ يطعن في علمه [٥١] .

ويبدو ان هذا النزق او هذا التسرع قد اوقع ابن السكيت في مشاكل كثيرة بل أنه كان السبب المباشر في قتل المتوكل اياه ، وليس

---

(٤٦) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين / ١٩٧ــ١٩٨
(٤٧) الفهرست ١ــ٥٦
(٤٨) تاريخ بغداد ٢٧٣/١٤ ــ ٢٧٤
(٤٩) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي صفحة ١٩٧ــ١٩٨
(٥٠) الفهرست صفحة : ٥٦
(٥١) القفطي : انباه الرواة

من المهم معرفة حكايته ها هنا بل تكفي معرفة مدى تسرع ابن السكيت واندفاعه وطيشة حتى لو اخذنا باقل الروايات تخفيفا لاجابته للمتوكل عندما سأله عما اذا كان ولداه المعتز والمؤيد أفضل أم الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) فقد غض ابن السكيت عن ولديه وذكر الحسن والحسين بما هما أهله [٥٢] • وهي اجابة فيها طيش واندفاع وهو يعلم ان المتوكل شديد الحقد على آل علي بن أبي طالب وقد بلغ من حقده هذا أن أمر بهدم قبر الحسين وكرب أرضه [٥٣] وحتى في نظر الشيعة الامامية يعد هذا الموقف اندفاعا وطيشا بعيدا عن مبدئهم (التقية)[٥٤] ، وهو اخفاء العقيدة في القلوب اتقاء لشر السلطان •

واذا كان ابن السكيت على هذا القدر من النزق والغرور فهو لايخلو من كثير من الصفات الحميدة الاخرى • فقد كان دينا ، خيرا ، ثقه عند أهل الرجال [٥٥] • وكان ثقة فيما يرويه [٥٦] حتى انه ترك ماحفظه عن شيخه قطرب عندما علم انه يكذب في اللغة [٥٧] وامانته العلمية واضحة في كل كتبه ، وتبدو للدارس من ذلك الحرص الشديد على نسبة كل قول الى قائلة وكل رواية الى صاحبها حتى اكتظت صفحات كتبه باسماء اللغويين والفصحاء فكاد ذلك يخل بالمعنى في بعض الأحيان كما سنرى فيما بعد •

واذا صح لنا أن نستخلص بعض صفاته من شعره فانه يبدو لنا كما سنرى فيما بعد عند الحديث عن شعره مؤمنا شديد الايمان

---

(٥٢) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص : ٢٢١ـ٢٢٢
(٥٣) أبو الفرج الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص : ٣٨٥ـ٣٨٦
(٥٤) المقاني : تنقيح المقال ٣ـ٣٣٥
(٥٥) المصدر السابق : الموضع نفسه
(٥٦) تاريخ بغداد ١٤ـ٢٧٣
(٥٧) معجم الادباء ١٩ـ٥٢

بربه لا يسلم بالنوائب والخطوب ولا يقنط منها حتى يأتيه الغوث من اللطيف المستجيب ، وهو طموح لم تثنه عن تحقيق آماله المصاعب او الشدائد ، وهو أبي لا يرضى المقام في الضر ولا يعد الارتحال في طلب الغنى سفرا ، بل السفر عنده أن يقيم الانسان في الضر ، ويبدو في شعره أيضا سيء الظن بالناس بحيث لا يتصور حبهم الا لمنفعة فاذا لم يجدوها انصرفوا لا يأبهون بمن كانوا يحبون .

هذا ما يمكن للباحث ان يتعرف عليه من جوانب شخصية ابن السكيت ، ولا شك ان هناك جوانب أخرى لازالت مجهولة لا يمكن القول فيها بشيء حتى تتوفر مصادر أخرى تعطي معلومات كافية وتوضح بعض ما خفي من طباعه وميوله وسلوكه في الحياة .

٤ - تشيعه :

اما تشيعه فهو أمر لاشك فيه نص عليه اغلب من ترجموا له ، ويقول النجاشي انه كان مقدما عند أبي جعفر الثاني وابي الحسن عليهما السلام وكانا يختصانه وله عن ابي جعفر عليه السلام رواية ومسائل [٥٨] ويبدو ان أبا جعفر الثاني ، وابا الحسن هما محمد الجواد [٥٩] وعلي الهادي [٦٠] من الائمة الاثنى عشر . وقصة مقتله

---

(٥٨) النجاشي : الرجال ٢-٢١٢

(٥٩) هو ابو جعفر بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر المعروف بالجواد . وهو الامام التاسع من الائمة الاثنى عشر . توفي ببغداد ودفن عند جده موسى بن جعفر رضي الله عنهم اجمعين سنة عشرين ومائتين وقيل تسع عشرة ومائتين (انظر وفيات الاعيان ٣-٣١٥) .

(٦٠) المقاني : تنقيح المقال ٣-٣٢٩

هو أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد ويعرف بالعسكري وهو أحد الائمة الاثنى عشر . ولد سنة اربع وقيل ثلاث عشرة ومائتين .

وتوفي ب (سر من راى) سنة اربع وخمسين ومائتين .

(انظر وفيات الاعيان ٢-٤٣٤) .

معروفة ويرجع سببها الى تشيعه ومن المؤرخين من يعزو سبب مقتله الى أنه أنشأ ابياتا من الشعر شهر فيها بني العباس عندما هدم المتوكل قبر الحسين رضى الله عنه وهي قوله :

تـا الله ان كانت اميـــة قـد أتـت
قتـل ابـــن بنـت نبيهـا مظلـومـا
فلقـد اتـــاه بنـو ابيـه بمثلـــه
هـــذا ، لعمـرك قبـره مهـدومـا
أســفوا علـى الا يكونـوا شـاركوا
فـي قتلـــه فتتبعـوه رميمـا [61]

على ان هذه الابيات تروى ايضا لاحمد بن علي [62] . فهناك شك في ان تكون سببا مباشرا لمقتل ابن السكيت ، كما سنرى فيما بعد لانه قتل بعد هدم قبر الحسين بما لايقل عن سبع سنوات على اقرب الروايات . ومهما يكن من شيء فان تشيع ابن السكيت هو السبب الحقيقي لمقتلـه .

ه ـ ثقافتـــــه :

ابن السكيت من علماء اللغة الكبار الذين ساهموا في روايـة اللغة وجمعها وتدوينها . سمع اللغة من فصحاء الاعراب ومن شيوخ العربية في زمانه ، كالفراء وأبى عمرو الشيباني ، وابن الاعرابي وغيرهم ، وأكثر مابرز فيه رواية اللغة والشعر ومعظم كتبه تدل على هذا وقد عرفه أهل زمانه بذلك حق المعرفة حتى قال فيه ثعلب : « أجمـــع

---

(٦١) تاريخ الذهبي ــ حوادث سنة ٢٣٦
(٦٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢ـ٢٨٤

اصحابنا انه لم يكن بعد ابن الاعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت[٦٣] ، وكان ثعلب أيضا يعده أميرا للمؤمنين في اللغة [٦٤] • وكان لكتابه (اصلاح المنطق) شهرة كبيرة حتى قال فيه المبرد [٦٥] : « مارأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب ابن السكيت في (المنطق) » • وكان العلماء يهتمون به وقد عنى به كثير من اللغويين فشرحوه ولخصوه وهذبوه وفسروا شواهده ورتبوه على حروف المعجم [٦٦] • على نحو ماسنرى فيما بعد •

اما علمه بالنحو فلم يكن في درجة علم الفراء وثعلب الا انه مع ذلك كان عالما بنحو الكوفيين [٦٧] وكان اعلم به من ابيه كما حدث هو عن نفسه • الا ان بعض القدماء زعم انه كان يضعف فيه على ان الدارس لكتبه لايخرج بهذه النتيجة ، فهو يفهم مسائل النحو ومصطلحه فهما جيدا ، وربما تعرض لبعض هذه المسائل في كتبه ، ويبدو انه كان دارسا لنحو الفراء كما يظهر ذلك مما نقله عنه في بعض كتبه على نحو ماسنرى • اما انه لم يصل في علمه بالنحو الى مستوى ثعلب او الفراء فهذا لايعني انه كان يضعف فيه ، غير ان طابعه اللغوى كان يغلب عليه فقد كان شيخ حفظ ورواية كما تدل عليه كتبه •

وهنا يجدر بنا ان نتعرض لحكاية تطالعنا في بعض كتب التراجم ، فقد زعموا أنه لم يستطع ان يزن كلمة (نكتل) في قوله تعالى : (فارسل معنا أخانا نكتل)[٦٨] عندما طلب منه المازني ان يزنها • قيل انابن السكيت قال ان وزنها (نفعل) فلما تبهه المازني الى ان ماضي (نكتل)

---

(٦٣) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤١
(٦٤) تاريخ بغداد ١٤ـ٢٧٤
(٦٥) المصدر السابق ، الموضع نفسه •
(٦٦) كشف الظنون ١ـ١٠٨
(٦٧) الفهرست ١ـ٧٢
(٦٨) سورة يوسف آية ٦٣

لبس (كتل) قال ابن السكيت وزنه (نفتعل) [٦٩] . ولا ادرى كيف جازت هذه الحكاية على بعض من نقلها ممن ترجموا له وفيهم العالم المحقق ، اذ كيف نسلم بان ابن السكيت عجز عن وزن هذه الكلمة وهو الذي صنف كتابه (اصلاح المنطق) وجعل ابوابه الاولى مبنية على الاوزان كباب فَعْل وفِعْل ، وباب فِعِل وفَعْل ، وباب فَعْل وفِعْل وفُعْل ، وغيرها من الابواب التي تدل على تضلعه في هذا الباب من أبواب المعرفة بل اننا نستطيع ان نورد أمثلة كثيرة من هذا الكتاب وهو من اوائل كتبه كما سنرى ، تدل على انه لم يكن عاجزا عن وزن مثل هذه الكلمة البسيطة . من ذلك قوله : « ويقال هي الثندوة ، بالفتح وترك الهمز ، والثندؤة بالضم والهمز ، فاذا همزت فهي فُعْلُلَة ، وأذا فتحت فهي فَعْلُلَة . أو فَعْلُوة [٧٠] . » وانظر اليه كيف تنبه الى وزن (آرىٌ) فقال : « وآرىٌ من الفعل فاعول » . والآرىٌ محبس الدابة [٧١] . وانظر اليه ايضا كيف تنبه الى صيغة (افتعل) من الفعل (ألى) فقال : « لا دريت ولا ائتليت ، هي (افتعلت) من قولك ما ألوت هذا ولا استطعته » [٧٢] . ثم انظر الى قوله تعليقا على بيت الهذلي :

رويد عليٍ جَدَّ ما ثدى أمهم
الينا ولكن ودهم متماين

« يريد متفاعل من المين وهو الكذب [٧٣] »

أفنشك بعد هذه الامثلة وغيرها مما نستطيع ايراده ها هنا في أن

---

(٦٩) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص : ٩٤

(٧٠) الاصلاح ص ٣١٣

(٧١) المصدر السابق ، الموضع نفسه

(٧٢) المصدر السابق ص ٣٢١

(٧٣) شرح ديوان عروة بن الورد ص ٤٣ ورواية سيبويه لهذا البيت (رويد عليا ..) بالنصب . الكتاب ١ـ١٢٤

ابن السكيت لم يستطع ان يزن (نكتل) ؟ . أضف الى هذا كله ان هذه الحكاية التي تحكى عنه يسودها الاضطراب ، فقيل آنها حدثت في مجلس الواثق [٧٤] ، وقيل أنها حدثت في مجلس وزيره ابن الزيات [٧٥] ، وهناك قول آخر يدعى انها حدثت في مجلس المتوكل [٧٦] ، بل أن هناك رواية تدعى أنها لم تحدث في مجلس أحد من هؤلاء ، بل حدثت بينما كان ثعلب عند ابن السكيت فجاءه أحد غلمان المازني فسأله عن وزن تلك الكلمة [٧٧] . وهذا كله ان دل على شيء فانما يدل على ان الحكاية مبالغ فيها بل لعلها مختلقة من الاصل .

وكان ابن السكيت كوفيا ، قال أبو الطيب اللغوى [٧٨] : «وانتهى علم الكوفيين الى أبى يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت وأبي العباس أحد بن يحيى ثعلب الشيباني » ومما يدل على أنه كوفي ما رواه أبن دريد [٧٩] » قال : « رأيت رجلا في الوارقين بالبصرة يقرأ كتاب المنطق لابن السكيت ويقدم الكوفيين ، فقلت للرياشي وكان قاعدا في الوراقين ما قال فقال : انما أخذنا اللغة من حرشه الضباب وآكلة اليرابيع . وهؤلاء أخذوا اللغة من أهل السواد آكلة الكوامخ والشواريز وكلام يشبه هذا [٨٠] » ويبدو أنه أخذ مذهبه الكوفى عن أبيه ، فقد كان

---

(٧٤) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص ٩٤

(٧٥) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ٢٢٢–٢٢٣

(٧٦) القفطي : انباه الرواة ١/ ٢٥٠–٢٥١

(٧٧) أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين لوحة ٥٤–٥٦ (مخطوطة)

(٧٨) مراتب النحويين لوحة ٥٤–٥٦ (مخطوطة)

(٧٩) هو أبو بكر محمد بن الحسن صاحب جمهرة اللغة كان عالما بالعربية والانساب والشعر اخذ عن ابي حاتم السجستاني والرياشي واخذ عنه ابو سعيد السيرافى وابو عبدالله المرزباني .
وتوفي سنة ٣٢١ (انظر ترجمته فى نزهة الالباء صفحة : ٣٢٢–٣٢٦)

(٨٠) الفهرست ١–٥٨ ، والحرشة : جمع حارش اي آكل . والكوامخ : جمع كامخ معرب كامه وهو مخلل يشهي الطعام . والشواريز : جمع شيراز وهو اللبن الرائب المصفى ماؤه .

هذا من تلامذة الكسائي والفراء كما قلنا سابقا وقد أخذ ابن السكيت نفسه عن الفراء وابن الاعرابى وهما من هما بين علماء الكوفة • الا ان أبن السكيت كان يروى عن البصريين أيضا فهو يحكى عن الاصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد الانصارى (٨١) ويتجلى ذلك في كتبه كما سنرى فيما بعـــد •

ويذكر ابن النديم (٨٢) أن ابن السكيت كان عالما بالقرآن غير أنه لايوجد في ثبت كتبه التي ذكرها هو وغيره (٨٣) من المتقدمين مايدل على أنه ألف شيئا في علوم القرآن الا أن ابن شاكر الكتبي وصاحب هدية العارفين(٨٤) ذكرا له كتابا اسمه « غريب القرآن » ولم يؤيدهما في ذلك احد ، ويبدو أن ابن النديم استنتج هذا بعد أن اطلع على كتب ابن السكيت حيث يعتمد فيها على ألفاظ القرآن الكريم في الاستشهاد علـى مايرويه •

٦ ـ شـــعره :

ولابن السكيت شعر تروى بعض الكتب قطعا قليلة منـــه وهو ـ كما يقول ابن خلكان ـ « مما تثق النفس به » (٨٥) • ويدل على أنه له موهبة للشعر الجيد •

ودراسة هذه القطع القليلة من الشعر قد تضيف الى معرفتنـــا شيئا عن نظرته الى الناس كقوله :

(٨١) مراتب النحويين لوحة ١٥٦

(٨٢) الفهرست ١ـ٧٢

(٨٣) انظر ثبت كتب ابن السكيت في الفهرست ١/٧٢ـ٧٣ ، ومعجـم الادباء ٢٠ـ٥٢ ، ووفيات الاعيان ٥/٤٤٢ـ٤٤٣

(٨٤) هدية العارفين ٢ـ٥٣٦ ، عيون التواريخ ٦١٢

(٨٥) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٢

ومن الناس من يحبك حبا
ظاهر الحب ليس بالتقصير
فاذا ما سألته عشر فلس
ألحق الحب باللطيف الخبير (٨٦)

وهذان البيتان يدلان على سوء رأيه في الناس فهم لايحبون الا لمنفعة فاذا وجدوا ذلك أحبوا والا فسرعان ما ينفضون عمن أحبوا ، ويتخلون عنه ساعة الشدة •

وابن السكيت طموح ، لايحذر المقادير في تحقيق آماله ، وهو يقبل على تحمل المصاعب في سبيل ذلك • وهو أبى لايرضى المقام في الضر ولا يعد الارتحال في طلب الغنى سفرا ، بل السفر عنده أن يقيم الانسان في الضر ، انظر ذلك في قوله :

تقسي تروم أمورا لست مدركها
مادمت أحذر ما يأتى به القدر
ليس ارتحالك في كسب الغنى سفرا
لكن مقامك في ضر هو السفر (٨٧)

وابن السكيت مؤمن شديد الايمان فهو لايخضع لليأس ولا ييأس من رحمة الله ، مهما نزل به من خطوب ومهما اصابه من نائبات :

اذا اشتملت على اليأس القلوب
وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واستقرت
وأرست في اماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها
ولا أغنى بحيلته الاريب

---

(٨٦) المصدر السابق ، الموضع السابق
(٨٧) المصدر السابق ص ٤٣٩

أتاك على قنوط منك غوث

يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات اذا تناهت

فموصول بها فرج قريب [88]

هذه هي المقطوعات التي تروى لابن السكيت وهي طبعا لاتكفى للحكم على شعره الا اننا نستطيع ان نقول انه شعر عالم لايختلف عن الشعر الذي قيل في عصره . واسلوبه فيه شيء من الرصانة وحلاوة التعبير .

٧ ـ شيوخه :

أخذ ابن السكيت عن البصريين والكوفيين [89] وتلمذ لاكابر علماء عصره ، كأبى عمرو الشيبانى [90] والفراء [91] ، وغيرهما من شيوخ اللغة .

ونستطيع أن نقسم شيوخ ابن السكيت الى قسمين : الشيوخ الذين أخذ منهم مباشرة وسمعهم ، والشيوخ الذين حكى عنهم دون ان يسمع منهم .

أما شيوخه من القسم الاول وهم الذين أخذ منهم سماعا فأشهرهم أبو عمرو الشيباني والفراء ، وابن الاعرابى ، واللحيانى من الكوفيين ، والاثرم ، وقطرب وابو نصر صاحب الاصمعى من البصريين .

---

(٨٨) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٢

(٨٩) معجم الادباء ٢٠ ـ ٥٠

(٩٠) الفهرست ص : ٦٨ ، تاريخ بغداد ١٤ـ٢٧٣ ، معجم الادباء ٦/٧٨ـ٧٩ .

(٩١) مراتب النحويين : لوحة ١٥٦ ، نزهة الالباء صفحة ٢٣٨ ، مرآة الجنان ٢ـ١٤٧

١ ـ ابو عمرو الشيباني :

هو اسحاق بن مرار أبو عمرو الشيبانى (وقيل انه لم يكن شيبانيا وانما كان مؤدبا لاولاد اناس من شيبان) [٩٢] آخذ عنه أحمد ابن حنبل ، والقاسم بن سلام[٩٣] وابنه عمرو[٩٤] • وكان كوفيا ثم نزل بغداد وكان عالما بالعربية جمع اشعار العرب ودونها •

قال ابنه عمرو : ولما جمع ابى أشعار العرب كانت نيفا وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها الى الناس كتب مصحفا وجعله في مسجد الكوفة ، حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا بخطه [٩٥] ، الا انه كان مشهورا بشرب النبيذ فقصر ذلك به عند عامة العلماء [٩٦] وقد سمع أبو عمرو شيئا كثيرا من الاعراب وخرج الى البادية ومعه ديستيجان حبرا ، فما رجع حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب • وقد عمّر طويلا فقيل أنه أناف على التسعين [٩٧] ، وقيل أتى عليه تسع عشرة ومائة سنة [٩٨] ومات سنة ست ومائتين وقيل سنة عشر ومائتين [٩٩] •

وقد أخذ عنه ابن السكيت منذ كان صبيا وكان يقول : « وكان ربما استعار منى الكتاب وأنا اذ ذاك صبى آخذ عنه واكتب من كتبه » [١٠٠] • وله كتاب مشهور اسمه « الجيم » معروف لدى العلماء •

---

(٩٢) نزهة الالباء صفحة : ١٢٠
(٩٣) القفطي : انباه الرواة ١ـ٢٢١
(٩٤) نزهة الالباء : صفحة : ١٢٢
(٩٥) القفطي : انباه الرواة ١ـ٢٢١
(٩٦) المصدر السابق : ص ٢٢٤
(٩٧) انباه الرواة : ١ـ٢٢٤
(٩٨) نزهة الالباء ص ١٢٤
(٩٩) المصدر السابق ، الموضع نفسه
(١٠٠) الفهرس ص : ٦٨ ، معجم الادباء ٦/٧٨ـ٧٩ •

٢ ـ الفـــراء :

هو أبو زكريا يحيى ابن زياد مولى بني أسد من أهل الكوفة [١٠١] كان من اشهر اصحاب الكسائي واخصهم به [١٠٢] • ولما توفى الكسائى اجتمع أصحابه فاختاروا الفراء ليجلس مجلسه [١٠٣] •

وكان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب [١٠٤] • وكان ثعلب يقول : « لولا الفراء لما كانت اللغـة لانـه حصلهـا وضبطها » [١٠٥] وتوفي الفراء سنة سبع ومائتين في طريق مكة • وقـد بلغ ثلاثا وستين سنة [١٠٦] •

وللفراء تصانيف عديدة : أشهرها اثنان وهما : « حدود النحو » و « معانى القرآن » •

وكان اسحاق أبو يعقوب بن السكيت زميلا للفراء وتلميذا لـه أخذ معه من الكسائي [١٠٧] وأخذ يعقوب عن الفراء ايضا [١٠٨] وهـو يروى عنه في كتبه كثيرا •

٣ ـ ابن الاعرابى :

هـو محمد بن زياد الاعرابي من أكابر علماء اللغة والمشار اليهم في معرفتها ، ويقال لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين من ابـن

---

(١٠١) نزهة الالباء ص : ١٢٧
(١٠٢) وفيات الاعيان ٥ـ٢٢٥
(١٠٣) الفهرست ١ـ٧٢
(١٠٤) وفيات الاعيان ٥ـ٢٢٥
(١٠٥) نزهة الالباء ص : ١٢٧
(١٠٦) المصدر السابق ـ الموضع السابق
(١٠٧) الفهرست ١ـ٧٢
(١٠٨) المراتب لوحة ١٥٦ ، نزهة الالباء ص : ٢٣٨

الاعرابى [109] . وكان ربيبا للمفضل الضبى وسمع منه الدواوين، وصححها . وأخذ عن الكسائى كتاب النوادر وأخذ عن ابى معاوية الضرير [110] ، وأخذ عنه ثعلب وأبو عكرمة الضبي وابراهيم الحربى [111] . ومات سنة احدى وثلاثين ومائتين وكان عمره احدى وثمانين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام [112] ، وله تصانيف كثيرة منها كتاب « النوادر » كبير ، وكتاب « الانواء » وكتاب (صفة النحل) وغيره [113] . وقد أخذ ابن السكيت عن ابن الاعرابى وسمع منه زمنا طويلا ، وله معه حكاية طريفة أوردتها في الكلام عن شخصيته [114] . وكان ابن السكيت يقارن بابن الاعرابى فكان ثعلب يقول : « لم يكن بعد ابن الاعرابى أعلم باللغة من ابن السكيت [115] .

٤ ـ الاثـرم :

هو أبو الحسن علي بن المغيرة كان صاحب لغة ونحو أخذ عن

---

(١٠٩) نزهة الالباء ص : ٢٠٧

(١١٠) هو ابو معاوية محمد بن خازم الحافظ احد الائمة في معرفة الاثر ـ كان كوفيا لازم الاعمش عشرين سنة وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس وتسعين ومائة وروى له الجماعة .
(انظر الوافي بالوفيات ٣ـ٣٤) .

(١١١) وابراهيم الحربي كان عالما بالادب واللغة والفقه اخذ عن أبي العباس ثعلب وصنف كتبا كثيرة منها كتاب « غريب الحديث » وغيره وكان مولده سنة ثمان وتسعين ومائة ، وتوفى ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين .
(انظر ترجمته فى نزهة الالباء) ص : ٢٠٧)

(١١٢) القفطي : انباه الرواة ٣ـ١٣٢

(١١٣) المصدر السابق والموضع نفسه .

(١١٤) انظر صفحة ٤١ من هذا البحث .

(١١٥) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤١

(١١٦) نزهة الالباء ص ٢١٩

الاصمعي وأبي عبيدة (١١٦) . وروى عنه الزبير بن بكار (١١٧) ، والحسن بن مكرم (١١٨) ، وأحمد بن خيثمة (١١٩) ، وأبو العباس ثعلب وغيرهم (١٢٠) . وكان الاثرم في أول حياته وراقا فلما أقدم أسماعيل بن صبيح (١٢١) أبا عبيدة الى بغداد في أيام الرشيد ، أحضر الاثرم وجعله في دار من دوره واغلق عليه الباب ودفع اليه كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها (١٢٢) .

وتوفى الاثرم سنة مائتين وثلاثين (١٢٣) أو سنة اثنتين وثلاثين

---

(١١٧) هو ابو عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب يرجع نسبه الى الزبير بن العوام ، وكان من اعيان العلماء وتولى القضاء بمكة ، وصنف كتبا كثيرة روى عن ابي عيينة ومن في طبقته وروى عنه ابن ماجة القزويني وابن ابي الدنيا وغيرهما . وتوفي بمكة سنة ٢٥٦ .
(انظر ترجمته في وفيات الاعيان ٢ـ٦٨) .

(١١٨) هو الحسن بن مكرم بن حسان ابو علي البزاز سمع عددا كبيرا من العلماء منهم ابن عاصم وروح بن عبادة وروى عنه كثيرون ايضا منهم القاضي المحاملي وغيرهم .
توفي سنة اربع وسبعين ومائتين .. (انظر تاريخ بغداد ٧ : ٤٣٢) .

(١١٩) هو ابو بكر احمد بن ابي خيثمة النسائي الاصل . سمع ابن وكيع ويحيى بن معين واحمد بن حنبل واخذ علم النسب عن مصعب بن عبدالله الزبيري والايام عن المدائني والادب عن بن سلام الجمحي توفي سنة ٢٧٣ انظر معجم الادباء ٣ : ٣٥ـ٣٦ .

(١٢٠) انباه الرواة : ٢ـ٣١٩

(١٢١) كان كاتبا ليحيى بن خالد البرمكي واستكتبه الرشيد بعد نكبة البرامكة وجعله صاحب ديوان الرسائل وهو الذي كتب الى ولاة الامصار عن تولية الرشيد لابنه وقد بقي في ديوان الرسائل حتى وفاة الرشيد وكان يصاحبه في غزواته وتنقلاته ثم استمر في خدمة الامين .

(١٢٢) انباه الرواة : ٢ـ٣١٩

(١٢٣) نفس المصدر والصفحة

ومائتين (١٢٤) .

ولابن السكيت مع الاثرم حكاية طريفة أخرى كتلك التي كانت له مع ابن الاعرابي . فقد روى ثعلب انه كان مع ابن السكيت في مجلس من مجالس الاثرم . فقال ابن السكيت « لابد ان اسأله عن أبيات الراعي (١٢٥) قال فقلت لا تفعل فلعله لايحضره جواب فتكون قد هجنته على رؤوس الملأ قال لابد من ذلك ثم وثب فقال ما تقول في قول الراعي :

وأفضن بعد كظومهن بحرة
من ذى الابارق اذرعين حقيلا (١٢٦)

قال فتلجلج الشيخ وتنحنح ولم يجب بشيء (١٢٧) ولم يكتف ابن السكيت بهذا بل الح في احراج استاذه فسأله عن بيت الراعي :

---

(١٢٤) نزهة الالباء ص : ٢٢١

(١٢٥) هو عبيد بن حصين بن معاوية . ويكنى ابا جندل ، والراعي لقب غلب عليه كثرة وصفه الابل وجودة نعته اياها ، وهو شاعر فحل من شعراء الاسلام وكان مقدما مفضلا حتى اعترض بين جرير والفرزدق فاستكفه جرير فأبى أن يكف فهجاه فنضحه .
الاغاني (بولاق) ٢٠ ـ ١٦٨ وما بعدها .

(١٢٦) في اللسان ١٣ : ١٧٢ : (الحقيل) موضع ، وقيل هو نبت ، (وكظومهن) امساكهن عن الحرة ، في جمهرة اشعار العرب ص : ١٧٤ (طبعة بولاق) : (بجرة) ، (الابارق) . اسم موضع .

(١٢٧) الفهرست : ص ٥٦

كدخـان مرتحـل بأعلى تلعـــة
غرثـان ضرم عرفجـا مبلـولا (١٢٨)

قال ثعلب : فعاد الى تلك الصورة ورأينا في وجهه الكراهـة والاحتقار (١٢٩) وكأن ابن السكيت أعجبه تلجلج الشيخ وحرجه فأخذ يتسقط غلطاته فلما قال الاثرم : مثقل استعان بذقنه (١٣٠) قال يعقوب هذا تصحيف انما هو بدفيه فقال الاثرم : « تريد الرياسـة بسرعة ودخـل بيته » (١٣١) .

٥ ـ اللحيـاني :

هو أبو الحسن علي بن حازم وقيل علي بن مبارك(١٣٢) . كـان من كبار أهل اللغة(١٣٣) . وله نوادر ، وكان أحفظ النـاس للنوادر

---

(١٢٨) ورد البيت في اللسان ٩ : ٣٨٥ ـ ٣٨٦ وجمهرة أشعار العرب ص : ١٧٥ .
(العرفج) : ضرب من النبات يبيض اذا يبس ولهبه شديد الحمرة .
(التلعة) : ارض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع منها الى تلعة اسفل منها .
(الغرثان) : الشديد الجوع . والبيت فى وصف الذئب .

(١٢٩) الفهرست : ص ٥٦

(١٣٠) في مجمع الامثال ص ١٨٣ : أصله البعير عليه ثقل ولا يقدر (أن ينهض) فيعتمد بذقنه على الارض . ويروى بدفيه أي بجنبيه ، يضرب للذي يستعين بما لا دفع عنده .

(١٣١) الفهرست ص : ٥٦ ، وانظر أيضا فى هذه الحكاية نزهة الالباء ص : ٢٢٠ ، ٢٢١

(١٣٢) انباه الرواة ٢ـ٢٥٥

(١٣٣) نزهة الالباء ص : ٢٣٦

من الكسائي والفراء ، والاحمر (١٣٤) • وكان اذا دخل على الفـراء وهو يملي كتابه (النوادر) أمسك الفـــراء عن الامـلاء حتى يخرج اللحياني ، فاذا خرج اللحياني قال هذا أحفظ الناس للنوادر (١٣٥) •

ولابن السكيت أيضا حكاية مع اللحياني كتينكا الحكايتين اللتين كانتا له مع ابن الاعرابي والاثرم • فقد روى زميله الطوسي ، قال : « كنا في مجلس علي اللحياني وكان عازما على أن يملي نوادره ضعف ما أملى فقال يوما : تقول العرب : مثقل استعان بذقنه فقام اليـه ابن السكيت وهو حدث فقال : يا أبا الحسن انما تقول العرب مثقل استعان بدفيه يريدون الجمل اذا نهض بالحمل استعان بجنبيه فقطـع الاملاء فلما كان في المجلس الثاني أملى فقال : تقول العرب هو جارى مكاشرى ، فقام اليه يعقوب بن السكيت وقال: أعزك الله ومامعنى مكاشري؟ انما هو مكاسرى ، كسر بيتى الى كسر بيته • قال : فقطع اللحيـاني الاملاء فما أملى بعد ذلك شيئا (١٣٦) •

٦ ـ أبو نصـــر :

هو أحمد بن حاتم ، صاحب الاصمعى ، روى عنه كتب اللغـة والادب ، وحكى عن الاصمعى أنه كان يقول : ليس يصدق على احد الا أبو نصر (١٣٧) • حدث عنه ابراهيم الحربى وثعلب (١٣٨) • مـات

---

(١٣٤) المصدر السابق ، الموضع نفسه . والاحمر هو علي بن المبارك صاحب الكسائي ويؤدب الامين كان مشهورا بالنحو واتســاع الحفظ ، وكان متقدما على الفراء فى حياة الكسائي لجـــودة قريحته وتقدمه فى علل النحو ومقاييس التصريف . مات سنة ست أو سبع ومائتين .
(انظر ترجمته فى نزهة الالباء ص : ١٢٥) .

(١٣٥) انباه الرواة : ٢ـ٢٥٥

(١٣٦) تاريخ بغداد ٢٧٣/١٤ ـ ٢٧٤ ، وفيات الاعيان ٥ـ٤٣٩

(١٣٧) انباه الرواة ١ـ٣٦

(١٣٨) المصدر السابق ، الموضع نفسه

في سنة احدى وثلاثين ومائتين [١٣٩] وله تصانيف في اللغة كثيرة منها كتاب « الشجر والنبات » وكتاب « الابل » وكتاب (الخيل) ، وغيرها [١٤٠] .

ولابن السكيت حكاية مع أبى نصر تشبه حكاياته مع ابن الاعرابي والاثرم ، واللحياني ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل كغيرها على مافي نفس يعقوب من غرورورغبة في الظهور وطلب الرياسة بسرعة [١٤١] . وحكايته مع أبى نصر يرويها ثعلب فيقول : « كان أبو نصر صاحب الاصمعي يمل شعر الشماخ [١٤٢] وكنت أحضر مجالسه وكان يعقوب ابن السكيت يحضرها قبلي لانه كان قد قعد عن مجالستهم وطلب الرياسة فجاءني الى منزلي فقال : اذهب بنا الى أبي نصر حتى تقفه على ما أخطأ فيه وصحف من شعر الشماخ فانه أخطأ في بيت كذا وصحف في حرف كذا وأنا ساكت فقال : ماتقول ؟ فقلت : ليس يحسن هذا بالامس ترى على باب الشيخ تسأله وتكتب عنه ثم تصير الآن اليه لتخطئه وتهجنه فقال : لابد من ذلك . فمضينا فدققنا عليه الباب فخرج الشيخ يرحب فأقبل عليه يعقوب فقال : كيف تنشد هذا البيت للشماخ ؟ قال : كذا قال : أخطأت . فكيف، تقول في هذا الحرف من شعره ؟ قال : كذا قال : أخطأت . فلما مرت ثلاث أو أربع مسائل اغتاظ الشيخ ثم

---

(١٣٩) المصدر السابق ، الموضع نفسه

(١٤٠) المصدر السابق ، الموضع نفسه .

(١٤١) الفهرست ص : ٥٦

(١٤٢) هو الشماخ بن ضرار بن سنان بن أمية وهو شاعر مخضرم ممن أدرك الجاهلية والاسلام ، وجعله بن سلام الجمحي في الطبقة الثالثة وقرنه بالنابغة وليد وأبي ذؤيب الهذلي . وقد قال الحطيئة في وصيته : الشماخ أشعر غطفان . وهو أوصف الناس للحمر الوحشية (انظر الاغاني « بولاق » ٨ ـ ١٠١) وما بعدها .

قال يا مصان تستقبلني بمثل هذا وتقوي نفسك على هذا وأنت بالامس تلزمني ....!! ونهض فدخل بيته ، ورد بابه في وجوهنا ، فاستحذى يعقوب ، فأقبلت عليه فقلت : ماكان أغنانا عن هذا ! فأمسك فما نطق بحلوة ولا مـرة » [١٤٣] .

٧ ـ قطـــرب :

هو محمد بن المستنير . أحد العلماء بالنحو واللغة . أخذ عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين ويقال : ان سيبويه لقبـه قطربا لمباركته له في الأسحار ، قال له يوما ما أنت الا قطرب ليل [١٤٤]. نزل قطرب بغداد وسمع منه بها أشياء من تصانيفه ، وكان موثقا فيما يمليـه [١٤٥] . الا أن ابن السكيت يقول : « كتبت عنه قمطرا [١٤٦] ، ثم تبينت انه يكذب في اللغة فلم اذكر عنه شيئا [١٤٧] » . مات قطرب سنة ست ومائتين [١٤٨] وهو أول من وضع المثلث في اللغة [١٤٩] .

٨ ـ الأخفش :

هو عبدالله بن محمد البغدادي النحوي أبـو محمد يعـرف بالاخفش وهو خامس الاخفشين روى عن الاصمعي [١٥٠] . ويذكـر

(١٤٣) الزبيدي ص : ١٩٧ ـ ١٩٨
(١٤٤) القطرب : دويبة تدب ولا تفتر .
(١٤٥) انباه الرواة ٣ : ٢١٩ ـ ٢٢٠
(١٤٦) القمطر ، والقمطرة : شبه سفط يسف من قصب تحفظ فيـه
(١٤٧) معجم الادباء ١٩ : ٥٣
(١٤٨) انباه الرواة ٣ : ٢١٩ ـ ٢٢٠
(١٤٩) وفيات الاعيان ٣ : ٤٣٩
(١٥٠) بغية الوعاة ٢ ـ ٦٢

الزجاجي [151] أن ابن السكيت أخذ عنه .

٩ ـ نصران الخراساني :

لاتذكر كتب التراجم عنه سوى أنه قرأ شعر الكميت علي أبي حفص عمر بن بكير [152] وكان استاذا لابن السكيت والطوسي وقد اختلفا في كتبه بعد موته فكانت لابن السكيت حفظا وللطوسي سماعا [153] .

هؤلاء هم شيوخ ابن السكيت الذين سمع منهم . وذكر أبو الطيب اللغوي [154] أنه أخذ أيضا عن ابن نجدة [155] . ولم يؤيده أحد . ونقل ابن خلكان [156] واليافعي [157] عن ابن عساكر أنه أخذ أيضا عن محمد بن مهنا [158] ومحمد بن صبح بن السماك الواعظ [159] .

---

(١٥١) مجالس العلماء ص ١٦٢ . (سنة ١٩٦٢ الكويت) والزجاجي هو ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحق من افاضل اهل النحو اخذ عن الزجاج وابن السراج . وهو من طبقة السيرافي وابي علي الفارسي .

(١٥٢) الفهرست ص : ٧٢

(١٥٣) انباه الرواة ٣ : ٣٤٣

(١٥٤) مراتب النحويين لوحة ١٥٦

(١٥٥) قال ياقوت في معجم الادباء : هو محمد بن الحسين بن محمد الطبري النحوي يعرف بابن نجدة مشهور في أهل الادب وله حظ مرغوب فيه قرأ على الفضل بن الحباب الجمحي بن خليفة .

(١٥٦) وفيات الاعيان ٥ـ٤٣٨

(١٥٧) مرآة الجنان ٢ـ١٤٧

(١٥٨) لم اعثر على ترجمة له فى المصادر المتوفرة .

(١٥٩) هو ابو العباس محمد بن صبح المعروف بابن السماك القاضي الكوفى لقى جماعة من الصدر الاول واخذ عنهم مثل هشام بن عروة والاعمش وغيرهما . وروى عنه أحمد بن حنبل وانصاره قدم بغداد فى زمن الرشيد ، ومات بالكوفة سنة ١٨٣ (انظر ترجمته ـ وفيات الاعيان ٣ : ٤٢٨ ، ٤٢٩)

وقد توفي هذا الاخير سنة ثلاث وثمانين ومائة [١٦٠] . وولد ابن السكيت ـ كما رجحنا ـ سنة ثمان وثمانين ومائة ، فلا يعقل أن يكون أخذ عن ابن السماك هذا .. ولعل ما دعا ابن عساكر الى هذا الزعم ما رواه ابن السكيت عن ابن السماك من المواعظ كقوله : « من عرف الناس داراهم ومن جهلهم ماراهم رأس المداراة ترك المماراة [١٦١] .

أما القسم الثاني من شيوخ ابن السكيت فهم الذين روى عنهم في كتبه دون أن يسمعهم . وأشهر هؤلاء الأصمعي ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد الانصاري [١٦٢] .

١ ـ الاصمعي :

هو عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع [١٦٣] ، صاحب النحو واللغة والغريب والاخبار والملح ، وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر . سمع شعبة بن الحجاج [١٦٤] ، والحمادين الثلاثة [١٦٥]

---

(١٦٠) وفيات الاعيان ٣ـ٤٢٩

(١٦١) وفيات الاعيان ٥ـ٤٣٨

(١٦٢) مراتب النحويين لوحة ١٥٦

(١٦٣) انباه الرواة ٢/١٩٧ـ٢٠٥

(١٦٤) هو شعبة بن الحجاج بن الورد ، أبو بسطام ، رأى الحسن وابن سيرين ، وسمع قتادة ، ويونس بن عبيد ، قدم بغداد مرتين وحدث بها .
مات سنة ١٦٠ هـ وهو ابن سبع وسبعين (انظر تاريخ بغداد ٩/٢٥٥ـ٢٦٦) .

(١٦٥) لا أظن ان الاصمعي اخذ عن الحمادين الثلاثة لانهم كوفيون ، ولعل المقصود هو حماد بن سلمة فسقط اسم (سلمة) من انباه الرواة .

ومسعر بن كدام(١٦٦) وغيرهم(١٦٧) . روى عنه ابن أخيه عبدالرحمن بن عبدالله (١٦٨) وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وابو حاتم السجستاني (١٦٩) ، وأبو الفضل الرياشي (١٧٠) ، وأحمد بن محمد اليزيدي (١٧١) ، وغيرهم (١٧٢) وأخذ الاصمعي أيضا عن الخليل

---

(١٦٦) هو مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث الهلالي العامري الرواسي ابو سلمة الكوفى احد الاعلام . روى عن سعيد ابن ابي بردة وقتادة والاعمش وغيرهم ، وروى عنه سليمان التيمي وابن اسحاق وهما اكبر منه ، وشعبة والثوري ومالك ابن مغول وهما من اقرانه وكانوا يسمونه المصحف لصدقه ـ مات سنة ١٥٣ أو سنة ١٥٥ .
انظر تهذيب التهذيب ١٠ : ١٣ ، رقم ١١٥٠١ ط . الهند ١٣٢٧ هـ .

(١٦٧) انباه الرواة ٢ : ١٩٧ ـ ٢٠٥

(١٦٨) اسمه عبدالرحمن ، ويكنى ابا محمد وقيل يكنى ابا الحسن وكان من العقلاء الا انه ثقة فيما يرويه عن عمه وعن غيره من العلماء وله من الكتب كتاب معاني الشعر .
(انظر الفهرست ١ـ٥٦) .

(١٦٩) هو سهل بن محمد السجستاني كان عالما للغة ، ثقة اخذ عن ابي عبيدة وابي زيد والاصمعي واخذ عنه بن دريد وغيره ، توفي سنة ٢٥٠ او ٢٥٥ وله تصانيف كثيرة فى النحو والقراءة .
(انظر ترجمته في نزهة الالباء ص ٢٥١ ، ٢٥٤) .

(١٧٠) هو عباس بن الفرج الرياشي كان من كبار علماء اللغة كثير الرواية للشعر ، أخذ عن الاصمعي والمازني واخذ عنه المبرد وابن دريد وتوفي سنة ٢٥٧ .
(انظر ترجمته في نزهة الالباء ص : ٢٦٢ ـ ٢٦٥) .

(١٧١) هو احد اليزيديين ويكنى ابا جعفر ـ كان من ندماء المامون وقدم معه دمشق ، وتوجه منها غازيا للروم ، سمع جده محمد بن يحيى وابا زيد الانصاري وكان مقرئا . مات قبيل سنة مائتين وستين .
(انظر معجم الادباء ٤ : ١٤٠ ـ ١٤٣)

(١٧٢) انباه الرواة : ١٩٧ـ٢٠٥

« ويحكى أنه أراد أن يقرأ عليه العروض وشرع فى تعلمه وتعذر ذلك عليه فيئس الخليل منه » [173] . وقد قدم بغداد في أيام الرشيد [174] وله معه أخبار . مات سنة عشر ومائتين [175] . وقيل سنة سبع عشرة ومائتين في خلافة المأمون [176] . وله تصانيف كثيرة منها كتاب « خلق الانسان » وكتاب « الأجناس » وكتاب (الأنواء) وكتاب (المقصور والممدود) [177] وغيرها .

٢ - ابو عبيدة :

هو معمر بن المثنى منسوب الى تيم قريش وكان مولى لهم [178] وكان من أعلم الناس باللغة وأخبار العرب وأنسابها وله في ذلك مصنفات [179]) . قال الجاحظ : « لم يكن في الارض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم » [180] قدم بغداد في أيام هارون الرشيد وقرأ عليه بها أشياء من كتبه [181] وروى عنه علي بن المغيرة الاثرم وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو عثمان المازني وأبو حاتم السجستانى وغيرهم [182] . توفى سنة سبع ومائتين وقيل سنة ثمان ومائتين وقيل سنة احدى عشرة ومائتين [183] .

---

(١٧٣) نزهة الالباء ص ١٥٣
(١٧٤) انباه الرواة ٢ : ١٩٧ - ٢٠٥
(١٧٥) نفس المصدر والصفحه .
(١٧٦) انزهة الالباء ص : ١٧٢
(١٧٧) انباه الرواة : ٢ : ١٩٧-٢٠٥
(١٧٨) نزهة الالباء ص ١٣٧
(١٧٩) نفس المصدر ص ١٣٩
(١٨٠) انباه الرواة ٣ : ٢٧٦
(١٨١) نفس المصدر والصفحة
(١٨٢) نزهة الالباء ص ١٤٠
(١٨٣) نفس المصدر : ص ١٥٠

ولابي عبيدة كتب كثيرة منها كتاب : « مجاز القرآن وكتاب « غريب الحديث » وكتاب « الديباج » وكتاب (التاج) وغيرها [١٨٤] .

٣ ـ ابو زيد الانصاري :

هو سعيد بن أوس الانصاري . كان عالما بالنحو واللغة . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستاني وأبو العيناء محمد بن القاسم وغيرهم [١٨٥] . « وكان سيبويه اذا قال سمعت الثقة يريد به أبا زيد الانصاري » [١٨٦] . وكان عالما بالنحو ولم يكن مثل الخليل وسيبويه [١٨٧] . وقد أخذ عن البصريين والكوفيين « وكان يروى عن علماء الكوفة ولا يعلم أحد من علماء البصرة أخذ عن اهل الكوفة الا أبا زيد فانه روى عن المفضل الضبي [١٨٨] توفي سنة اربع عشرة ومائتين . وقيل سنة عشرة ومائتين[١٨٩] . وقيل سنة ست عشرة ومائتين[١٩٠] وله تصانيف كثيرة في الادب واللغة منها كتاب « القوس والترس » وكتاب «الابل» وكتاب « خلق الانسان » وكتاب « المطر » وكتاب (المياه) وكتاب اللغات [١٩١] وكتاب « النوادر » .

---

(١٨٤) انباه الرواة ٣ : ٢٨٧
(١٨٥) نزهة الالباء ص : ١٧٤
(١٨٦) نفس المصدر والصفحة
(١٨٧) نفس المصدر ص : ١٧٥
(١٨٨) نفس المصدر والصفحة
(١٨٩) نفس المصدر ص : ١٧٩
(١٩٠) وفيات الاعيان ٢ : ١٢٢
(١٩١) وفيات الاعيان : ٢ : ١٢٢

٨ ـ معــــاصروه :

كان ابن السكيت معاصرا لعدد كبير من العلماء في القرن الثالث منهم من التقى بهم وزاملهم في الاخذ من شيوخه ومنهم من كان له صديقا وأشهر هؤلاء :

١ ـ ثعلــــب :

هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني كان أمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه • أخذ عن محمد بن زياد الاعرابي والاثرم وسلمة بن عاصم[١٩٢] ومحمد بن سلام الجمحي[١٩٣] والزبير بن بكار وأخذ عنه محمد بن العباس اليزيدي [١٩٤] وعلي بن

---

(١٩٢) هو أبومحمدالنحوي اخذعن ابيزكرياء يحيىالفراء .ورووىعنهكتبه واخذ عن خلف الأحمر وكان ثعلب يقول : كان سلمة حافظا لتادية ما فى الكتب حاذقا بالعربية وله تصانيف فى اللغة (انظر معجم الادباء ١١ : ٢٤٢ ـ ٢٤٣)

(١٩٣) هو أبو عبدالله محمد بن سلام بن عبدالله بن سالم الجمحي البصري ، كان من اعيان أهل الادب أخذ عن حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة وجماعة ـ وروى عنه الامام احمد بن حنبل وابنه عبدالله وابو العباس ثعلب واحمد بن علي الأبار ـ توفى فى سنة ٢٣٢ وقيل في سنة ٢٣١ (انظر معجم الادباء) ١٨ : ٢٠٤ ، ٢٠٥)

(٢٩٤) هو أبو عبدالله محمد بن العباس اليزيدي النحوي ، كان اماما فى النحو والادب ونقل النوادر وكلام العرب وله تصانيف مفيدة في النحو واللغة والاخبار علم أولاد المقتدر وتوفي سنة ٣١٠. (انظر ترجمته ـ وفيات الاعيان ٣ : ٤٦١) .

سليمان الاخفش [195] ، وابو بكـر الانبـاري [196] وأبـو عمـر الزاهد [197] وغيرهم [198] • وكان ثقة دينا مشهورا بصدق اللهجـة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم ، مقدما لدى الشيوخ وهـو حدث [199] • وكان بخيلا مقترا على نفسه [200] •

قال أبو الطيب اللغوي : [201] وانتهى علم الكوفيين الى أبـى يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت وأبى العباس أحمد بن يحيـى ثعلب الشيباني مولى لبني شيبان وكانا ثقتين أمينين ويعقوب أسـن وأقدم موتا وكان أحسن الرجلين تأليفا • وكان ثعلب أعلمهما بالنحـو وكان يعقوب يضعف فيه • وله كتب كثيرة أشهرها كتاب « الفصيح » و« المجالس » وله أيضا كتاب « اختلاف النحويين » وكتاب (معـاني

---

(١٩٥) هو الأخفش الأصغر النحوي كان عالما روى عن المبـرد وثعلب وغيرهما ، وروى عنه المرزباني وابو الفرج المعـاني الجريري وغيرهما . دخل مصر سنة ٢٨٧ وخرج منها الى حلب سنة ٣٠٦ ، وتوفي ببغداد سنة ٣١٥ وقيل سنة ٣١٦ .
(انظر ترجمته ـ وفيات الاعيان ٤٦٢/٢ ـ ٤٦٣) .

(١٩٦) هو محمد بن القاسم الأنباري اللغـوي الأديب كان من اعلم الناس بنحو الكوفيين واكثرهم حفظا للغـة . وكان صدوقا زاهدا متواضعا فاضلا ثقة خيرا من أهل السنة ، حسن الطريق توفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة .
(انظر معجم الادباء ٣٠٦/١٨ـ٣١٣) .

(١٩٧) هو محمد بن عبدالواحد المعروف بغلام ثعلب ، من ائمة اللغـة واكابر اهلها واحفظهم لها . وكان لسعة حفظه لا يوثق فى اللغـة اما اهل الحديث فيوثقونه .
توفى سنة ٣٤٥ (انظر معجم الادباء ٢٢٦/٨ـ٢٣٤) .

(١٩٨) انباه الرواة ١ـ١٣٩

(١٩٩) نزهة الالباء ص ٢٩٤

(٢٠٠) انباه الرواة ١ـ١٤٥

(٢٠١) ابو الطيب اللغوي ص ٥٤

القرآن) وكتاب (ماتلحن فيه العامة) وكتاب « معاني الشعر » (٢٠٢) .

وقد توفي سنة احدى وتسعين ومائتين (٢٠٣) .

وقد صاحب ثعلب ابن السكيت أمدا طويلا وبقى معه حتى قتل ولهما أخبار يرويها ثعلب كما مر في عدة مواضع من هذا البحث .

٢ ـ المازني :

هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية وقيل بكر بن محمد بن عدى بن حبيب المازني من أهل البصرة أخذ عن أبى عبيدة والاصمعي وأخذ عنه أبو العباس المبرد والفضل بن محمد اليزيدي (٢٠٤) وغيرهم (٢٠٥) . وكان دينا ورعا حتى كان يشبه بالفقهاء (٢٠٦) . وبلغ من ورعه أنه رفض أن يعلم أحد الذميين كتاب سيبويه رغم شدة فاقته (٢٠٧) . وقد قدم بغداد في خلافة الواثق واتصل به ابن السكيت وكان بينهما المودة الخالصة (٢٠٨) . وكثيرا ماكانت تقوم بينهما المناظرات في مسائل النحو والصرف بين يدي الواثق ، أو الوزير بن الزيات (٢٠٩) .

وتوفي المازني سنة مائتين وسبع واربعين (٢١٠) أو سنة ثمان

---

(٢٠٢) انباه الرواة ١/١٥٠ـ١٥١

(٢٠٣) نزهة الالباء ص ٢٩٩

(٢٠٤) يكنى أبا العباس .. وكان الفضل احد الرواة العلماء والنحاة النبلاء اخذ عنه العلم الكثير ورواه من جهته الجم الغفير ومات فيما ذكر ابن النديم سنة ثمان وسبعين ومائتين .. (انظر معجم الادباء ١٦/٢١٥ـ٢١٨) .

(٢٠٥) نزهة الالباء ص ٢٤٢

(٢٠٦) انباه الرواة ١ـ٢٤٧

(٢٠٧) نزهة الالباء ص : ٢٥٠

(٢٠٨) معجم الادباء ٧ـ١١٧

(٢٠٩) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، نزهة الالباء ص : ٢٤٧

(٢١٠) نزهة الالباء ص : ٢٥٠

وأربعين ومائتين(٢١١) . وللمازني من التصانيف كتاب « ما يلحن فيه العامة » وكتاب « القوافي » وكتاب (الديباج) على خلاف كتاب أبى عبيدة (٢٢١) ، وكتاب التصريف .

٢ - أبو عبيد

هو أبو عبيد القاسم بن سلام. كان أبوه عبدا روميا (٢١٣) وطلب ابو عبيد العلم وسمع الحديث ودرس الادب ونظر في الفقه وأخذ الادب عن أبى زيد الانصاري وعن أبى عبيدة معمر بن المثنى والاصمعي واليزيدي وغيرهم(٢١٤) . وروى عن ابن الأعرابي ، وأبي زياد الكلابي(٢١٥) وعن أبى عمرو الشيباني والكسائي والاحمر والفراء (٢١٦) وكتبه مستحسنة مطلوبة في كل بلد والرواة عنه مشهورون ثقات (٢١٧) .

وروى الناس له كتبا كثيرة في القرآن والفقه وغريب الحديث ، والغريب المصنف والامثال ومعاني الشعر (٢١٨) .

وتوفي أبو عبيد سنة ثلاث وعشرين وقيل سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة وقد بلغ عمره سبعا وستين سنة (٢١٩) .

وأراد ابن السكيت أن يقرأ على ابى عبيد كتاب « الغريب المصنف » فأبى أبو عبيد الا ان يكون ذلك مع العامة فغضب ابن

---

(٢١١) انباه الرواة ١-٢٤٧

(٢١٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه .

(٢١٣) نزهة الالباء ص ١٨٩

(٢١٤) المصدر السابق ، الموضع نفسه

(٢١٥) لم اعثر له على ترجمة

(٢١٦) انباه الرواة ٣-١٨

(٢١٧) نزهة الالباء ص ٢٤١

(٢١٨) انباه الرواة ٣-١٣

(٢١٩) نزهة الالباء ص ١٨٩

السكيت وأخذ يطعن في علمه [٢٢٠] •

٤ ـ الطوسي :

هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن سنان أخذ من مشايخ الكوفيين والبصريين وأكثر أخذه عن ابن الاعرابي [٢٢١] • كان عالما راوية لاشعار القبائل وأشعار الفحول ، وله ولد سلك طريقته في العلم والحفظ [٢٢٢] •

وكان الطوسي عدوا لابن السكيت لانهما أخذا عن نصران الخراساني ، واختلفا في كتبه بعد موته [٢٢٣] • وكانت لابن السكيت حفظا ، وللطوسي سماعا [٢٢٤] • ولم توضح لنا المراجع سبب هذه العداوة بالتفصيل على أنها تكاد تجمع عليها ، ولم تحدد أيضا تاريخ وفاة الطوسي •

٩ ـ تلاميذه :

لابن السكيت تلاميذ كثيرون أخذوا عنه فمنهم من اشتهر في زمانه ، ومنهم من لم يشتهر • ومن أشهرهم :

١ ـ أبو حنيفة الدينوري :

هو أحمد بن داود من أهل دينور [٢٢٥] ، أخذ عن البصريين

---

(٢٢٠) انباه الرواة ٣ـ١٨
(٢٢١) نزهة الالباء ص : ٢٤١
(٢٢٢) انباه الرواة ٢ـ٢٨٥
(٢٢٣) نزهة الالباء ص ٢٤١
(٢٢٤) انباه الرواة ٣ـ٣٤٣
(٢٢٥) مدينة من اهم مدن الجبال في العصور الوسطى هي الآن اطلال وخرائب وتقع على الخط المستقيم بين كنكور فى الجنوب الشرقي وكرمنشاه في الجنوب الغربي وكانت في زمن الخليفة عمر ، اعمر مدينة في همدان وقد سلمت للعرب حوالي عام ٢١ هـ ـ ٦٤٢ م • وقد بقيت عامرة حتى القرن الثامن الهجري • (انظر دائرة المعارف الاسلامية ٩ـ٣٧٢)

والكوفيين وأكثر أخذه عن السكيت وابنه ، وقد ذكر ابن النديم أنه وابن قتيبة أول من خلط المذهبين فهو اذن أحد مؤسسى المدرسة البغدادية . وكان مفننا في علوم كثيرة (٢٢٦) ، منها النحو واللغة والهندسة والهيئة والحساب ، وكان ثقة فيما يرويه ويمليه ، ومعروفا بالصدق ، وله من الكتب كتاب « الفصاحة » ، وكتاب « الانواء » وكتاب « حساب الدرر » وكتاب « البلدان » وكتاب (الشعر والشعراء) وكتاب (لحن العامة) وكتاب « تاريخ الاخبار الطوال » وكتاب « النبات » (٢٢٧) .

وتوفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين (٢٢٨) .

٢ ـ المفضل بن سلمة :

هو أبو طالب المفضل بن سلمة كان لغويا فاضلا كوفي المذهب أخذ عن ابن الاعرابي (٢٢٩) وثعلب وابن السكيت (٢٣٠) ، وأخذ كذلك عن أبيه سلمة بن عاصم . وخالف طريقته (٢٣١) . وكان فهما فاضلا ، روى عنه محمد بن يحيى الصولى (٢٣٢) . ونقل اللغة واستكثر من

---

(٢٢٦) الفهرست ١ـ٧٨

(٢٢٧) انباه الرواة ١/٤١ـ٤٢

(٢٢٨) المصدر السابق ١ـ٤٣

(٢٢٩) نزهة الالباء ص ٢٦٦

(٢٣٠) معجم الادباء ١٩ـ١٦٣

(٢٣١) السيوطي البغية ٢ـ٢٩٦

(٢٣٢) انباه الرواة ٣ : ٣٠٥ هو الصولي الشطرنجي كان احد الادباء الفضلاء المشاهير روى عن ابي داود السجستاني وثعلب والمبرد وغيرهم وروى عنه الدارقطني والمرزباني وغيرهما . وكان ينادم الخلفاء وكان اوحد وقته فى لعب الشطرنج وتوفى سنة ٣٣٦ بالبصرة (انظر ترجمته ـ وفيات الاعيان ٢ : ٤٧٧ الى ٤٨٠) .

الرواية ، واستدرك علي الخليل فى كتاب « العــين » وحكـــاه في كتاب كبير ألفه وسماه «البارع» ومات قبل اتمام هذا الكتاب[٢٣٣]. وله أيضا كتاب « معاني القرآن » وكتاب « الاشتقاق » وكتاب (آلة الكاتب) وكتاب (المقصور والممدود) وكتاب « المدخل الى علـــم النحو » وغيرها[٢٣٤] .

٣ ـ الســكري :

هو أبو سعيد عبدالله بن الحسن بن الحسين بن عبدالرحمن بــن عبدالعلاء يرجع في نسبه الى المهلب بن أبى صفرة [٢٣٥] . سمع يحيى ابن معين [٢٣٦] ، وأبا حاتم السجستاني والعباس بن الفرج الرياشـي ومحمد بن حبيب [٢٣٧] وعمر بن شبة [٢٣٨] وغيرهم [٢٣٩] وحدث عن

---

(٢٣٣) انباه الرواة ٣ : ٣٠٦

(٢٣٤) نزهة الالباء ص ٢٦٦

(٢٣٥) نفس المصدر ص ٢٧٤

(٢٣٦) هو الحافظ المشهور صاحب الجرح والتعديل . كان عالما حافظـا متفننا . ورث عن ابيه ثروة طائلة فانفقها جميعها على الحديث روى عنه الحديث كبار الائمة كالبخاري ومسلم بن الحجـاج وابو داود السجستاني صاحب احمد بن حنبل واشتغل معـه فى علوم الحديث ، توفى سنة ٢٣٣ (انظر ترجمته في وفيـات الاعيان ٥ : ١٩٠ـ١٩٣)

(٢٣٧) من علماء بغداد باللغة والشعر والاخبار والانساب الثقـات وهو ممن يروى كتب ابن الاعرابي وابن الكلبي وقطرب وكتبـه صحيحة . اكثر الأخذ عنه ابو سعيد السكري .
مات سنة ٢٤٥ (انظر معجم الادباء ١٨ : ١١٢ـ١١٣)

(٢٣٨) هو ابو زيد مولى بني نمير ـ رواية للاخبـــار ـ عالم بالآثار اديب فقيه صدوق وله تصانيف كثيرة منها كتـاب الكوفة ، وكتاب البصرة ، وكتاب أمراء المدينة وغيرها .
مات سنة ٢٦٢ (انظر معجم الادباء ١٦ : ٦٠ ـ ٦٢) .

(٢٣٩) انباه الرواة ١ : ٢٩١

ابن السكيت [٢٤٠] . وكان ثقة دينا ، يقرىء القرآن ، وانتشر عنه من كتب الادب شيء كثير [٢٤١] . وكان حسن المعرفة باللغات والانساب ، مرغوبا في خطه لصحته [٢٤٢] له كتب كثيرة منها كتاب « الوحوش » وكتاب « النبات » وعمل أشعار جماعة من الفحول ، كامرىء القيس وزهير والنابغة والاعشى [٢٤٣] . ولد سنة اثنتى عشرة ومائتين . ومات في سنة خمس وسبعين ومائتين [٢٤٤] .

ومن تلامذة ابن السكيت الآخرين داود بن الهيثم التنوخي الانباري [٢٤٥] وكان نحويا لغويا حسن المعرفة بالعروض واستخراج المعنى فصيحا كثير الحفظ للنحو واللغة والادب والاشعار [٢٤٦] ، والحزنبل وهو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عاصم التميمي عالم راوية روى عن ابن السكيت كتاب السرقات [٢٤٧] . وعبدالله بن الحسن الحراني . الذي أخذ عنه من سنة ٢٢٥ الى ان قتل [٢٤٨] . وعبدالله بن رستم الذي كان مستمليه [٢٤٩] . وكان مذكورا بالفضل والعلم وكان ثقة . وحدث عنه القاسم بن محمد الانبارى [٢٥٠] ، ومنهم

---

(٢٤٠) تاريخ بغداد ١٤ : ٢٧٣
(٢٤١) انباه الرواة ١ : ٢٩١
(٢٤٢) انباه الرواة ١ : ٢٩٢
(٢٤٣) نزهة الالباء ص ٢٧٤
(٢٤٤) انباه الرواة ١ : ٢٩٢
(٢٤٥) تاريخ بغداد ٨ : ٣٨٠
(٢٤٦) معجم الادباء ١١ : ٩٨
(٢٤٧) الفهرست ص ٧٣
(٢٤٨) انباه الرواة ص ١ : ١١٥
(٢٤٩) الزبيدي ص ٢٢٨
(٢٥٠) تاريخ بغداد ١٠ : ٨١

اليمان بن أبى اليمان [٢٥١] الذي لقيه ولقى كـذلك الزيـادي [٢٥٢] والرياشي بالبصرة وقرأ عليهم من حفظه كتبا كثيرة [٢٥٣] .

١٠ ـ مقتلـــه :

مقتل ابن السكيت مأساة من مآسي الصراع على الحكم بـين بني العباس وآل علي ، ذلك الصراع الذي بلغ في عهد المتوكل مبلغـا عظيما ، يتجلى في تلك الحملة الشعواء التي حملها على آل علي ، فبلغ بهم مالم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله [٢٥٤] .

يتفق كافة من ترجموا لابن السكيت على أن المتوكل قتلـه في مجلس من مجالس المنادمة[٢٥٥] . الا أنهم يختلفون في السـبب الذي دفعه الى تلك الفعلة النكراء . فمنهم من يقول أن المتوكل امر ابـن السكيت أن يشتم قرشيا ، فلم يفعل ، وأمر القرشي أن ينال منـــه ، فنال منه ، وأجابه يعقوب ، فلما أجابه قال له المتوكل : أمرتك ان تفعل، فلم تفعل ، فلما شتمك، فعلت [٢٥٦] ، ومنهم من يعزو سبب قتله الـى مناقشة جرت بينه وبين المتوكل في المفاضلة بين ولديـه المعتز والمؤيد ، وبين الحسن والحسين . أو هو سؤال وجهه المتوكل الى ابن السكيت، عندما دخل المعتز والمؤيد عليهما في أحد مجالسه ، فقيل انه سأل « أيهما

---

(٢٥١) السيوطي : البغية ٢ : ٣٥٢

(٢٥٢) هو ابراهيم بن سفيان كان نحويا لغويا راوية ، قرأ على سيبويه كتابه ولم يتمه ، روى عن الاصمعي وابي عبيدة وكان يشـبه بـه فى معرفة الشعر ومعانيه ، وكان شاعرا ذا دعابة ومزح ، وصنف عدة كتب . (البغية ١ــ٤١٤)

(٢٥٣) معجم الادباء ٢٠ : ٥٦

(٢٥٤) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ٣٨٥

(٢٥٥) انظر مثلا : الزبيـــدي : ص ٢٢٣ ، وياقوت ، معجم الادباء ، ٢٠ : ٥٠ . وفيات الاعيان : ٥ : ٤٣٨ .

(٢٥٦) نزهة الالباء : ص ١٤١ ، وفيات الاعيان ٥ : ٤٤٣

أحب اليك ، ولداى هذان أم الحسن والحسين ؟ » (٢٥٧) . وهم يختلفون أيضا في رواية جواب ابن السكيت عن هذا السؤال ، فمن قائل أنه « غض عن ابنيه ، وذكر الحسن والحسين بما هما أهله » (٢٥٨) ومن قائل انه « غض من ابنيه ، وذكر الحسن والحسين بما هما أهله » (٢٥٩) . ومنهم من يذهب الى أبعد من هذا وذاك ، فيزعم أنا ابن السكيت قال : « قنبر خير منهما » (٢٦٠) . أو « ان قنبرا خادم علي أحب الي من ابنيك » (٢٦١) . وحتى هذه الاجابة القوية لا تشفي غليل بعض المتأخرين فيزعم أنه قال له : « والله ان قنبرا خادم علي خير منك ومن ابنيك » (٢٦٢) . بل انهم يذهبون في المبالغة حدا أبعد من هذا فيدعون انه قال له : « والله ان شعرة من قنبر خادم علي عليه السلام خير منك ومن ولديك » (٢٦٣) .

ومن المتأخرين من يزعم أن المتوكل قتل ابن السكيت بسبب أبيات قالها نعى فيها على المتوكل هدمه لقبر الحسين (٢٦٤) وهذه الابيات هي :

تالله ان كانت أمية قد أتت

قتل ابن بنت نبيها مظلوما

---

(٢٥٧) الزبيدي : ص ٢٢٢ ، بغية الوعاة : ص ٤١٨ ، شذرات الذهب ٢ : ١٠٦

(٢٥٨) الزبيدي : ص ٢٢٢ ، أبو الفداء : ٢ : ٤٠ ، شذرات الذهب ٢ : ١٠٦

(٢٥٩) وفيات الاعيان ٥ : ٤٣٨ ، مرآة الجنان ٢ : ١٤٨

(٢٦٠) الزبيدي ص ٢٢٣

(٢٦١) معجم الادباء ٢٠ : ٥٠

(٢٦٢) وفيات الاعيان ٥ : ٤٤٣ ، البغية ص ٤١٨ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٨٥

(٢٦٣) عقد الجمان ١٣ : ١٧١ (مخطوطة) ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢١٨

(٢٦٤) عقد الجمان ١٣ : ١٧١

فلقـــد أتـــاه بنـو أبيـه بمثلـــه
هـــذا لعـــرك قبـــره مهـــدوما
أسفوا علـــى ألا يكونـوا شـاركوا
في قتلـــه فتتبعـــوه رميمـا (٢٦٥)

فزعموا أن المتوكل « بلغه هذا الشعر فبقى في قلبه » (٢٦٦) فلما كان ذلك المجلس سأله ذلك السؤال ليجعل من اجابته سببا فـــي قتلـــه .

هذا هو مجمل ما قيل في سبب قتل ابن السكيت . ومن الواضح أن الحكاية الاولى ، حكاية رفضه شتم القرشي اول الامر ثم اجابته حين شتمه ، هذه الحكاية لايمكن الاخذ بها لضعفها ، فما الذي يجعل المتوكل يطلب هذا الطلب الغريب ؟ أهو العبث في مجلس الندامى ؟ فكيف يكون رفض ابن السكيت اذا سببا في قتله ، وبين الندمان في مجالس الشراب ترفع الحجب وتزول الاستار ؟ أم أن المتوكل أراد الاساءة الى نسب ذلك القرشي ؟ وهذا لا يعقل ، لان المتوكل قرشي لانه عباسي .

الذي يبدو أن المتوكل علم بتشيع ابن السكيت ومصاحبته بعض الائمة الاثنى عشر . الا أن هذا العلم جاء متأخرا ، والا لما دعاه الى منادمته وتأديب أولاده . والمتوكل معروف ببغضه لآل علي وحقده عليهم (٢٦٧) . « وكان يجالس من اشتهر ببغض علي مثل ابن الجهم (٢٦٨)

(٢٦٥) النجوم الزاهرة ٢ : ٢٨٥ ، الذهبي حوادث سنة ٢٣٦
(٢٦٦) عقد الجمان ١٣ : ١٧١ (مخطوطة)
(٢٦٧) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٨٥
(٢٦٨) هو ابو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم ــ أحد الشعراء المجيدين وكان مع انحرافه عن علي رضى الله عنه مطبوعا مقتدرا على الشعر عذب الالفاظ . نفاه المتوكل الى خراسان لانه هجاه ، توفي سنة ٢٤٩ (انظر وفيات الاعيان ٣/٣٩-٤٢)

الشاعر وأبي السمت [٢٦٩] من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أمية وغيرهما » [٢٧٠] . لم يكن اذن يعلم بتشيعه الا بأخرة فأراد التحقق بنفسه من ذلك ، فلما دخل المعتز والمؤيد الى ذلك المجلس سأله ذلك السؤال : « أيهما أحب اليك ولداي هذان أم الحسن والحسين ؟ » [٢٧١]

الا أن ابن السكيت لم يتحملها وطغت عليه طبيعته ، واندفع في الثناء على الحسن والحسين متجاهلا ابني المتوكل . ومن الواضح ان الاهواء قد لعبت بهذه الاجابة فأحالتها الى شتائم على نحو ما رأينا عند المتأخرين .

وليس من المعقول أن يقول ابن السكيت ذلك وهو الشيعي الامامي الذي يؤمن بالتقية ، ذلك المبدأ الذي يوجب عليه أن يكتم غيظه ويخفي عقيدته حين يحس الخطر .

وقد انتبه بعض الذين رووا هذه الاجابات المبالغ فيها فقال مبررا : « ان أمثال هؤلاء الاعلام كانوا يعلمون وجوب التقية ، ولكن كانوا لا يصبرون ، غضبا لله ، بحيث لا يبقى لهم الاختيار عند سماعهم هذه الاباطيل ، كما هو الظاهر لمن كان له قوة في الدين ، رضى الله عنهم أجمعين [٢٧٢] .

أما ما زعمه بعض المتأخرين من أن المتوكل قتل ابن السكيت بسبب تلك الابيات التي نسبوها له والتي نعى فيها على المتوكل هدمه قبر الحسين ، فشيء يصعب تصديقه ، ولو كان صحيحا لما أهمله المتقدمون الذين هم أقرب الى عصر ابن السكيت والمتوكل ، وخاصة الشيعة

---

(٢٦٩) ويقال ابو السمط وهو مروان بن ابي الجنوب حفيد مروان بن ابي حفصة الشاعر العباسي المعروف وهو من شعراء عصره المشاهير المقدمين . انظر وفيات الاعيان .

(٢٧٠) تاريخ أبي الفداء ٢ـ٣٨

(٢٧١) الزبيدي ٢٢٣

(٢٧٢) المقاني : تنقيح المقال ٣ ـ ٣٣٠ .

منهم ، كالنجاشي صاحب كتاب « الرجال » ومن المعروف ان المتوكل أمر بهدم قبر الحسين سنة ٢٣٦ (٢٧٣) ، وقتل ابن السكيت سنة ٢٤٦ هـ على الارجح . وهذا يعني أن هناك عشر سنوات بين الحادثين ، وحتى لو سلمنا بأنه قتل في سنة ٢٤٣ هـ وهي أقرب سنة مما ذكر تاريخا لمقتله الى تاريخ هدم القبر ، فالزمن يظل شاسعا بينهما ، فما الذي يجعل المتوكل ينتظر كل هذه المدة ؟ أهو اقتناص الفرصة المناسبة ؟ أفلا يكفي قول هذه الابيات ؟ وقد كان يقتل كل من جاء الى مكان قبر الحسين ، أو ينهك عقوبته (٢٧٤) . ثم كيف يقبله بعد أن يقول مثل هذه الابيات نديما له ومؤدبا لبنيه ؟

هذا كله يجعل الحكاية برمتها مستحيلة التصديق . أضف الى ذلك أن هذه الابيات نفسها مشكوك في نسبتها لابن السكيت فهي تروى أيضا ، حتى عند اولئك الذين يزعمون هذه الحكاية ، لعلي ابن أحمد (٢٧٥) .

وعلى أية حال فقد اغتاظ المتوكل من دفاع ابن السكيت عن الحسن والحسين ، وتجاهله لابنيه وتأكد انه شيعي امامي . (فأمر بضربه) (٢٧٦) . وقيل انه « أمر الاتراك فداسوا بطنه » (٢٧٧) . وقيل كذلك أنهم « سلوا لسانه » (٢٧٨) . ويبالغ آخرون فيزعمون انهم « سلوا لسانه من قفاه » (٢٧٩) فحمل الى بيته صريعا (٢٨٠) . أو عاش

---

(٢٧٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ٧ـ٣٦٥

(٢٧٤) الاصفهاني : المقاتل ص ٣٨٦

(٢٧٥) النجوم الزاهرة : ٢ـ٢٨٤

(٢٧٦) نزهة الالباء ص ١٤١

(٢٧٧) الزبيدي ص ٢٢٢

(٢٧٨) معجم الادباء ٢٠ ـ ٥٠

(٢٧٩) أبو الفداء ٢ : ٤١ ، وفيات الاعيان ٥ : ٤٤٣ ، مرآة الجنان ٢ : ١٤٨

(٢٨٠) نزهة الالباء ص ١٤١

يوما وبعض يوم [٢٨١] ووجه المتوكل الى ابنه بعشرة آلاف درهم [٢٨٢] ديتـــــه •

كان مقتل ابن السكيت ليلة الاثنين لخمس خلون من شــهر رجب [٢٨٣] • ولم يختلفوا في ذلك ، وانما اختلفوا في السنة التي قتل فيها • فقيل أنه قتل سنة ٢٤٣ [٢٨٤] ، وقيل سنة ٢٤٤ [٢٨٥] ، وقيل سنة ٢٤٥ [٢٨٦] ، وقيل سنة ٢٤٦ [٢٨٧] •

أما ما انفرد به ابن الاثير من أنه قتل سنة ٢٤٥ ، فلا يمكــن التعويل عليه لان احدا ممن سبقوه وممن كانوا أقرب الى عصر ابــن السكيت لم يذكره ولا دليل يدعمه • وكذلك لايمكن الاخذ بما رواه أكثر المؤرخين والمترجمين من أنه قتل سنة ٢٤٤ ، لان المتوكل قضــى معظم هذه السنة في الشام أو في الطريق بينها وبين سامرا • فقد خــرج من سامرا في ذى القعدة سنة ٢٤٣ وضحى ببلد [٢٨٨] ، ثم دخل دمشق في صفر سنة ٢٤٤ [٢٨٩] ، « وعزم على المقام بها وتقــل دواوين الملك اليها ، ••• ثم استوبأ البلد ، وذلك أن الهواء بها بارد ندي ، والماء ثقيل ، والريح تهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضي عامــة

---

(٢٨١) معجم الادباء ٢٠ : ٥٠

(٢٨٢) الزبيدي ص ٢٢٣

(٢٨٣) معجم الادباء ٢٠ : ٥٠ ، وفيات الاعيان ٥ : ٤٤٣

(٢٨٤) تاريخ بغداد ١٤ : ٢٧٤ ، نزهة الالباء ص ١٤٠

(٢٨٥) الزبيدي ص ٢٢٣ ، ابن كثير ١٠ : ٣٤٦

(٢٨٦) ابن الاثير : ٧ : ٥٥

(٢٨٧) ابن النديم : ١ : ٧٢ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٢٧٤

(٢٨٨) الطبري ١١ : ٥٥ وربما قيل لها بلط وهي مدينــة قديمة على دجلة بينها وبين الموصل سبعة فراسخ وبينهــا وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخا (معجم البلدان ١ : ٧١٥)

(٢٨٩) الطبري ١١ـ٥٥

الليل .. وغلت فيها الاسعار وحال الثلج بين السابلة وبين الميرة »[٢٩٠] فقد أتى عليه فصل الشتاء وهو خارج العراق . واذا علمنا أن الخامس من شهر رجب سنة ٢٤٤ يوافق السابع عشر من شهر تشرين الاول (اكتوبر) سنة ٨٥٨ ، لتأكد لدينا أن مقتل ابن السكيت لا يمكن أن يكون فى هذه السنة ، اللهم الا اذا كان قتل فى غير شهر رجب وبعد عودة المتوكل الى سامرا ، وهذا لايمكن القول به لخروجه على اجماع المؤرخين . لم يبق الا النظر فى السنتين الاخريين أي سنة ٢٤٣ ، سنة ٢٤٦ لترجيح احداهما على الاخرى . والادلة ترجح أنه قتل في سنة ٢٤٦ ، فقد روى أحد تلاميذه ، وهو عبدالله بن الحسن الحراني [٢٩١] ، قال : « كتبت من يعقوب بن السكيت من سنة خمس وعشرين — يعنى ومائتين — الى أن قتل . قال : وقتل قبل المتوكل بسنة ، وقتل المتوكل سنة سبع وأربعين . وكان ماكتبته نحوا من احدى وعشرين سنة » [٢٩٢] . ومما يدعم هذا أن ابن النديم وهو من المترجمين المقربين الى عصر ابن السكيت لم يثبت في كتابه الا هذه السنة [٢٩٣] .

وبعد ، فهذا هو ابن السكيت فى عيشه ونفسه وهذه هي نهايته ، مأساة مؤلمة من مآسي القرن الثالث للهجرة ، وهي مأساة كغيرها من المآسي الدامية تلقى ظلالا معتمة على تلك الصورة الناصعة البهية التي رسمها حكم بني العباس لحضارة العرب والمسلمين ومدنيتهم في القرون الوسطى .

---

(٢٩٠) الطبري ١١ : ٥٥ ، ابن الاثير ٧ : ٥٥ ، ابو الفداء ٢ : ٤٠ .

(٢٩١) مرت الاشارة اليه ضمن تلاميذه

(٢٩٢) القفطي : انباه الرواة ٢ : ١١٥

(٢٩٣) ابن النديم ١ : ٧٢

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصـــل الثـــالث

(آثـــــاره)

اولا ـ الكتب اللغوية والادبية

ثانيا ـ شـروح الدواويــــن

- أ ـ دواين الشـــعراء الجاهليين
- ب ـ دواوين الشعراء المخضرمين
- ج ـ دواوين الشعراء الاسلاميين
- د ـ دواوين الشعراء العباسيين
- طريقتــــه فـــي الشـــــرح

الفصـــل الثــالث

(آثـــــاره)

لابن السكيت كتب عديدة • في مختلف الاتجاهات المعروفة لدى علماء العربية في عصره بأستثناء النحو والصرف فلم يكن مبرزا فيهمـا على نحو ما عرفنا في الفصل السابق ، الا أن اللغة تغلب على كتبـــه وتطبعها بطابعها ، ولا غرو فقد كان من كبار رواة اللغة ومدونيها الذين شافهوا العرب واخذوا العربية من فصحائها • ويخيل الى أن كتبه التي تبدو لاول وهلة كتبا أدبية ، ككتابيه في معاني الشعر الصغير والكبير ، وكتاب « مجاز ما جاء في الشعر وحرف عن جهته » وغيرها ، ليست إلا كتبا لغوية • اما شروحه لدواوين الشعراء فواضح أنها اقرب الى اللغة منها الى الادب وسنرى ذلك فيما بعد :

وكتب ابن السكيت أكثرها مفقود لانعرف عنها أكثر من اسمائها الا ان بعض كتب اللغة حفظت لنا نزرا يسيرا من بعض هذه الكتب كما فعل السيوطي في « المزهر » حيث نقل عن كتاب « الاصوات » وكتاب « المثنى والمكنى والمبنى والمؤاخى » وكتاب « المقصور والممدود » • وكما فعل ابن سيده فى كتابه « المخصص » الذي نثر فيه أمهات كتب اللغة وذكر من كتب ابن السكيت : الاصلاح ، والالفـاظ ، والفرق ، والاصوات ، والزبرج ، والمكنى والمبنى ، والممدود والمقصور ، ومعاني الشعر (١) •

---

(١) المخصص ١ـ١٢

وسيكون اعتمادنا على السيوطي في وصف كتب ابن السكيت المفقودة التي ينقل عنها وهي كتاب « المثنى والمبنى والمكنى » وكتاب « الاصوات » وكتابه « المقصور والممدود » اما ابن سيده فلا يمكن الاعتماد على مانقله من كتب ابن السكيت لسببين : اولهما ـ ان ابن سيده وان ذكر في مقدمته انه ينقل عن جميع كتب ابن السكيت وسمى بعضا منها ، لايذكر اسم الكتاب الذي ينقل عنه في صلب كتابه الا نادرا ، كما فعل حين ذكر كتاب « المكنى » (٢) اما في أكثر الاحيان فانه لايذكر اسم الكتاب الذي يأخذ عنه ، فهو حين يتكلم في باب (شدة الصوت) (٣) مثلا ينقل عن ابن السكيت الا ان الباحث لايستطيع ان يحدد من أي كتب ابن السكيت ينقل : أمن كتاب (خلق الانسان) أم من كتاب (الاصوات) ؟ . والسبب الثاني : انه لا ينقل الا تنفا قصيرة سرعان ما يردفها بأقوال غيره أو بتفسير له مما يجعل الباحث لا يستطيع أن يفرق بين قول ابن السكيت وقول غيره .

وتذكر فهارس الكتب وكتب التراجم لابن السكيت نيفا وثمانين مصنفا . وسنعرض فيما يلي لذكر هذه المصنفات على سبيل الاحصاء ، وهي مصنفات نستطيع ان نقسمها الى قسمين : الاول كتب اللغة والادب ، والثاني شروح الدواوين ، وسنرتب الكتب في كل قسم بحسب الحروف الابجدية ونرجيء البحث بالتفصيل فيما وصل الينا منها الى الباب الثاني حيث سيكون كلامنا عن منهجه أيضا .

---

(٢) مجلد ٣ السفر الثاني عشر صفحة ١٧٥
(٣) مجلد ٣ السفر الثاني عشر ص ١٣١ .

أولا : الكتب اللغوية والادبيـة :

١ ـ كتاب الابل :

ذكره ابن النديم [٤] وياقوت [٥] وابن خلكان [٦] وابن شاكر الكتبي[٧] وابن شـهبة[٨] ، وذكره أيضـا فى ايضـاح المكنون[٩] وفي هدية العارفين[١٠] .

٢ ـ أبيـات المعـاني :

ذكره عبدالقادر البغدادي [١١] بهذا الاسم ولعله أحد كتـابي « معاني الشعر » الصغير والكبير اللذين سيرد ذكرهما فيما بعد .

٣ ـ كتاب الاجناس :

ذكره ابن النديم [١٢] (وقال عنـه انـه كبير) وتابعه ابـن خلكان [١٣] ، وكذلك ذكره ياقوت [١٤] وابن شـاكر الكتبي [١٥]

أولا : الكتب اللغوية والادبية :

(٤) الفهرست ١ـ٧٣
(٥) معجم الادباء ٢٠ ـ ٥٣
(٦) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٢
(٧) عيون التواريخ ٦١٢
(٨) طبقات النحاة واللغويين لوحة : ٥٤٣
(٩) اسماعيل البغدادي ٢ـ٢٦١
(١٠) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٦
(١١) خزانة الادب ١ـ٤٨٧ ، ٢ـ٣٠١
(١٢) الفهرست ١ـ٧٢
(١٣) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٢
(١٤) معجم الادباء ٢٠ـ٥٢
(١٥) عيون التواريخ ٦١٢

وصاحب كشف الظنون[١٦] وصاحب ايضاح المكنون[١٧] وهدية العارفين [١٨] •

٤ ـ كتاب الأرضين والجبال والأودية : ذكره النجاشي[١٩]

٥ ـ اصلاح المنطق : وهذا الكتاب أشهر كتب ابن السكيت قاطبة بل من أشهر كتب اللغة ، وقد ذاع صيته وتداولته الأيدي في حياة مؤلفه ، وظل كذلك فيما بعد حتى قال فيه المبرد : « ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثله » • وقد أولاه علماء اللغة اهتمامهم فشرحوه واختصروه ، وهذبوه ، ورتبوه على حروف المعجم ، وشرحوا شواهده • ومنهم من رد عليه على نحو ما سنرى في الباب الثاني حيث نفرد بحثا له • وقد طبع في دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٩ بتحقيق أحمد محمد شاكر • وعبدالسلام هارون • ونشر صالح علي « تهذيب اصلاح المنطق للتبريزي » بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هجرية ، ١٩٠٧ ميلادية كما نشره أيضا « بدر الدين النعساني » في جزئين بالقاهرة سنة ١٩١٣م •

٦ ـ الاصوات : ذكره النجاشي[٢٠] وابن سيدة[٢١] وابن خير الأشبيلي[٢٢] ، وذكر أنه سمعه عن طريقين ينتهيان الى أبي علي البغدادي وهو المعروف بالقالي عن أبي بكر بن الأنباري عن أبيه عن أبي محمد عبدالله بن محمد بن رستم عن يعقوب بن السكيت •

---

(١٦) حاجي خليفة ٢ـ١٣٨٥
(١٧) اسماعيل البغدادي ٢ـ٢٦٢
(١٨) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٦
(١٩) كتاب الرجال ٢ـ٣١٣
(٢٠) المصدر السابق ، الموضع نفسه .
(٢١) المخصص ١ـ١٢
(٢٢) فهرسة ما رواه عن شيوخه ٣٨٢

وقد حفظ السيوطي نتفا من هذا الكتـــاب في كتابه المزهر[٣٣] ، الا أن هذه النتف لا تعطينا صورة واضحة عنه ، فلم يتجاوز ما نقله عنه هذه الأسطر القليلة :

قال السيوطي[٣٤] : « حكي أنـــه لصرنقح الصوت وصلنقـــح الصوت بالراء واللام أي صلب الصـــوت » ... وقال[٣٥] : « قال ابن السكيت فى كتابه الأصوات : « الألثغ فى الراء أن يجعـــل الراء في طرف لسانه وأن يجعل الصاد فاء ، والأرت أن يجعل اللام تاء » .. وقال أيضا[٣٦] : « فى كتاب الأصوات : كل زجر كـــان على حرفين الثاني منهما ياء فما قبلها مكسور مثل هي هي فاذا قلت فعلت همزت: فقلت هأهأت بالابل الا من ترك الهمزة فانه يقال هـــا هيت بالابل بغير همز » .. وقال أيضا[٣٧] :

« رجل طلابة ، وسيف مهذرمة »

هذا كل ما نقله السيوطي عن كتاب (الأصوات) وهو كما بينـــا لا يعطي صورة واضحة جلية عن الكتاب ومنهج ابن السكيت فيه ، غير أننا نستطيع القول أنه كتاب جمعت فيه الألفـــاظ التي تدل على الصوت وصفاته ، وطبيعته ، وعيوبه ، وما يعتري الانسان من نقص يخل بالنطق ونحو ذلك ...

٧ ــ الأضـــداد : ذكره ابن النديم[٣٨] والنجاشي[٣٩] وابن

---

(٢٣) انظر المزهر ١ــ٥٥٩ ، ٥٦٦ ، ٢ــ٩٠ ، ٢٠٥

(٢٤) المزهر ١ــ٥٩٩

(٢٥) نفس المصدر ١ــ٥٦٦

(٢٦) المصدر السابق ٢ ــ ٩٠

(٢٧) المصدر السابق ٢ــ٢٠٥ الهذرمة : القطع

(٢٨) الفهرست ١ــ٧٢

(٢٩) الرجال ٢ــ٣١٣

خير[٣٠] ، وذكر أنه سمعه عن الشيوخ الذين سمع عنهم كتاب (الأصوات) ، وذكره أيضا ياقوت[٣١] . وابن شاكر الكتبي[٣٢] وابن شهبة[٣٣] ـ وذكره أيضا صاحب ايضاح المكنون[٣٤] ، وهدية العارفين[٣٥] . ونشره المستشرق هفنر مع ثلاث رسائل فى الأضداد للأصمعي ، والسجستاني ، والصغاني فى بيروت سنة ١٩١٣ م . وسنفرد له بحثا خاصا فى الباب الثاني من هذا الكتاب .

٨ ـ الألفاظ : وقد طبع هذا الكتاب فى المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٥م . بعناية الأب لويس شيخو المتوفى فى ٨ ديسمبر ١٩٢٧ ، وقد ضم اليه في حواشيه شرح التبريزي المسمى « تهذيب الألفاظ » كما ضم فى الصلب بعض زيادات التبريزي ، وسمى عمله هذا « كنز الحفاظ » ، ثم عمد مرة أخرى وأفرد الصلب وحده مع بعض الزيادات وسمى عمله هذا « مختصر تهذيب الألفاظ » وطبعه فى المطبعة سالفة الذكر سنة ١٨٩٧[٣٦] . وهذا الكتاب من كتب ابن السكيت الجليلة ويأتي فى الأهمية لدى علماء اللغة فى الدرجة الثانية بعد اصلاح المنطق . وهو مرتب على أبواب المعاني كباب الخصب والغنى ، والجماعة . وقد تأثره كثير من علماء اللغة ونسجوا على منواله كابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) فى كتابه (أدب الكاتب) ، وعبدالرحمن بن عيسى الهمذاني (ت ٣٢٠ هـ) فى (الالفاظ الكتابية) . والثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) . فى (فقه اللغة) ثم ابن

---

(٣٠) الفهرسة ٣٨٢
(٣١) معجم الادباء ٢٠ ـ ٥٢
(٣٢) عيون التواريخ ٦١٢
(٣٣) الطبقات لوحة ٥٤٣
(٣٤) اسماعيل البغدادي ١ـ٩٤
(٣٥) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٦
(٣٦) انظر : اصلاح المنطق ، مقدمة المحققين : ص : ١١

سيده (ت ٤٥٨ هـ) في كتابه (المخصص) الذي جمع فيه وأوعى . وسنتكلم عن كل هذا بالتفصيل في البحث الخاص بهذا الكتاب في الباب الثاني .

٩ ــ الأمثال : ذكره ابن النديم[٣٧] ، وابن خلكان[٣٨] ، وياقوت[٣٩] ، وابن شاكر الكتبي[٤٠] ، وذكره أيضا في ايضاح المكنون[٤١] ، وهدية العارفين[٤٢] ، وذكره أيضا في الأغاني[٤٣] .

١٠ ــ الأنساب : ذكره ابن شاكر الكتبي[٤٤] ، وابن شهبة[٤٥] ، وهدية العارفين[٤٦] .

١١ ــ الأنواء : ذكره ابن شاكر الكتبي[٤٧] ، وابن شهبة[٤٨] ، وهدية العارفين[٤٩] .

١٢ ــ الأيام : ذكره بهذا الاسم صاحب ايضاح المكنون[٥٠] ، ولعله كتاب (الأيام والليالي) الآتي ذكره .

١٣ ــ الأيام والليالي : ذكره ابن النديم[٥١] وياقوت[٥٢]

---

(٣٧) الفهرست ١ــ٧٢
(٣٨) وفيات الاعيان ٥ : ٤٤٢
(٣٩) معجم الادباء ٢٠ــ٥٢
(٤٠) عيون التواريخ ٦١٢
(٤١) اسماعيل البغدادي ٢ــ٢٧٣
(٤٢) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٦
(٤٣) الاصفهاني : ٢١ــ١٨٩ (ط . بولاق) ، ٢١ــ٢٠٣ (ط.ساس) .
(٤٤) عيون التواريخ ٦١٢
(٤٥) الطبقات لوحة : ٥٤٣
(٤٦) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٦
(٤٧) عيون التواريخ ٦١٢
(٤٨) الطبقات لوحة : ٥٤٣
(٤٩) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٦
(٥٠) اسماعيل البغدادي ٢ــ٢٧٦ .
(٥١) الفهرست ١ــ٧٣
(٥٢) معجم الادباء ٢٠ــ٥٢

وابن شاكر الكتبي[٥٣] وابن شهبة[٥٤] وهدية العارفين[٥٥] .

١٤ ـ البحث : ذكره ابن النديم[٥٦] وياقوت[٥٧] وصاحب ايضاح المكنون[٥٨] ، وهدية العارفين[٥٩] وفى دار الكتب المصرية نسخةمخطوطة منهذاالكتاببرقم (١٣٨ لغةتيمور)ويبدو أنابنالسكيت قد جمع فيه الفاظا كان يبحث عنها وعن معانيها فى كتب اللغة فالالفاظ التي شرحها وعقب عليها فى هذا الكتاب لا تمت الى بعضها بصلة .

١٥ ـ البيان : ذكره صاحب كشف الظنون[٦٠] .

١٦ ـ التوسعة في كلام العرب : ذكره صاحب كشف الظنون[٦١] بهذا الاسم وفي مكان آخر[٦٢] باسم (التوسعة) فقط . ولعله عنوان لمجموعة من رسائل ابن السكيت اللغوية .

١٧ ـ كتاب الحشرات : ذكره ابن النديم[٦٣] وياقوت[٦٤] وابن خلكان[٦٥] وصاحب ايضاح المكنون[٦٦] وهدية العارفين[٦٧] .

---

(٥٣) عيون التواريخ ٦١٢
(٥٤) الطبقات ٥٤٣
(٥٥) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٦
(٥٦) الفهرست ١ـ٧٢
(٥٧) معجم الادباء ٢٠ـ٥٢
(٥٨) اسماعيل البغدادي ٢ـ٢٧٧
(٥٩) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٦
(٦٠) حاجي خليفة ١ـ٢٦٤
(٦١) حاجي خليفة ٢ـ١٤٠٦
(٦٢) حاجي خليفة ١ـ٥٠٧
(٦٣) الفهرست ١ـ٧٣
(٦٤) معجم الادباء ٢٠ـ٥٢
(٦٥) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٣
(٦٦) اسماعيل البغدادي ٢ ـ ٢٩٠
(٦٧) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٧

١٨ ـ خلق الانسان : ذكره ابن خير الاشبيلي [٦٨] ، وقال انه سمعه عن طريقين ينتهيان الى أبي علي البغدادي القالي عن أبي بكر الانباري عن أبيه عن عبدالله بن محمد بن رستم عن ابن السكيت ، الا أن ابن النديم والنجاشي لم يذكراه في مجموعة كتبه .

١٩ ـ كتاب الزبرج [٦٩] : ذكره ابن النديم [٧٠] وابن سيده [٧١] وياقوت [٧٢] وابن خلكان [٧٣] وابن شاكر الكتبي [٧٤] وصاحب هدية العارفين [٧٥] .

٢٠ ـ السرج واللجام : ذكره ابن النديم [٧٦] وياقوت [٧٧] وابن خلكان [٧٨] وابن شاكر الكتبي [٧٩] وابن شهبة [٨٠] وصاحب ايضاح المكنون [٨١] وهدية العارفين [٨٢] .

٢١ ـ سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه : ذكره بهذا الاسم

---

(٦٨) الفهرسة ص ٣٨٢
(٦٩) في الصحاح الزبرج بالكسر الزينة من وشي او جوهر او نحو ذلك . ويقال الزبرج الذهب وهو ايضا السحاب الرقيق فيه حمرة .
(٧٠) الفهرست ١ـ٧٢
(٧١) المخصص ١ـ١٢
(٧٢) معجم الادباء : ٢٠ ـ ٥٢
(٧٣) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٢
(٧٤) عيون التواريخ ٦١٢
(٧٥) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٧
(٧٦) الفهرست ١ـ٧٢
(٧٧) معجم الادباء ٢٠ـ٥٢
(٧٨) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٢
(٧٩) عيون التواريخ ٦١٢
(٨٠) الطبقات لوحة ٥٤٣
(٨١) اسماعيل البغدادي ٢ـ٣٠٢
(٨٢) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٧

ابن النديم [٨٣] وابن خلكان [٨٤] وصاحب ايضاح المكنون [٨٥] وهدية العارفين [٨٦] . اما ياقوت [٨٧] فيذكره باسم (سرقات الشعراء وما تواردوا عليه) . ويبدو ان هذا الكتاب من الكتب التي تمزج بين اللغة والادب ، ولو وصل الينا لاطلعنا على الشيء الكثير في هذا الباب أعني سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه ، ذلك لان ابن السكيت راوية حفاظة له اطلاع واسع على معاني الشعر يدل على ذلك شرحه لدواوين كثير من شعراء الجاهلية والاسلام، ويدل على ذلك أيضا كتاباه في معاني الشعر اللذان سنأتي اليهما بعد قليل .

٢٢ ـ طبقات الشعراء : ذكره ابن شاكر الكتبي [٨٨] وابن شهبة [٨٩] .

٢٣ ـ الطير : ذكره النجاشي [٩٠] .

٢٤ ـ غريب القرآن : ذكره ابن شاكر الكتبي [٩١] وابن شهبة [٩٢] وصاحب هدية العارفين [٩٣] .

---

(٨٣) الفهرست ١ـ٧٢
(٨٤) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٢
(٨٥) اسماعيل البغدادي ١ـ٩٤
(٨٦) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٧
(٨٧) معجم الادباء ٢٠ـ٥٢
(٨٨) عيون التواريخ ٦١٢
(٨٩) الطبقات لوحة ٥٤٣
(٩٠) الرجال ٢ـ٣١٣
(٩١) عيون التواريخ ٦١٢
(٩٢) الطبقات لوحة ٥٤٣
(٩٣) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٦

٢٥ ـ الفرق : ذكره ابن النديم [٩٤] وابن سيده [٩٥] وابن خير [٩٦] وياقوت [٩٧] وابن خلكان [٩٨] وصاحب هدية العارفين[٩٩] ، وذكره أيضا الجواليقي [١٠٠] .

٢٦ ـ الفصيح : وهو المشهور بأنه لابى العباس ثعلب غير أن السيوطي يذكر أنه مختلف في نسبته اليه وقيل أنه للحسن بن داود الرقى وقيل ليعقوب بن السكيت [١٠١] .

غير أن حاجي خليفة يرجح أنه لثعلب حيث يقول : « والاصح أنه لابى العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ، وهو كتاب صغير الحجم كثير الفائدة» [١٠٢] . ويبدو من رواية للمرزباني عن أبى عمر الزاهد ينقلها ياقوت [١٠٣] أن ثعلبا ألف الفصيح بينما كان يعقوب يعمل كتابه (اصلاح المنطق) فعاتبه ابن السكيت على ذلك . فقال له ثعلب : « كتابك كبير وأنا عملت الفصيح للصبيان » . وهذا يدل بصورة قاطعة على أن الفصيح لثعلب وليس لابن السكيت .

٢٧ ـ فعل وأفعل : ذكره ابن النديم [١٠٤] وياقوت [١٠٥] ،

---

(٩٤) الفهرست ١ـ٧٢
(٩٥) المخصص ١ـ١٢
(٩٦) الفهرسة ٣٨٢
(٩٧) معجم الادباء ٢٠ـ٥٢
(٩٨) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٣
(٩٩) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٦
(١٠٠) المعرب ١٣٤
(١٠١) بغية الوعاة ١ـ٣٩٧
(١٠٢) كشف الظنون ٢ـ٢٧٢
(١٠٣) معجم الادباء ٢ـ٢٨٣
(١٠٤) الفهرست ١ـ٧٢
(١٠٥) معجم الادباء ٢٠ـ٥٢

وابن خلكان [١٠٦] وابن شاكر الكتبي [١٠٧] وابن شهبة [١٠٨] وصاحب ايضاح المكنون [١٠٩] وهدية العارفين [١١٠] • ومن الجدير بالذكر أن ابـن السكيت أفرد بابين من الجزء الثاني من (اصلاح المنطق) لهاتين الصيغتين ولبيان أغلاط العامة فيهما [١١١] •

٢٨ ــ القلب والابدال : وقد نشره المستشرق الالماني «أوغست هفنر» مع ثلاث رسائل لغوية أخرى للاصمعي وابن الاعرابي وسـماه « الكنز اللغوي في اللسان العربي » وطبعه في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٠٣ ، وسنفرد لهذا الكتاب بحثا خاصا في الباب الثاني •

٢٩ ــ ما اتفق لفظه واختلف معناه : انفرد بذكره النجاشي [١١٢] ، وهذا الكتاب لو صحت نسبته الى ابن السكيت حيث أن احدا غيـر النجاشي لم يذكره ، ولو وصـل الينا لاضاف الى معلوماتنـا شـيئا جديدا فيما يخص تاريخ البلاغة التي كانت في ذلـك الحـين في دور نشأتها وتطورها فلا بد أنه يحتوي على ماجاء في الشعر والادب العربي من جناس كما يدل عليه عنوانه •

٣٠ ــ المثنى والمبنى والمكنى : ذكره بهذا الاسم ابن النديم [١١٣] وصاحب ايضاح المكنون [١١٤] وهدية العارفين [١١٥] ، وذكـره ابـن

---

(١٠٦) وفيات الاعيان ٥ــ٤٤٣
(١٠٧) عيون التواريخ ٦١٢
(١٠٨) الطبقات لوحة ٥٤٣
(١٠٩) اسماعيل البغدادي ٢ ــ ٣٢٠
(١١٠) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٧
(١١١) انظر (اصلاح المنطق) ص ٢٢٥ وما بعدها
(١١٢) الرجال ٢ــ٣١٣
(١١٣) الفهرست ١ــ٧٣
(١١٤) اسماعيل البغدادي ٢ــ٣٢٨
(١١٥) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٧

سيده [116] باسم (المكنى والمبنى) وابن شاكر الكتبي [117] وابن شهبة [118] باسم (المبنى والمكنى) • اما السيوطي [119] فيورد اسمه كاملا على مايبدو وهو : (المثنى والمكنى والمبنى والمؤاخى والمشبه والمحل) • • وقد حفظ السيوطي بعض أقسام هذا الكتاب •

وهو كما يدل عليه اسمه يتالف من أبواب ثلاثة : « المثنى » وهو معروف ، ثم « المكنى » أي مابدىء بأب وأم وذى ، و « المبنى » مابدىء بابن وبنت ، و « المؤاخى » اي مابدىء بكلمة (اخ) ، وبالاضافة الى ذلك جاء فيه أبواب تخص الجمع والدعاء والايمان •

أما فيما يتعلق بالمثنى فقسمه ابن السكيت الى ثلاثة أبواب : ذكر في الباب الاول ماجاء مثنى من الاعلام وجعله في فصلين : فقال في الفصل الاول منهما : « الملوان : الليل والنهار [120] وهما الجديدان والاجدان والعصران ••• والبَرْدَان والابْرَدَان والكَرَتَان والخفقتان • والحجران : الذهب والفضة • والاسودان : التمر والماء • وضاف قوم مزبدا المدني فقال لهم : مالكم عندي الا الاسودان فقالوا : ان ذلك لمقنعا : التمر والماء • فقال ماذاكم عنيت ، وانما أردت الحرة والليل • والابيضان : اللبن والماء ، وقال أبو زيد : الابيضان : الشحم واللبن ، ويقال الخبز والماء ، وقال ابن الاعرابي : الابيضان شحمه وشبابه ، وقد جعل بعضهم الابيضين الملح

---

(116) المخصص ١–١٢

(117) عيون التواريخ ٦١٢

(118) الطبقات لوحة ٥٤٣

(119) المزهر ٢–١٩١

(120) اضاف ابن سيده في المخصص (المجلد الثالث – السفر الثالث عشر ص ٢٢٣)
هذا الشاهد نقلا عن ابن السكيت :
الا يا ديار الحي بالشيعان ... امل عليها بالبلى الملوان

والخبز . والاصفران : الذهب والزعفران ، ويقال الورس والزعفران(١٢١) ... » ثم يقول : « وقولهم انما المرء بأصغريه يعني قلبه ولسانه ، وقولهم مايدري اي طرفيه أطول يعني نسبه من قبل أبيه ونسبه من قبل أمه هذا قول الأصمعي ، وقال أبو زيد : طرفاه أبوه وأمه وقال : الأطراف الوالدان والأخوة(١٢٢) . »

وفي الفصل الثاني يذكر الاعلام المثناه سواء أكانت أسماء مواضع أم أسماء أناس فهو يقول : « واذا كان بطنان من الحي أشهر وأعرف فهما الردفان والفرعان . والمسمعان امر وعبد الملك ابنا مالك بن مسمع ، ولم يكن يقال لواحد منهما مسمع ولكن نسبا الى جدهما بغير لفظ النسبة المعروفة التي تشدد ياؤها ، ومثله الشعثمان وهما من بني عامر بن ذهل ، ولم يكن يقال لواحد منهما شعثم ولكن نسبا الى شعثم أبيهما ، وهما شعثم الاكبر حارثة بن معاوية ، وشعثم الصغير شعيب بن معاوية ... وقالوا « هما الملحبان لرجلين من بكر ، والمسلبان : رجلان من بني تيم الله يقال لهما عمرو وعامر ، والقارظان رجلان من عنزة خرجا في التماس القرظ فلم يرجعا ، والأرقمان : مران وخزين ابنا جعفر ، والأحمقان : حنظلة بن عامر وربيعة وهو اسمهما قديما في الجاهلية كان يقال لهما : أحمقا مضر(١٢٣) ... » ثم يقول في أسماء المواضع : لشيطان : واديان فى أرض بنى تميم ، والشيقان : أبيرقان من أسفل وادي خنشل ، والقريتان على مراحل (من) النباج وهما قرية بأسفل وادي الرمة كانت لطسم وجديس ، وأرقاجحر : منزل من طريق البصرة الى مكة ، والحميان : حمى ضرية وحمى الربذة ،

(١٢١) المزهر ٢–١٧٣
(١٢٢) المزهر ٢–١٨٩
(١٢٣) المصدر السابق ٢–١٨٩

ورامتان على طريق البصرة الى مكة ، ونخلتان : واديان بتهامة ، نخلة اليمانية ونخلة الشامية ، وأبانان : جبلان أبان الابيض وأبان الاسود، والعرقتان : جرعاوان في أسفل بني أسد ، والانعمان :قريتان دون كبر (جبل) ، والبيضتان : هضبتان حذاء نغيبغ (جبل) ، وألبتان : هضيبتان بالجواب ،والنميرتان : هضيبتان على فرسخين منه ،والعلمان : جبلان ، وطخفتان : جبلان ، والخفظاوان : هضيبتان ، والبتيمان : جرعتان » (١٢٤) .

أما الباب الثاني فيورد فيه الالفاظ المثناة بالتغليب ، ويقسمها أيضا الى فصلين : الفصل الاول :أسماء الناس ، والفصل الثاني : ماجاء من أسماء غير الناس . وهو يقول في الفصل الاول : « باب الاسمين يغلب أحدهما على صاحبه لخفته أو لشهرته » ، من ذلك : « العمران : عمرو بن جابر بن هلال ، وبدر بن عمرو بن جؤية ، وهما روقا فزارة . قال الشاعر :

إذا اجتمع العمران عمرو بن جابر

وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا

والزهدمان : زهدم وقيس . وقال أبو عبيدة : هما زهدم وكردم ،والاحوصان : الاحوص ابن جعفر وعمرو بن الاحوص ،والابوان : الاب والام ، والخنتفان : الخنتف ،وأخوه سيف ابنا أوس بن حميري ، والمصعبان : مصعب بن الزبير وابنه عيسى ، وقيل مصعب وأخوه عبدالله بن الزبير ، والخبيبان : عبدالله ابن الزبير وأخوه مصعب ، والبجيران : بجير وفراس

---

(١٢٤) المزهر ٢-١٧٧

أبنا عبدالله بن سلمة الخير (١٢٥) ».

وفى الفصل الثاني يذكر أسماء غير الناس المثناة على وجه التغليب، قال : « ومن أسماء غير النـاس المبركان : المَبْرك ومَنَاخ نَقبَين ، والدُّخرُضان : الدُّخرُض ووَشيع ماءين ، والنَّباجَين لنباج ونبتل ، البديان للبدى والكلاب ودِيَين ، والقمران : للشمس والقمر ، والبصرتان : للبصرة والكوفة لان البصرة أقدم من الكوفة ، والرقتان : الرقة والرافقة ، والاذانان : الاذان والاقامة ، والعشاءان : المغرب والعشاء ، والمشرقان : المشرق والمغرب (١٢٦) ... »

والباب الثالث خاص بأسماء الناس ، وهو باب المثنى باتفاق طرفيه وقسمه أيضا الى فصلين : الفصل الاول خاص بالاسماء ، والفصل الثاني خاص بالالقاب . فقال فى الفصل الاول : « باب ما أتى مثنى من الاسماء لاتفاق الاسمين: الثعلبتان : ثعلبة بن جدعاء وثعلبة بن رومان ، والقيسان من طي قيس بن عتاب وابن أخيه قيس بن هذمة ، والكعبان : كعب بن كلاب وكعب بن ربيعة ، والخالدان : خالد بن نضلة وخالد بن قيس ... وفى بني قشير سلمتان : سلمة بن قشير وهو سلمة الشر ، وسلمة بن قشير وهو سلمة الخير ... (١٢٧) » وقال في الفصل الثاني : « ومما جاء مثنى مما هو لقب ليس باسم ، الحرقتان : تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة ، والكردوسان من بني مالك بن زيد مناة بن تميم قيس ومعاوية ابنا

(١٢٥) المصدر السابق ٢-١٨٦

(١٢٦) الزهر ٢-١٨٦ . النقب : طريق فى الجبل (عن الصحاح) .

(١٢٧) المصدر السابق ٢-١٨٧

مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيدمناة ، والمزروعان من بني كعب بن سعد بن زيد مناة : كعب ابن سعد ومالك بن كعب بن سعد ، ويقال لبني عبس وذبيان : الاجربان ، والانكدان : مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويربوع بن حنظلة ، قال : والانكدان : مازن ويربوع ، والكراشان : الازد وعبد القيس ، والجفان : بكر وتميم ، والقلعان من بني نمير صلاءة وشريح ابنا عمرو بن خويلقة بن عبدالله ابن الحرث بن نمير ، والكاهنان : بطنان من قريظة ، والخشيان : ثعلبة بن سعد بن ذبيان ومحارب بن خصفة ، والحليفان : أسد وطيء ، والصمتان : زيد ومعاوية ابنا كلب (١٢٨) ... »

وألحق ابن السكيت بالمثنى بابين يختصان بالجمع ، جعل أحدهما لما جاء من الالفاظ مجموعا والمقصود به واحد أو اثنان ، وجعل الثاني لجموع التغليب أو النسب ، الا أنه لم يقسم هذين البابين الى فصول كما فعل في أبواب المثنى . قال في باب الجمع والمقصود به واحد أو اثنان : « قال الاصمعي يقال القاه في لهوات الليث وانما له لهاة واحدة وكذلك وقع في لهوات الليث . وقالوا هو رجل عظيم المناكب وانما له منكبان ، وقالوا رجل ضخم الثنادي والثندوة : مغرز الثدي . ويقال هو يمشي على كراسيعه ، وهو عظيم النبادل والنبأدلة أصل لحم الفخذ (مهموزة) وقال ابن الاعرابي : النبأدلة : لحم أصل الثدي ... »

وقال في الباب الثاني : « يقال هم المهالبة ، والاصامعة ، والمسامعة ، والاشعرون والمعاول نسبوا الى أبيهم معولة بن شمس ،

---

(١٢٨) المزهر ٢ـ١٩١

والقُتَيْبات نُسِبُوا الى أبيهم قتيبة ، ومثلهم الرقيدات نسبوا الى رقيد من ثور من كلب ، والجَبَلات وهم بنو جَبَلَة ، والسلمات بطن من قشير كان يقال لابيهم سلمة . والعَبَلات وهم بنو عَبَلَة ، والحسلة من بني مازن كان فيهم حسل وحسيل ، والضِّباب معاوية بن كلاب كان فيهم ضبّ وضُبَيْب ، والحميدات والتويتات من بني أسد بن عبدالعزي رهط الزبير بن العوام ، والعبلات : أمية الصغرى أمهم عَبَلَة فبالعَبَلات يعرفون [129] .

والقسم الثاني من هذا الكتاب يذكر فيه ابن السكيت (المبنى) وهو المبدؤ بابن أو بنت وقسمه الى بابين : باب الابن وباب البنت ، الا أنه لايقسم كل باب الى فصول بل يجيء بالالفاظ العامة وبالاعلام سواء أكانت للناس أم للمواضع متداخلة .

قال في الباب الاول : « ابن ذُكاء الصُّبح ، وذُكاء هي الشمس ، وابن جَلا الرَّجُل المنكشفُ الامر البارزه الذي ليس به خَفَاء وأصله الصُّبح . ويقال أنا من هذا الامر فالج ابن خلاوة أي أنا مُتَخلي [130] بريء منه ، ويقال للخُبْز : جابر ابن حبَّة ، ويقال هو ابن بُعْثُطها أي العالم بها وبُعْثُط كل شيء وسطه ، وابنا مِلاط العَضُدان والمِلاطان : الابطان وابنا دُخان غَنيّ وباهلة ، وابنا طِمِرّ جبلان ، وابنا شَمَام : جبلان ، وابنا عِيان خط يخط في الأرض عرضاً يخط فيه خطوط طولا بعضها أطول من بعض يزجر بها فيقال : يا ابنا عِيان أسْرِعا البَيان .. ويقال هو ابن بَجْدَتِها اذا كان عالما بالأمر ، ويقال ابن مَدينة أي عالم بها وقيل معناه ابن أمة ، وابن دخن :

(129) المزهر ٢-٢٠٤

(130) هكذا فى المزهر والصحيح « متخل »

جبل ، ويقال انه لابن إحداهَا ادا كان قويا على الأمر عالما به ، وابن ليل اذا كان صاحب سمرقويا عليها[131] • ويقال لقيتُ فلاناً صَلْمَعَةَ بن قَلْمَعَةَ أي ليس معه قليل ولا كثير[132] » •

وقال فى باب البنت : « بنات بَخر وبنات مَخر : سحائب يجئن قبل الصيف مُنتصبات رقاق ، ويقال إحدى بنات طَبَق ، يضرب مثلا للداهية ، يرون أن أصلها الحية ، ويقال للداهية بنتُ طَبَق وأمُّ طَبَق ، وبنات طَبَار وطَمَار : الدواهي[133] » •

وقسم (المكنى) الى ثلاثة أبواب بغير فصول ، وهي أبواب المبدوء بأب وأم وذي •

قال فى المبدوء بأب : « أبو سعد : الهرم ، وأبو حُباحِب ما خرج من الحجرِ من النار اذا قرعه حافِر أو صكه حجرٌ آخر ، وأبو عسلة وأبو مذقة : الذئب ، وأبو الحِنبص : الثعلب ويقال للرجل اذا استنبط الشيء ما أنت بأبي عذرة : أي قد سُبِقتَ اليه • ويقال للخبز : أبو جابر ، وأبو قيس مكيال ، ويقال للأبيض أبو الجون ، وللأسود أبو البيضاء ، وأبو خَدْرَة طائر بالحجاز[134] » • وقال فى باب المبدوء بأم : « أم خرمان : بركة بطريق حاج البصرة وأم حَبَوْكَرى : أرض بلاد بني قشير ، ويقال وقعوا فى أمِّ حَبَوْكَرٍ اذا ضلوا • وجاء بأم حَبَوْكَر يعني الداهية ، ويقال وقعوا فى أم أدراصٍ مُضَلِّلَة : اذا وقعوا فى أرض مضللة ، ويقال للدنيا : أم خَنْثور

(١٣١) هكذا في المزهر ولعل الصحيح « قويا عليه »
(١٣٢) المزهر ١ـ٥١٩
(١٣٣) المزهر ١ـ٥٢٤
(١٣٤) المصدر السابق ١ـ٥٠٩

وأم شَملة ، وأم شَملة أيضا الشمال البـاردة ، وأم الصَّدى • رميمة صغيرة تكون في جـوف الدماغ ، وأم جِرذان : نخلـة بالمدينة ، ويقال للضـبع : أم رَشم لأنها ترسم الطـريق لا تارقه ، ويقال وقعـوا في أم خِنَّوْر اذا وقعـوا في خَصْب ولين من العيـش وأم عَوَيْف : دابة صغيرة مُخضَرَّة لها أربعة أجنحـة وهي أيضـا أم سُوف[١٣٥] » •

وقال في باب المبدوء بذي : « يقال ضربه حتى ألقى ذا بطنـه أي حتى سلح ويقال للمـرأة وضعت ذا بطنهـا أي وضعت حملها ، وطيء تقول : هو ذو[١٣٦] قال ذاك أي هـو الذي قال ذاك[١٣٧] » •

ولا ينقـل السيوطي في (المؤاخي) الا نزرا يسـيرا ، فيقول : « يقال تركته أخَا الخير أي هو بخير ، وتركتـه أخَا الشر ، أي هو بشـر ، قال الأصمعي ، وقول امـرىء القيس :

عَشِيَّة جَاوَزْنَا حَمَاةَ وسَـيْرُنَا
أخو الجهد لا يلوى علـى مَن تَعَذَّرَا

أي وسَيْرُنَا جاهِد • وقال بعض الصحابة للنبيّ (ص) : لا أكلمك الا أخا السِرار ، ويقـال تركته أخا الفِراش أي مريضـا ، وهو أخو رَغَائِب ، اذا كـان يرغب العطاء ، وتركته أخا الموت : أي تركته بالموت ، وتركته أخـا سَقَم أي سَقيماً[١٣٨] » •

ولا يعرف ما المقصود (بالمشبه والمنحل) اللذين جاءا في عنـوان

---

(١٣٥) المصدر السابق ١ـ٥١٦

(١٣٦) من الواضح ان (ذو هنا ليست من الباب لأنها بمعنى الذي) •

(١٣٧) المزهر ١ ـ ٥٣٠

(١٣٨) المصدر السابق ١ـ٥٢٩

الكتاب ، غير أن فيما ينقلـــه السيوطي قسمين آخرين غير مـا استعرضناه ، وهما (الأيمـــان) و(الدعاء) وقد أورد فى الأيمان ما بدىء منها بواو القسم ، ومـالم يبدأ بها دون فصـــول قال : « لاَ وَقَائِتِ نَفَسِي القصير ، لاَ والذِي لاأتقيه الا بِمَقتَلِه، لاَ ومقطَعِ القطرَة ، لاَ وفَالِقِ الاِصبَاح ، لاَ وَفَاتِـــق الصبَاح ، لاَ وَمَهِـــبِّ الرِيَاح ، لاَ ومنشـر الأرواح ، لا والذي مَسحت ايمن كعبته ،لاَ والذِي جَلَدَ الابـــل حلودَها ، لا والذي شـــق الجِبَالَ لِلسَيَل ،والرِجَالَ لِلخَيل[١٣٩] ••• » ثم يقـول:« قال أبو زيد : قال العُقَيلِيُون حرام الله لا آتيك ، كقولك يمين الله • وقالوا جيرِ لا أفعل ذلـــك غير منونة معناه نَعَمْ وأجـل • الكسائي : عوْضُ لا أفعل ذاك ، وعوضَ لا أفعل ذاك[١٤٠] » •

وفى الدعاء يبدأ بذكر الدعاء عليه قال : « باب ما يدعى به عليه ماله آم وعام • فآم هلكت امرأته،عام : هلكت ماشيته حتى يقـــام الى اللبن ، والعَيمَةَ شـــدة الشهوة للبن ، ويقال رجـــل عَيمَان وامرأة عَيمَاء ، وما له حَرِبَ وحَرِبَ وجَـرِبَ وذَرِبَ أي ذرب جســده وثلَ عرشه ويدِي من يده ••• قـال الباهلي : جعل الله رِزقَه فَوتَ فمه أي قريبا يخطئه أي ينظر اليـه قَدرَ ما يفوت فمه ، ولا يقـدر عليه • ورماه الله فى نَيطِه وهـو الوتين ••• قال أبو عبيـــدة فى التمثيل • أهلك هلاكـــه أراد الدعاء فدعا على الفعـل ، وحتَه الله حَتَ البَرمَةَ ولا نبع لـــه خلِفَ ظِلفاَ وزَالَ زوِيلُه: شَـــلَ وسلَ[١٤١] ••• » قال :

---

(١٣٩) المزهر ٢–٢٦٢
(١٤٠) المصدر السابق ١–٢٦٣
(١٤١) المصدر السابق ٢–٢٦٥

« قال البـــاهلي : رصف الله في حاجتك أي لطف لك فيها ، وقال أبو صاعد : سقاك الله دم جوفك واذا هريق دم الانسان هلـك • وقال أبو مهـــدي : أوءبك الله بالعافية وقرة العين [142] » •

وقال في التعوذ : « نعوذ بالله من النار وصائرة اليها ومن السـيل الحارق والجيش الجائح ، جاحوا أموالهم يجوحونها جوحا ، ومصائب القرائب ، وجاهد البلاء ومضلعات الأدواء • نعوذ بالله من وطأة العدو وغلبة الرجال وضلع الدين ، ونعوذ بالله من العين اللامّة أي عـين الحاسد التي تمر على مالك فيشوه لك ••• » [143]

وبعد فهذا عرض موجز لما ينقله السيوطي من هذا الكتـــاب النفيس وقد آثرنا الاعتماد على ما نقله السيوطي دون ابن سيدة لمـا ذكرناه سابقا من أن ابن سيدة كثيرا ما يخلط بين ما ينقلـه عن ابن السكيت وما ينقله عن غيره ، ولأنه لا يشير الى اسم الكتاب صراحـة الا في النادر •

استطاع ابن السكيت أن يجمع في الكتاب معظم الألفـاظ التي تقع في بابه • وكان يذكر في أول كل باب ما عنده في ذلك ، ثم ينقـل أو يروي عن غيره من اللغويين ممن تقدموا كالأصمعي ، وأبي زيد ، وأبي عبيدة ، وابن الأعرابي ، وغيرهم • وهو قد يورد اللفظـــة ويفسرها الا أنه في الغالب يتركها بدون تفسير ، وخاصة عند ذكر اسماء المواضع فهو يكتفي بأن يقول في باب (المثنى) مثـــلا : (ماءان ، وموضعان ، وقريتان ، وجبلان ، الى غير ذلك) • ربما أتى باللفظـة في قول عام أو مثل فيفسرها • واستشهد بالقرآن الكريم ، والحـديث الشريف ، والشعر العربي •

ويبدو أن السيوطي قد حذف بعض الشواهد الشـعرية التي

---

(١٤٢) المصدر السابق ٢ ـ ٢٧٠

(١٤٣) المزهر ٢ ـ ٢٧٠

نجدها عند ابن سيدة منسوبة الى ابن السكيت[١٤٤] •

٣١ ــ مجاز ما جاء في الشعر وحرف عن جهته : ذكره ابن شاكر الكتبي[١٤٥] بهذا الاسم ، وذكره ابن شهبة[١٤٦] باسم (ما جاز من معاني الشعر وحرف عن جهته) • وأكبر الظن أن هذا الكتاب تكملة للمحاولة التي قام بها أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه (مجاز القرآن) • ولو وصل الينا أصله لتبينا فيه أيضا أصلا من أصول البلاغة • على أن أصحاب التراجم والفهارس ممن تقدموا ابن شاكر الكتبي ، كابن النديم ، والنجاشي ، لم يذكروا هذا الكتاب فيما ذكروه من كتب ابن السكيت •

٣٢ ــ المذكر والمؤنث : ذكره ابن النديم[١٤٧] والنجاشي[١٤٨] وابن خلكان[١٤٩] وابن شاكر الكتبي[١٥٠] ، وابن شهبة[١٥١] ، وصاحب ايضاح المكنون[١٥٢] ، وهدية العارفين[١٥٣] ، وذكره أيضا في خزانة الأدب[١٥٤] •

٣٣ ــ معاني الشعر الصغير : ذكره ابن النديم[١٥٥] •

---

(١٤٤) انظر المعجم العربي للدكتور حسين نصار ١ــ١٥٢
(١٤٥) عيون التواريخ ٦١٢
(١٤٦) الطبقات لوحة ٥٤٣
(١٤٧) الفهرست ١ــ٧٢
(١٤٨) الرجال ٢ــ٣١٣
(١٤٩) وفيات الاعيان ٥ــ٤٤٢
(١٥٠) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)
(١٥١) الطبقات لوحة ٥٤٣ (مخطوطة)
(١٥٢) اسماعيل البغدادي ٢ ــ ٣٣٠
(١٥٣) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٧
(١٥٤) عبدالقادر البغدادي ١ــ٢٧٧ ، ٢ــ٣٠١
(١٥٥) الفهرست ١ــ٧٣

وياقـــــوت[١٥٦] وابن خلكـــــان[١٥٧] وابن شـــــاكر الكتبي[١٥٨] ، وابن شــــهبة[١٥٩] وصــــاحب ايضـــاح المكنون[١٦٠] وهدية العارفين[١٦١] .

٣٤ ــ معـــاني الشـــعر الكبير : ذكره ابن النـــديم[١٦٢] وياقـــوت[١٦٣] وابن خلكـــان[١٦٤] ، وابن شـــــاكر الكتبي[١٦٥] وابن شهبة[١٦٦] وصاحب ايضاح المكنـــــون[١٦٧] ، وهـــدية العـــارفين[١٦٨] ، والســـيوطي[١٦٩] اما ابـــن سيده[١٧٠] فيذكره باسم (معاني الشعر) فقط . ولا شك أن هـــذا الكتاب من الكتب الأدبية الا أنه لم يصل الينـــا ولذلك لا نستطيع القول فيه غير أن راوية حفاظة كابن السكيت لابد أن يدون في مثـل هذا الكتاب من نفائس الشعر العربي وغرر معانيه الشـــيء الكثير . ويذكر ابن خير الاشبيلي[١٧١] أنه قرأ كتاب باسم (معاني الأبيـــات)

(١٥٦) معجم الادباء ٢٠ــ٥٢
(١٥٧) وفيات الاعيان ٥ــ٤٤٣
(١٥٨) عيون التاريخ ٦١٢ (مخطوطة)
(١٥٩) الطبقات لوحة ٥٤٣ (مخطوطة)
(١٦٠) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٠٧
(١٦١) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٧
(١٦٢) الفهرست ١ــ٧٣
(١٦٣) معجم الادباء ٢٠ــ٥٢
(١٦٤) وفيات الاعيان ٥ــ٤٤٣
(١٦٥) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)
(١٦٦) الطبقات لوحة ٥٤٣ (مخطوطة)
(١٦٧) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٠٧
(١٦٨) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٧
(١٦٩) المزهر ١ــ١٦١
(١٧٠) المخصص ١ــ١٢
(١٧١) الفهرسة ٣٨٢

على نفس شيخيه اللذين قرأ عليهما كتب ابن السكيت الأخرى، كالأصوات، والأضداد رواية عن أبي علي البغدادي القالي عن أبي بكر الأنباري عن أبيه عن أبي محمد عبدالله بن محمد بن رستم عن يعقوب بن السكيت . ولعل المقصود بهذا الكتاب الأخير أحد كتابي ابن السكيت في معاني الشعر المذكورين .

٣٥ ـ المقصور والممدود : ذكره بهذا الاسم ابن النديم(١٧٢) والنجاشي(١٧٣) وابن خلكان(١٧٤) وابن شاكر الكتبي(١٧٥) ، وابن شهبة(١٧٦) وصاحب ايضاح المكنون(١٧٧) ، وهدية العارفين(١٧٨) ، وذكره ابن سيده(١٧٩) باسم (القصر والمد) . وينقل السيوطي(١٨٠) في المزهر تنفا منه لا تكفي للحكم عليه ، ولكن يبدو أن ابن السكيت حاول أن يجمع فيه كل ما جاء مقصورا وممدودا مع ذكر بعض التقييدات كقوله : « ليس في الكلام فُعَلاء (ساكنة العين) ممدودة الاحرفان ، يقال للقُوباء قُوباء والخُشَشَاء خُشْشَاء . قال وليس في الكلام فِعَلاء (مكسورة الفاء) مفتوحة العين ممدودة ، فِعلا الا ثلاثة أحرف : السيراء : ضرب من البرود ويقال في الذهب والجولاء ، والكلام فيه بالضم ، والعنباء للعنب ، قال : وليس في الكلام فَعَلاء (بتحريك ثانيه ،

---

(١٧٢) الفهرست ١ـ٧٢

(١٧٣) الرجال ٢ـ٣١٣

(١٧٤) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٢

(١٧٥) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)

(١٧٦) الطبقات لوحة ٥٤٣

(١٧٧) اسماعيل البغدادي ٢ـ٣٣٥

(١٧٨) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٧

(١٧٩) المخصص ١ـ١٢

(١٨٠) انظر المزهر ١ـ٤٤٠ ، ٢ـ٦٤ ، ٧١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١ـ٦٣٧ .

وفتح الفاء) غير هذين الحرفين السحناء : الهيئة لغة فى السحناء (بالسكون) وثأداء لغة فى ثأداء (بالسكون) • قال : وكل الاصوات مضمومة كالدعاء والرغاء ، والثغاء ، والعواء ، والمكاء : الصفير ، والحداء ، والضغاء : ضغاء الذئب ، والزقاء : زقاء الديك الا حرفين : النِداء وقد ضمه قوم فقالوا النُداء ، والغِناء[181] •

٣٦ ـ منطق الطير : ذكره صاحب هدية العارفين[182] بهذا الاسم ولعله كتاب (الطير) نفسه ، أو ما يتعلق بأصوات الطيور منه •

٣٧ ـ كتاب النبات والشجر : ذكره بهذا الاسم ابن النديم[183] وياقوت[184] في موضع ، وكذلك ابن خلكان[185] ، وابن شاكر الكتبي[186] وابن شهبة[187] ، وصاحب ايضاح مكنون[188] وهدية العارفين[189] • وأما ابن سيده[190] والنجاشي[191] وابن خير[192] وياقوت[193] في موضع آخر فيذكرونه باسم (النبات) فقط •

---

(١٨١) المزهر ٢/١٠٦ ـ ١٠٧
(١٨٢) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٧
(١٨٣) الفهرست ١ـ٧٢
(١٨٤) معجم الادباء ٢٠ـ٥٢
(١٨٥) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٢
(١٨٦) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)
(١٨٧) الطبقات لوحة ٥٤٣ (مخطوطة)
(١٨٨) اسماعيل البغدادي ٢ـ٣٤٢
(١٨٩) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٧
(١٩٠) المخصص ١ـ١١
(١٩١) الرجال ٢ـ٣١٣
(١٩٢) الفهرسة ٣٨٢
(١٩٣) معجم الادباء ١٤ـ٢٤٧

٣٨ ـ النـــــوادر : ذكره ابن النـــديم[١٩٤] وياقوت[١٩٥] وابن شاكر الكتبي[١٩٦] ، وابن شـــهبة[١٩٧] ، وصاحب ايضـــاح المكنون[١٩٨] وهدية العارفين[١٩٩]

٣٩ ـ الوحـــوش : ذكـــره ابـــن النـــديم[٢٠٠] وياقـــوت[٢٠١] وابن خلكـــان[٢٠٢] ، وابـــن شـــاكر الكتبـــي[٢٠٣] وابن شـــهبة[٢٠٤] وصـــاحب ايضـــاح المكنـــون[٢٠٥] وهـــدية العـــارفين[٢٠٦] ، وذكـــره النجاشي[٢٠٧] باسم (الوحش) .

ثانيا : شروح الدواوين :

لم يكن ابن السكيت راوية للغة فقط ، وانما كان أيضا راويـة لأشعار العرب ، روى شعر كثير من شعراء الجاهلية والاسلام وشرحه بالطريقه التي كانت معروفة آنذاك ، وهي ذكر البيت وشرح الغريب من ألفاظه ، وهذه الطريقة هي طريقة أبي الخطاب الأخفش ويقـال أنه أول من اتبعها بعد أن كان من قبله يروي القصيدة برمتها ثم يشرع في تبيان

---

(١٩٤) الفهرست ١ـ٧٢ ، ٨٨
(١٩٥) معجم الادباء ٢٠ـ٥٢
(١٩٦) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)
(١٩٧) الطبقات لوحة ٥٤٣ (مخطوطة)
(١٩٨) اسماعيل البغدادي ٢ـ٣٤٢
(١٩٩) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٧
(٢٠٠) الفهرست ١ـ٧٢
(٢٠١) معجم الادباء ٢٠ـ٥٢
(٢٠٢) وفيات الاعيان ٥ـ٤٤٢
(٢٠٣) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)
(٢٠٤) الطبقات لوحة ٥٤٣ (مخطوطة)
(٢٠٥) اسماعيل البغدادي ٢ـ٣٤٨
(٢٠٦) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٧
(٢٠٧) الرجال ٢ـ٣١٣

الغامض من ألفاظها[٢٠٨] • جمع ابن السكيت ما رواه للشعراء من دواوين مستقلة ولا نعرف عن معظم شروحه الا اسماءها ، الا أن بعضها وصلت الينا مخطوطة ، وطبع منها ثلاثة كما سنبين فيما بعد • ويبدو أن القدماء ممن عاصروا ابن السكيت وممن جاءوا بعده بقرن أو قرنين لم يكونوا يسمون هذا الجمع والتعليق على شعر الشعراء « شرحا » وانما يطلقون عليه كلمة (عمل) أو (صنعة) • كما فعل ذلك ابن النديم[٢٠٩] والنجاشي[٢١٠] ، ثم أطلق المتأخرون من أمثال ابن شاكر الكتبي[٢١١] وابن شهبة[٢١٢] كلمة (شرح) على هذا العمل •

جمع ابن السكيت كما قلنا وفسر شعر كثير من شعراء الجاهلية والاسلام ، ولم يكتف بذلك ، بل فسر ديوان أبي نواس ، وشرح قصيدة لعمارة بن عقيل من شعراء العصر العباسي •

وفيما يلي احصاء لما عمله أو شرحه من الدواوين :

أ ــ دواوين الشعراء الجاهليين :

١ ــ ديوان أبي دُواد : ذكره النجاشي[٢١٣] • ولعله ديوان أبي دُواد الايادي لأن هناك أكثر من شاعر عرف بهذه الكنية منهم أبو دُواد الايادي هذا وأبو دُواد الرؤاسي[٢١٤] ، غير أن الأول هو الأشهر •

٢ ــ ديوان الأعشى : ذكره ابن النديم[٢١٥] ، والنجاشي[٢١٦]

---

(٢٠٨) السيوطي : البغية ٢ــ٧٤
(٢٠٩) الفهرست ١ــ١٥٨
(٢١٠) الرجال ٢ــ٣١٣
(٢١١) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)
(٢١٢) الطبقات لوحة ٥٤٣ (مصورة)
(٢١٣) الرجال ٢ــ٣١٣
(٢١٤) المرزباني : معجم الشعراء صفحة : ١١٥
(٢١٥) الفهرست : ١ــ١٥٨
(٢١٦) الرجال ٢ــ٣١٣

وابن شاكر الكتبي[٢١٧]، وصاحب هدية العارفين[٢١٨] .

٣ ــ ديوان أعشى باهلة : ذكره ابن النديم[٢١٩] .

٤ ــ ديوان امرىء القيس : ذكره ابن النديم[٢٢٠] والنجاشي[٢٢١] .

٥ ــ ديوان أوس بن حجر : ذكره النجاشي[٢٢٢] .

٦ ــ ديوان بشر بن أبي خازم : ذكره ابن النديم[٢٢٣] والنجاشي[٢٢٤] .

٧ ــ ديوان الحارث بن حلزة : ذكره النجاشي[٢٢٥] .

٨ ــ ديوان زهير بن أبي سلمى : ذكره ابن النديم[٢٢٦] والنجاشي[٢٢٧]، وابن شاكر الكتبي[٢٢٨] وابن شهبة[٢٢٩]، وصاحب هدية العارفين[٢٣٠] .

٩ ــ ديوان السليك بن السلكة : ذكره النجاشي[٢٣١] .

---

(٢١٧) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)
(٢١٨) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٦
(٢١٩) الفهرست ١ــ١٥٨
(٢٢٠) الفهرست ١ــ١٥٧
(٢٢١) الرجال ٢ــ٣١٣
(٢٢٢) الرجال ٢ــ٣١٣
(٢٢٣) الفهرست ١ــ١٥٨
(٢٢٤) الرجال ٢ــ٣١٣
(٢٢٥) الرجال ٢ــ٣١٣
(٢٢٦) الفهرست ١ــ١٥٨
(٢٢٧) الرجال ٢ــ٣١٣
(٢٢٨) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)
(٢٢٩) الطبقات لوحة : ٥٤٣ (مخطوطة)
(٢٣٠) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٦
(٢٣١) الرجال ٢ــ٣١٣

١٠ ــ ديوان طــرفة : ذكره النجــاشي[٢٣٢] وعبدالقــادر البغدادي[٢٣٣] .

١١ ــ ديوان طفيل الغنوي : ذكره عبدالقادر البغدادي[٢٣٤] .

١٢ ــ ديوان عامر بن الطفيل : ذكره النجاشي[٢٣٥] .

١٣ ــ ديوان عروة بن الورد : ذكره ابن النديم[٢٣٦] ، وقد طبع ثلاث طبعات ، الاولى في القاهرة ١٢٩٣ هـ . ضمن مجموعة تشتمل على خمسة دواوين ، والثانيه في الجزائر ١٩٢٦ م . والثالثة في بيروت .

١٤ ــ ديوان علقمة الفحل : ذكره النجاشي[٢٣٧] .

١٥ ــ ديوان عمرو بن قميئة : ذكره ابن شــاكر الكتبي[٢٣٨] وابن شهبة[٢٣٩] .

١٦ ــ ديوان عمرو بن كلثوم : ذكره النجاشي[٢٤٠] .

١٧ ــ ديوان عنترة : ذكره النجاشي[٢٤١] .

١٨ ــ ديوان قيس بن الخطيم : لم يذكر في كتب التــراجم وفهارس الكتب ، الا أن المستشرق كوالسكي طبعه في ليزج ســنة ١٩١٤ م . وطبع بتحقيق ناصر الدين الأسد ، ونشر دار العروبــة بالقاهرة سنة ١٩٦٢ . ونسخة الأصل محفوظة في مكتبة طبقبوسراي (أحمد الثالث) في القسطنطينية برقم ٢٥٣٤ ، وصورها معهــد

---

(٢٣٢) الرجال ٢ــ٣١٣

(٢٣٣) خزانة الادب ١ــ٥٠٥ ، ٤ــ١٣٩

(٢٣٤) المصدر السابق ، الموضع نفسه

(٢٣٥) الرجال ٢ــ٣١٣

(٢٣٦) الفهرست ١ــ١٥٨

(٢٣٧) الرجال ٢ــ٣١٣

(٢٣٨) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)

(٢٣٩) الطبقات لوحة ٥٤٣ (مخطوطة)

(٢٤٠) الرجال ٢ــ٣١٣

(٢٤١) المصدر السابق ، الموضع نفسه .

المخطوطات بجامعة الدول العربية في ميكروفيلم . وقد كتب على هذه النسخة انها من شرح ابن السكيت وغيره[٢٤٢] . وفي دار الكتب نسخة أخرى برقم ٦١٢ أدب منقولة عن النسخة الآنفة الذكر . وفي الدار أيضا نسختان أخريان نقلتا عن النسخة الثانية[٢٤٣] .

١٩ ــ ديوان لبيد بن ربيعة : ذكره ابن النديم[٢٤٤] .

٢٠ ــ المعلقات : ذكره ابن شاكر الكتبي[٢٤٥] ، وابن شهبة[٢٤٦] ، وصاحب هدية العارفين[٢٤٧] .

٢١ ــ ديوان مهلهل بن ربيعة : ذكره ابن النديم[٢٤٨] .

٢٢ ــ ديوان النابغة : ذكره النجاشي[٢٤٩] ، وذكر نعمان أمين طه أنه حصل على نسخة مخطوطة منه ووعد بنشرها[٢٥٠] .

ب ــ دواوين الشعراء المخضرمين :

١ ــ ديوان تميم بن أبي مقبل : ذكره ابن النديم[٢٥١] .

٢ ــ ديوان حسان بن ثابت : ذكره النجاشي[٢٥٢] .

---

(٢٤٢) ديوان قيس بن الخطيم ١٦

(٢٤٣) المصدر السابق ١٩ ، ٢٠

(٢٤٤) الفهرست ١ـ١٥٨

(٢٤٥) عيون التواريخ ٦١٢

(٢٤٦) الطبقات لوحة ٥٤٣

(٢٤٧) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٦

(٢٤٨) الفهرست ١ـ١٥٨

(٢٤٩) الرجال ٢ـ٣١٣

(٢٥٠) ديوان الحطيئة ص ٣٨

(٢٥١) الفهرست ١ـ١٥٨

(٢٥٢) الرجال ٢ـ٣١٣

٣ ــ ديوان الحطيئة : ذكره ابن النديم[٢٥٣] ، وقد طبع مع شروح أخرى بتحقيق نعمان أمين طه في مطبعة الحلبي ١٩٥٨ نقلا عن مخطوطة عاطف أفندي في تركيا المذكورة برقم ٢٧٧٧ وقد صورت هذه المخطوطة على شريط ميكروفيلم وأودع معهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٥٠٦ .

٤ ــ ديوان الخنساء : ذكره ابن النديم[٢٥٤] . وقد استعان به لويس شيخو في طبعته لديوان الخنساء ١٨٩٦[٢٥٥] .

٥ ــ ديوان العباس بن مرداس : ذكره ابن النديم[٢٥٦] .

٦ ــ ديوان مزرد بن ضرار : ويوجد في المخطوطة التي بها ديوان السموأل الذي طبعه لويس شيخو[٢٥٧] .

٧ ــ ديوان النابغة الجعدي : ذكره ابن النديم[٢٥٨] .

ج ــ دواوين الشعراء الاسلاميين :

١ ــ ديوان الأخطل : ذكره النجاشي[٢٥٩] ، وابن شاكر الكتبي[٢٦٠] ، وابن شهبة[٢٦١] ، وصاحب هدية العارفين[٢٦٢] .

---

(٢٥٣) الفهرست ١ــ١٥٨
(٢٥٤) الفهرست ١ــ١٥٨
(٢٥٥) دائرة المعارف الاسلامية ١ــ٢٠١
(٢٥٦) الفهرست ١ــ١٥٨
(٢٥٧) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٢ــ٢٠٧
(٢٥٩) الرجال ٢ــ٣١٣
(٢٦٠) عيون التواريخ ٦١٢
(٢٥٨) الفهرست : ١ــ١٥٨
(٢٦١) الطبقات لوحة : ٥٤٣
(٢٦٢) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٦

٢ ـ ديوان جامع بن مرخية : ذكره النجاشي[٢٦٣] .

٣ ـ ديوان جرير : ذكره ابن النديم[٢٦٤] ، والنجاشي[٢٦٥] .

٤ ـ ديوان حميد الأرقط : ذكره ابن النديم[٢٦٦] .

٥ ـ ديوان حميد بن ثور : ذكره ابن النديم[٢٦٧] .

٦ ـ ديوان سحيم بن وثيل الرياحي : ذكره ابن النديم[٢٦٨] .

٧ ـ ديوان عمر بن أحمر : ذكره النجاشي[٢٦٩] .

٨ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة : ذكره صاحب هدية العارفين[٢٧٠] .

٩ ـ ديوان الفرزدق : ذكره النجاشي[٢٧١] .

١٠ـ ديوان القتال الكلابي : ذكره ابن شاكر الكتبي[٢٧٢] ، وابن شهبة[٢٧٣] ، وصاحب هدية العارفين[٢٧٤] .

١١ ـ ديوان الكميت : ذكره ابن النديم[٢٧٥] .

١٢ـ ديوان أبي النجم العجلي : لم تذكره كتب التراجم والفهارس عند ذكرها كتب ابن السكيت على الرغم من أن عمله لهذا الديوان كان السبب في شهرته وذيوع صيته قال ثعلب : « كان سبب قعود

---

(٢٦٣) الرجال ٢ـ٣١٣

(٢٦٤) الفهرست ١ـ١٥٨

(٢٦٥) الرجال ٢ـ٣١٣

(٢٦٦) الفهرست ١ـ١٥٨

(٢٦٧) المصدر السابق ، الموضع نفسه .

(٢٦٨) المصدر السابق ، الموضع نفسه .

(٢٦٩) الرجال ٢ـ٣١٣

(٢٧٠) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٦

(٢٧١) الرجال ٢ـ٣١٣

(٢٧٢) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)

(٢٧٣) الطبقات لوحة ٥٤٣ (مخطوطة)

(٢٧٤) اسماعيل البغدادي ٢ـ٥٣٦

(٢٧٥) الفهرست ١ـ١٥٨

يعقوب بن السكيت وقصدهم اياه ، أنه عمل شعر أبي النجم العجلي وجوده ، فقلت : ادفعه الي لأنسخه ، فقال له : علي يمين يا أبا العباس بالطلاق أنه لا يخرج من يدي ، ولكنه بين يديك فانسخه • فقلت له : فأحضر يوم الخميس فلما وصلت عرف أصحابنا فحضروا بحضوري ، ثم انتشر ذكر ذلك فحضر الناس »[٢٧٦] •

د ــ دواوين الشعراء العباسيين :

١ ــ ديوان أبي نواس : ذكره ابن النديم[٢٧٧] ، وقال أنه عمله على غير حروف المعجم في نحو ثمانمائة ورقة وجعله عشرة أصناف • أما ابن شاكر الكتبي[٢٧٨] ، وابن شهبة[٢٧٩] ، فيذكران انه جعله اثنى عشر صنفا ، وأما صاحب هدية العارفين[٢٨٠] فيذكر أنه في نحو ثلاثمئة ورقة فقط •

٢ ــ شرح قصيدة لعمارة بن عقيل : ذكر ذلك بروكلمان[٢٨١] •

طريقته في الشرح :

ويجدر بنا هنا أن نلقي بعض الأضواء على طريقة ابن السكيت في الشرح ، من خلال ما وصل الينا من الشروح وهي ثلاثة كما رأينا • وسيكون اعتمادنا على شرحه لديوان عروة لأنه أوسع هذه الشروح وأكثرها دلالة على طريقته في الشرح •

ونستطيع أن نجمل طريقته في الشرح في هذه النقاط الأساسية :

١ ــ يقدم لكل قصيدة بنبذة تاريخية تبين سبب نظمها أو توضح الحادثة التي تعرضت لها : فالقصيدة الأولى ومطلعها :

أرقت وصحبتي بمضيق عَمْقٍ ... لبرق في تهامة مستطير

---

(٢٧٦) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢٣ •
(٢٧٧) الفهرست ١ ــ ١٦٠ •
(٢٧٨) عيون التواريخ ٦١٢ (مخطوطة)
(٢٧٩) الطبقات لوحة ٥٤٣ (مخطوطة)
(٢٨٠) اسماعيل البغدادي ٢ــ٥٣٦
(٢٨١) تاريخ الادب العربي ٢ــ٢٠٧

ذكر ابن السكيت في مقدمتها أن عروة كان أصاب امرأة من سبي كنانة بكرا فأعتقها وتزوجها ولبثت عنده بضع عشرة سنة ، ثم احتالت عليه حتى أقنعته بالذهاب للحج ، فذهب الى مكة ثم الى المدينة ، ولما دخلت الأشهر الحرم أتى بها قومها فاحتالوا عليه ففاداها على أن يترك لها الخيار في أن تبقى مع أهلها أو تذهب مع عروة الى أولادها ، فلما خيرت اختارت المكوث بين قومها ورفضت الذهاب معه لأنها أبت على نفسها أن تعيرها نساء قومه بأنها أمة سبية(٢٨٢) .

الا أنه قد يهمل تقديم بعض القصائد وذكر أسباب قولها كالقصيدة التاسعة التي مطلعها :

عفت بعدنا من أم حسان غضور ... وفي الرحل منها آية لا تغير

٢ ـ يحاول أن يجمع بين القصائد التي قيلت في مناسبة واحدة ، كالقصيدتين الأولى والثانية ، أو اللتين قيلتا في مناسبتين متقاربتين كالقصيدتين الخامسة والسادسة فقد قدم للخامسة التي مطلعها :

قلت لقوم في الكنيف تروحوا ... عشيّة قلنا عندماوان رزح

بقوله : « وقال عروة يذكر شدة حال أهل الكنيف ومن ماوان وقيامه بأمرهم حتى صلحوا وندبه اياهم حتى خرجوا معه(٢٨٣) » . ولما فرغ من شرح هذه القصيدة قال : « فأعطاه مالك بعيرا فقسمه بين أصحابه وسار حتى أرض بني القين وهم بأرض التيه فهبط أرضا ذات لخافيق وهي الحجرة ، الواحد لخقوق ، فيها ماء فرأى آثارا ، فقال هذه آثار من يرد هذا الماء فاكمنوا فاحر أن يكون قد جاءكم رزق ، وفي أرض بني القين عرى من الشجر العظام اذا أجدب الناس رعوها فعاشوا فيها فأقام أصحاب عروة يوما ثم ورد عليهم فصيل فقالوا دعنا فلنأخذه فنأكل منه يوما أو يومين فقال انكم اذاً تنفرون أهله وان بعده ابلا

(٢٨٢) شرح ديوان عروة بن الورد صفحة : ٣٩ .
(٢٨٣) شرح ديوان عروة بن الورد ص ٩٧

فتركوه فندموا وجعلوا يلومون عروة من الجوع الذي جهدهم ووردت ابل بعده بخمس فيها ظعينة ورجل معه السيف والرمح ، والابل مائة متال ، فخرج اليه عروة فرماه في ظهره بسهم أخرجه من صدره فخر ميتا واستاق عروة الابل والظعينة حتى أتى قومه »[284] .

ثم أورد قصيدته السادسة التي قيلت في هذه المناسبة ، ومطلعها :

أليس ورائي أن أدب على العصا

فيأمن أعدائي ويسأمني أهلي[285]

٣ ــ فى شرح القصيدة يوردها بيتا بيتا وبعد كل بيت شرحه وهي الطريقة التي سار عليها من جاء بعد أبي الخطاب الأخفش وكان المألوف قبله أن تورد القصيدة بأجمعها ثم يشرع في شرحها كما قلنا سابقا .

٤ ــ وهو يستعين بمن شرح هذا الديوان قبله كالأصمعي وابن الأعرابي .

٥ ــ ويصب اهتمامه في الغالب على شرح الغريب من الألفاظ مع الالتفات في بعض الأحيان الى معنى البيت كاملا .

٦ ــ وكعادته في سائر كتبه يعتد بالاستشهاد ويستعين بالشعر في توضيح معاني الألفاظ التي يشرحها .

ومن الشعراء الذين استشهد بشعرهم :

ابن أحمر ، وأبو حية النميري ، وأبو خراش الهذلي ، وليلى الأخيلية ، ولبيد ، والنمر بن تولب ، والهذلي .

وعلى العموم فان ما أورده من الشواهد الشعرية قليل ، ولم يهتم بالشواهد الأخرى على خلاف ما سنراه في كتبه اللغوية حيث يبدو هناك مولعا بذكر الاستشهادات من الشعر والمثل والقرآن والحديث وكلام الفصحاء من الأعراب .

---

(٢٨٤) المصدر السابق : ١٠٤

(٢٨٥) المصدر السابق : ١٠٥

الباب الثاني

دراسة لاهم آثاره ، ومصادره ، ومنهجه

١ ـ اصلاح المنطق .

٢ ـ الالفــاظ .

٣ ـ الاضداد ـ القلب والابدال .

٤ ـ مصادره ، ومنهجه ، ومنزلته العلمية .

الفصل الاول

اصلاح المنطــــق

١ ـ نسخ الكتاب .

٢ ـ عرض الكتاب .

٣ ـ زمن تأليفه .

٤ ـ أهميته ، والدراسات التي قامت حوله :

أ ـ مختصر جوامع أصلاح المنطق ، لابن رفاعــة .
ب ـ مختصر أصلاح المنطـــق ، للوزير المغربي .
ج ـ خلاصة اصلاح المنطق ، للراغب الاصفهاني .
د ـ تهذيب اصلاح المنطـــق ، للتبريـــــزي .
هـ ـ تفسير أبيات اصلاح المنطق ، لابن السيرافي .

الفصل الاول

اصلاح المنطق

١ ـ نسخ الكتاب :

يعد كتاب « اصلاح المنطق » أشهر كتب ابن السكيت قاطبة وأوسعها انتشارا وأكثرها أهمية عند علماء العربية ، وقد طبع هذا الكتاب طبعتين الأولى سنة ١٩٤٩ والثانية سنة ١٩٥٦ بتحقيق الاستاذين أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون .

والنسخة الأصلية التي اعتمد عليها تعود الى القرن الرابع وهي تحمل سماعا على ابن فارس (سنة ٣٧٢) وتنتهي روايتها الى أبى محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري المتوفى (سنة ٣٠٤) وله فى أثنائها شروح وتعليقات منسوبة اليه . ومما انفردت به أيضا تعليقات لأبي الحسن علي بن عبد الله الطوسي وكان معاصرا لابن السكيت قرينا له في الأخذ عن ابن الأعرابي ونصران الخراساني اللغوي[١] .

والنسخة الثانية التي اعتمد عليها المحققان مخطوطة بدار الكتب المصرية مودعة برقم ٢٧ لغة م وهي أغزر النسخ جميعها مادة . اذ بها كثير من الزيادات التي ليست من أصل الكتاب ، كما أنها تحوي في أثنائها مقابلات لنسخ مختلفة من أصول الكتاب يشار اليها برموز

---

(١) انظر مقدمة المحققين الطبعة الثانية (صفحة ١٤) .

مختلفة . ويوجد فيها عناية خاصة بنسبة الأشعار والأرجاز الى قائليها وتاريخ كتابة هذه النسخة هو العشر الأول من ذي القعدة سنة ٧٨٥ الا أن المحققين عداها نسخة هجينة لما احتوته من اضافات .

والنسخة الثالثة مخطوطة بدار الكتب المصرية مودعة برقم ٤٣١ لغة . وقد فرغ من كتابتها في ربيع الآخر سنة ٤٧٦ . وهي مضبوطة وعليها تعليقات وحواش . ولكنها مبتورة من أولها وفي أثنائها أيضاً .

والنسخة الرابعة نسخة بمكتبة الاسكوريال مودعة فيها برقم (أ ر ١١٢٠) كتب عليها أنها رواية أبي العباس أحمد بن يحيى النحوى المعروف بثعلب وأبي علي اسماعيل بن القاسم القالى البغدادي وعليها سماع أبي محمد عبدالله بن اسماعيل ابن فرج علي جعفر بن محمد بن مكي بن أبي طالب القيسي في جمادى الأولى سنة ٤٣١ . وهي منقولة عن أصل قديم تاريخ تصحيحه وقراءته شوال من سنة ٢٩٨ وعليه تعليقات بخط ثعلب . وهذه النسخة مكتوبة بخط مغربي ، وعليها طرر وتعليقات كثيرة . وقد صورت هذه النسخة لقسم المخطوطات الملحق بالجامعة العربية[٢] .

ويبدو أن للكتاب روايات متعددة منها رواية التبريزي ورواية أبي علي القالي[٣] وتنتهي هذه الروايات الى أبي محمد القاسم بن بشار الأنباري عن أبي عبد الله محمد بن رستم مستلى يعقوب .

٢ ـ عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ثلاثة وتسعين بابا من غير مقدمة وقد عرف عنه ذلك منذ زمن تأليفه فقال عنه العلماء حين قارنوه بكتاب (أدب) الكاتب لابن قتيبة : « اصلاح المنطق » كتاب بلا خطبة وأدب الكاتب خطبة بلا

(٢) انظر مقدمة المحققين الطبعة الثانية (صفحة ١٤) .
(٣) انظر بروكلمان ٢ : ٢٠٦ وفهرسة ابن خير ص ٣٣١ وما بعدها .

كتاب[٤] • ويتألف الكتاب من جزأين يضم الجزء الأول ثمانية وستين بابا والجزء الثاني خمسة وعشرين بابا • وتتراوح أبواب الكتاب بين الطول والقصر فقد يبلغ بعضها من القصر بحيث لا يتجاوز سطرا وبعض سطر وقد يبلغ بعضها من الطول بحيث يتجاوز سبعا وخمسين صفحة •

يبدأ ابن السكيت كتابه بباب (فَعل وفِعل باختلاف معنى) ثم يردفه بباب من هاتين الصيغتين باتفاق معنى • بدأ الباب الأول بقول : « الحَمْل : ماكان في بطن أو على رأس شجرة وجمعه أحمال • والحِمْل : ما حمل على ظهر أو رأس • قال الفراء : ويقال امرأة حامل وحاملة اذا كان في بطنها ولد وأنشد الأصمعي :

تمخضت المنونُ له بيوم أَنَى ولكل حاملةٍ تِمام

فمن قال حامل قال : هذا نعت لايكون الا للمؤنث • ومن قال حاملةٌ بنى على حَمَلَتْ فاذا حَمَلَتْ شيئا على ظهر أو رأس فهي حاملة لاغير لأن هذا قد يكون للمذكر •

والوَقْر : الثقل في الأذن ، من قول الله تبارك وتعالى : (وفي آذاننا وقر) ويقال منه قد وُقرت أذنه فهي موقورة ، ويقال : اللهم قِرِ أذنه • ويقال أيضا : قد وقِرت أذنه تَوْقَر وَقْراً • والوِقْر : الثقل يُحمل على رأس أو على ظهر ، من قوله تبارك وتعالى : (فالحاملات وِقرا) • ويقال : جاء يحمل وِقره • قال الفراء : ويقال هذه امرأة مُوقَرَة ، اذا حملت حَملا ثقيلاً • وهذه نخلة موقِر وموقِرة وموقَرَة • وقد وقُر الرجل من الوقار فهو وقور[٥] » •

وهكذا يمضي ابن السكيت في عرض مواد الباب فيذكر الصيغتين ويشرح معناهما مستشهدا بالقرآن والحديث والمثل والشعر محدثا عن شيوخه من اللغويين كأبي عمرو الشيباني والفراء ، وابن الأعرابي • وربما حكى عن آخر كالأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد •

---

(٤) مرآة الجنان : ٢ : ١٤٨

(٥) الطبعة الثانية ٣ ـ ٤ •

والباب الثاني يورد فيه ماجاء على هذين الوزنين أعني (فَعْل وفِعْل) باتفاق معنى كالنَّهى والنِّهى ، والحَج والحِج ، والفَقع والفِقع ، فيقول : « قال أبو عبيدة : تميم من أهل نجد يقولون : النِّهى الغدير وغيرهم يقولون نَهى • وهو الحَج والحِج ، ويقولون هذا فَقع بقَرقَرة وفِقع قرقرة وهو الكمأة البيضاء التي تنجلها الدواب برجلها ، يشبه به من لا خير عنده من الرجال • ويقال هي السَّلم والسِّلم ، للصلح وقوم يفتحون أوله • قال عباس بن مرداس :

السَّلم تأخذ منها ما رضيتَ به والحَرب يكفيك من أنفاسها جُرَع

ويقال خَرَص النخل خِرصاً . بكسر الخاء وسكون الراء وان شئت خَرْصاً • ويقال ذهب بنو فلان ومن أخذ أخذهم يكسرون الألف ويضمون الذال وان شئت فتحت الألف وضممت الذال وقوم ينصبون الألف ويفتحون الذال • قال : وقال يونس : أهل العالية يقولون : الوَتر في العدد والوِتر في الذحل ، وتميم تقول : الوِتر في العدد وفي الذحل[٦] سواء » • ومن الواضح أن هذا الباب يختص باللغات وهو كالباب السابق يتضمن مواد كثيرة رواها ابن السكيت عن العرب وعن شيوخه وعلماء العربية الذين تقدموا واستشهد كذلك بالقرآن والحديث والشعر والمثل •

وهكذا تتوالى أبواب الكتاب فيأتي بعد ذلك باب (فِعْل وفَعْل باختلاف معنى) ثم باب هاتين الصيغتين باتفاق معنى •

وهكذا رتب ابن السكيت أبواب كتابه على غير تنسيق فربما قارب بين أبواب متباعدة وربما باعد بين أبواب متقاربة • فالباب الخامس هو باب (فَعْل وفَعَل باختلاف معنى) • يورد بعده أبوابا مختلفة ثم يجيء بالباب الحادي عشر وهو باب (فَعْل وفَعَل من المعتل) وكان حقه أن يضم الى الباب الخامس أو يأتي بعده • وأكثر

---

(٦) الطبعة الثانية : صفحة : ٣٠

أبواب هذا الجزء خاص بصيغ الأسماء وخاصة تلك التي يحتمل فيها الالتباس بتغيير حركات حروفها • فبالاضافة الى الأبواب المذكورة آنفا هناك باب فَعَل وفَعَل باختلاف معنى وباب فَعْل وفِعْل وفُعْل باتفاق معنى • وباب فَعْل وفَعَل ، باب فَعْل وفَعَل من المعتل ، باب فِعَل وفَعَل من المعتل • فَعَل وفُعَل باتفاق معنى • باب فَعْل وفَعَل من المعتل • فَعْل وفَعَل من السالم • فِعَل وفَعَل من السالم بمعنى واحد • باب فِعَل وفِعَل بمعنى واحد فَعْلَل وفُعْلَل بمعنى واحد • فِعَل وفَعَل بمعنى واحد • باب فِعْلِل وفَعْلَل بمعنى واحد باب فِعلال وفُعلول بمعنى واحد • باب فِعَال وفَعَال بمعنى واحد • باب الفِعَال والفُعَال بمعنى واحد • باب الفَعَال والفُعَال بمعنى واحد • باب فَعِيل وفَعَال • باب فَعِيل وفِعَال وفعّال • باب الفَعول والفَعال والفُعول والفَعال • باب الفَعالة والفُعولة – باب الفَعالة والفِعالة بمعنى واحد • الفُعالة والفَعالة • الفِعالة والفُعالة • باب فَعْلَه وفُعْلَه • باب فِعْلَه وفُعْلَه • باب فَعْلَه وفِعْلَه وفُعْلَه • باب فَعْلَه وفِعْلَه ، باب فُعْلَه وفُعْلَه • باب مَفْعَلَة ومَفْعُلَة – باب مِفْعَلَة ومَفْعَلَه • باب مَفْعَل ومِفْعَل • باب مَفْعِل ومَفْعَل • باب ما كان على مِفْعَل ومِفْعَلَة فيما يحتمل مَفْعَل ومِفْعَل • وفَعُّول وفَعّول وفَعْلول • فِعِّيل وفِعْلِيل ومِفْعِيل • المصادر الميمية واسما الزمان والمكان • بعض شواذ الأبنية • فَعْلال وفُعْلال وفَعْلاء وفَعْلَى •

وبالاضافة الى أبواب الأسماء هذه هناك أبواب أخرى اختصت بالفعل : كباب ما يأتي على فعَلت وفاعلت بمعنى واحد ، باب ماجاء على فَعَلت بالفتح مما تكسره العامه أو تضمه وقد يجيء في بعضه لغة

الا أن الفصيح الفتح • باب ما جاء على فَعِلت فكان هو الفصيح الذي لا يتكلم العرب بغيره ومنه ما جاء على فَعِلت وكان الفصيح الأكثر ومن العرب من يفتح •

ومن الواضح اذ ابن السكيت خصص هذه الأبواب كلها لضبط الخلل الذي بدأ يدب الى هذه الصيغ على لسان المتكلمين بالعربية وخاصة العوام منهم ولذلك نجده يهتم في كتابه بذكر ما تخطأ فيه العامة محاولا ذكر الصحيح والفصيح من كلام العرب •• بل ان عنوان الكتاب يدل على أن الغرض الرئيسي منه هو معالجة هذه الناحية أعني خطأ العوام وغيرهم في نطق الكلام العربي • ولا يقتصر لحن العامة على الاخلال بالصيغ واستعمال صيغة بدل أخرى بل تعداه الى اللحن في مخارج الحروف أو في ترك الهمز ، ولذلك نجده يخصص أبوابا للألفاظ التي تأتي بالسين ويلفظها العامة بالصاد ، أو التي تأتي بالصاد ويلفظها العامة بالسين ، كما يخصص أبوابا للمهموز الذي ترك همزه أو غير المهموز الذي يهمز ، ويخصص أبوابا أيضا لما جاء بالياء التي تستبدل بها الواو وبالعكس • وهو في كل ذلك يحرص على ذكر اللغات المختلفة في الكلمة الواحدة فجاء الكتاب مهما لدرجة ما في التعرف على لغات القبائل •

وبقدر ما كان ابن السكيت منظما حريصا نوعا ما على جميع بعض الأبواب المتقاربة الى بعضها في الجزء الأول ، نراه في الجزء الثاني مضطربا يأتي بالأبواب المتفرقة التي لا تربطها رابطة ، وكثيرا ما كان يترك الأبواب بدون عنوان ويأتي فيها بمواد متفرقة غير متجانسة ، بل انه قد يعمد الى تخصيص أبواب متعددة لمادة يمكن أن تجمع في باب واحد كما فعل في أبواب المثنى •

يبدأ الجزء الثاني بباب « يتكلم فيه بفعلت مما يغلط فيه العامة فيتكلمون بأفعلت » ثم يليه باب « ما يتكلم فيه بأفعلت مما يتكلم فيه

العامة بفَعلت » وهو أطول أبواب الكتاب جميعا بداه بقوله : « تقول نعشه الله ينعَشه أي رفعه الله ومنه سمي النعش نعشاً لارتفاعه ولا يقال أنعشه الله • وتقول قد نجع فيه الدواء وقد نجع في الدابة العلف ينجع ولا يقال قد أنجع فيه » ويقال : قد نبذْت نبيذا وقد نبذت الشيء من يدي اذا ألقيته ••• ويقال وجد فلان صبيا منبوذا • ولا يقال أنبذت نبيذ • وقد شغلته ولا يقال أشغلته • ويقال : قد سعرهم شرا ولا يقال أسعرهم • وقد رعبته اذا أفزعته ، وكذلك رعبت الحوض اذا ملأته ، وهو مرعوب قال الهذلي :

تقاتل جوعهم بمكللات
من الفرْنَى يرعبها الجميل

ويروى : « تقابل جوعهم » أي تملؤها الاهالة • ثم يعود ثانية الى باب تعرض لبعضه في الجزء الأول أعني باب فَعَل الا أنه هنا لا يقرنه بصيغة أخرى تتفق معه في المعنى أو تخالفه كما فعل في الجزء الأول • بل يأتي بألفاظ على هذا الوزن قرن بعضها بتاء التأنيث ، يقول في أوله : « يقال : في رأسه سعفة ، ساكنة العين ، وهو داء يأخذ في الرأس • وفي أسنانه حفر ، وهو سلاق في أصول الأسنان ، ويقال : أصبح فم فلان محفورا • ويقال : أصابه في بطنه مغص ، وهو رجل ممغوص • ويقال : أصابت فلانا عرفه ، ساكنة الراء ، وهي قرحة تخرج في بياض الكف • وهو رجل معروف ، وقد عُرِف[٧] » ثم يتلو ذلك أبواب خالية من العناوين أكثرها يتعرض لخطأ العامة وذكر الصحيح ، كما يتعرض لشرح بعض الأمثال • ويجيء بعد ذلك باب ماجاء من الكلام على فَعول وفيه يقول : « تقول توضأت وضوءا حسنا • وتقول ما أجود هذا الوَقود ، للحطب • قال الله عز وجل : (وأولئك هم وقود النار) • وقال أيضا (النار ذات الوقود) وقرىء (الوُقود) فالوُقود بالضم :

(٧) الاصلاح ص : ٢٨٠ .

الاتقاد . وتقول : وَقَدت النار تَقِد وَقُودا ووَقَدانا ووَقْداً وَقِده وقال : (واتقوا النار التي وَقودها الناس والحجارة) . والوقود : الحطب . ويقال ما أشد ولوعك بهذا الأمر . وقد أولعت به ايلاعا وولوعاً . والغَرور ما اغتر به من متاع الدنيا. وقال الله جل ثناؤه: لا يأخذك بالله الغَرور) والغُرور مااغتر به من متاع الدنيا . وقال الله جل ثناؤه : (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) ويجيء بعد ذلك باب فعيل بمعنى مفعول يقول فيه : « واذا كان فعيل نعتا لمؤنث وهو في تأويل مفعول كان بغير هاء ، نحو لحية دهين لأنها في تأويل مدهونة ، وكف خضيب لأنها في تأويل مخضوبة وملحفة غسيل ، وامرأة لديغ ، ودابة كسير ، وركية دفين ، اذا اندفن بعضها وركايا « دفن » ثم يقول في نفس الباب : « وقد تأتي فعيلة بالهاء في تأويل مفعول بها تخرج مخرج الأسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت ، نحو النطيحة والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع والجنيبة والعليقة وهما البعير يوجهه الرجل مع القوم يمتارون فيعطيهم دراهم ليمتاروا له معهم عليه وقد علقت مع فلان بعيرا لي قال الراجز :

أرسلها عليقة وقد علم أن العليقات يلاقين الرقم

والسريبة من الغنم : التي تصدرها اذا رويت فتتبعها الغنم . والفليقة : الداهية . وفي الباب الذي يلي هذا يبدؤه بألفاظ على فعيلة كتلك التي في الباب الذي قبله كقوله : « العقيقة : صوف الجذع . والجنيبة : صوف الثنى . والخبيبة من الصوف أفضل من العقيقة وأكثر . والجنيبة : الناقة يعطيها الرجل لقوم يمتارون ويعطيهم دراهم ليمتاروا له عليها وهي العليقة . وقال الشاعر :

وقائلة لا تركبن عليقة ومن لذة الدنيا ركوب العلائق

وقال آخر :

أرسلها عليقة وقد علم أن العليقات يلاقين الرقم

يعني أنهم يودعون ركابهم ويربونها ويحمون من حمل بعضهن •
وقال آخر :

رخو الحبال مائل الحقائب ركابه في القوم كالجنائب

وقال الباهلي : الحضيرة . موضع التمر – قال : وأهل الفلَج يسمونها الصوبة وتسمى أيضا الجرن والجرين • وقال أبو صاعد الكلابي : العبيثة الأقط يفرغ رطبه على جافه حين يطبخ فيخلط • ويقال عبثت المرأة أقطها اذا فرغته على المشر اذا جعلت الرطب على اليابس ليحمل يابسه رطبه « ثم يتعرض الى ما يذكر ويؤنث مما جاء على فعول ومِفْعِيل ومِفْعَال فيقول : » اذا كان فعول في تأويل فاعل فان مؤنثه بغير هاء نحو قولك رجل صبور وامرأة صبور ورجل غدور وامرأة غدور ، ورجل كفور وامرأة كفور • ورجل غفور وامرأة غفور ، ورجل شكور وامرأة شكور • الا حرفا نادرا قالوا : هي عدوة الله • فاذا كانت في تأويل مفعول بها جاءت بالهاء نحو الحمولة للابل التي يحتمل عليها والحلوبة : ما يحتلبونه •

وما كان على مثال مفعيل أو مفعال كان مذكره ومؤنثه بغير الهاء نحو رجل معطير وامرأة معطير وهما الكثيرا العطر • وهذا فرس مئشير من الاشر وهذه فرس مئشير • وهذا فرس محضير • وتقول هذا رجل معطاء وامرأة معطاء وامرأة مئناث ومذكار وما أشبهه • ثم يقول في تذكير فعلان ومؤنثه فعلى : « وما كان من النعوت على فعلان فأنثاه فعلى هذا هو الأكثر نحو غضبان وغضبي ، عجلان وعجلى ، سكران وسكرى ، غرثان وغرثى ، شبعان وشبعى ، غديان وغديا وهو المتغدى ، وصبحان وصبحى ، وملآن وملأى ، ولغة بني أسد : سكرانة وملآنة وأشباههما • وقالوا رجل سيفان وامرأة سيفانة • وهو الطويل الضامر المشوق • ورجل موتان الفؤاد وامرأة موتانة • وما أتى على فعلان أتى مؤنثه بالهاء نحو خمصان وخمصانة – وعريان وعريانة • »

ويستطرد في هذا الباب الى ذكر بعض المذكر والمؤنث فيقول : « وتقول هذا ثوب سبع في ثمانية لأن الأذرع مؤنثة ــ تقول هذه ذراع ، وقلت ثمانية لأن الأشبار مذكرة . وتقول : هذا شبر ، وتقول : هذا بطة ذكر ، وهذا حمامة ذكر ، وهذا شاة اذا غنيت كبشا وهذا بقرة اذا عنيت ثورا . وهذا حية ذكر وان عنيت مؤنثا قلت هذه حية وتقول هي السراويل وهي العرس . قال الراجز :

انـا وجدنا عرس الحناط لئيمــة مذمومة الحــواط

ندعى مع النساج والخياط

وهي درع الحديد والجمع القليل أدرع وأدراع فاذا كثرت فهي الدروع . وهو درع المــرأة لقميصها والجمع أدراع . وتقول : هـذه عروض الشعر وأخذ فلان في عروض ما تعجبني أي في ناحية ، ويقـال عرفت ذاك في عروض كلامه أي في فحوى كلامه ومعناه ، قال التغلبي :

لكل أناس من معد عمارة عروض اليها يلجئون وجانب

وهكذا يأتي على ذكر بعض الألفـاظ المؤنثة كالفأس والقـدوم والقوس . وعلى الألفاظ التي تؤنث وتذكر كالسكين والموسى والأضحى والسلاح (٨) . ثم تأتي أبواب ما جاء في كلام العــرب منفيا كباب مـا يتكلم فيه بالجحد وباب ما لا يتكلم فيه الا بجحد وأبواب أخرى أورد فيها أمثالا وأقوالا شائعة مبدوءة بـ « ما أدري » أو « لا أفعله » .

قال في باب (ما يتكلم فيه بالجحد) :

« يقال ما له صامت ولا ناطــق . فالصامت : الذهب والفضة . والناطق : الكبد يعني الابل والغنم والخيل . وتقول ما له دار ولا عقار، فالعقار من النخل ، ويقال أيضا في البيت عقار حسن ، أى متاع وأداة . ويقال : ما له حانة ولا آنة أى ناقة ولا شاة . وما له ثاغية ولا راغية ، ويقال أتيته فما أثغى ولا أرغى أى ما أعطاني أبلا ولا غنما . ويقال ما له

---

(٨) صفحة ٣٨٦ من الطبعة الثانية .

دقيقة ولا جليلة معناه ما له ناقة ولا شاة • قال أبو يوسف وحكى لـه ابن الأعرابي : أتيت فلانا فما أجلني ولا أحشاني أي ما أعطاني جليلة ولا حاشية • والحواشي : صغار الابل • وما له زرع ولا ضرع • ومـا نه هارب ولا قارب أي صادر عن الماء ولا وارد (٩) » •

وفي باب ما لا يتكلم فيه الا بجحد أورد أقوالا وأمثالا لم تسمع الا منفية فهو يقول : «قال الأصمعي : يقال جاءت وما عليها خر بصيصة ، أي شيء من الحلى • وكذلك هلبسيسة • ويقال ما في النحي عبقة ، أي شيء من سمن • وما بالبعير هنانه وما بـه صهارة ، أي ما بـه طـرق • ويقال ما به وذية ولا ظبظاب ، أي ما به وجع ولا عيب • قال الراجز :

بنيتي ليس بها ظبظاب

ويقال : ما به شقذ ولا نقذ ، وما به حيض ، ولا نبض ، أي مـا به حراك ، وما به نويص أي ما به قوة ، وما بـه نطيش ، أي حراك • ويقال ما به شوكة ولا ذباح • والذباح : شقوق تكون في باطن الأصابع في الرجل • ويقال ما بالبعير كدمة اذا لم يكن بـه أثرة ولا دسـم • والأثرة : أن يسح باطن الخف بحديدة • ويقال ما عليه طحرة اذا كان عاريا • وما بقيت على الابل طحرة اذا سقطت أوبارها (١٠) »

ومما جاء مبدوءا بما أدرى قوله : « يقال ما أدرى أي الناس هو • وأي الورى هو ، وما أدرى أي الطمش هو ، وما أدرى أي ترخم هو ، وما أدرى أي الهوز هو ، وما أدرى أي الأنام هـو ، ومـا أدرى أي برنساء هـو (١١) • »

ومما جاء مبدوءا بلا أفعله قوله : « يقال : لا أفعله ما وسقت عيني

---

(٩) صفحة ٣٨٤ من الطبعة الثانية

(١٠) صفحة ٣٨٥ نفس المصدر •

(١١) صفحة ٣٩١ من الطبعة الثانية •

الماء ، أي حملت وكذلك يقال ناقه واسق ونوق مواسيق ، وما ذرفت عيني الماء ، ولا أفعله ما أرزمت أم حائل أي حنت في أثـر ولدها وهي أرزمة • ويقال للذكر سقب وللانثى حائل • ولا أفعله ما أن في السماء نجما أي ما كان في السماء نجم وما عن في السماء نجـم أي ما عرض • وما أن في الفرات قطرة أي ما كان في الفرات قطـرة • ولا أفعله حتـى يؤوب القارظان ، وحتى يؤوب المنخل وحتى يحن الضب في أثر الابـل الصادرة [١٢] : »

ويخلص من ذكر ما جاء منفيا الى ذكر المثنى وقد أفرد له ثلاثـة أبواب : الباب الأول : « ما جاء مثنى كالملوين والجديدين والعصرين » • والباب الثاني : « باب الاسمين يغلب أحدهما علـى صاحبه لشهرتـه أو لخفته من الناس » كالعمرين (أبي بكر وعمر بن الخطاب) والمصعبين (مصعب بن الزبير وابنه) والأبوين (الأب والأم) • والباب الثالث : « ما أتى مثنى من أسماء الناس لاتفاق الاسمين » نحو الكعبين (كعب بن كلاب وكعب بن ربيعة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر) والمالكين (مالك بن زيد ومالك بـن حنظلة) والعبيدتين (عبيدة بـن معاويـة ابن قشير وعبيدة بن عمرو بن معاوية) • ويتضمن هـذا الباب أيضـا ما جاء من ذلك مما هو لقب ليس باسـم كالحرقتين (تيم وسعد ابنـا قيس بـن ثعلبـة) والاجربين (لبنـي عبس وذبيـان) والأنكديـن (مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ويربوع بن حنظلة) •

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الأبواب الثلاثة هي نفس ما نقلـه السيوطي في المزهر عن كتاب ابـن السكيت (المثنـى والمبني والمكني والمؤاخى والمشبه والمنحل) •

ثم يلي أبواب المثنى (باب من الألفاظ) وهـو باب ذكـر فيـه الألفاظ التي تعطي معنى واحدا أو متقاربا قال من أوله : « يقال عجبت

---

(١٢) صفحة ٣٩٣ نفس المصـدر .

من سرعة ذلك الأمر وعجبت من سرع ذلك الأمر وعبت من وُشكان ذلك الأمر وَشكان • ويقال فلان سابغ الفضل على قومه وفلان ضافي الفضل على قومه وقد ضفا يضفو ضفواً ويقال للفرس ضافي السبيب، اذا كان سابغ الذنب والعرف والسبيب شعر العرف والذنب ».

وفي مكان آخر من الباب يقول : « ويقال لطخ فلان فلاناً بشر وأشبه بشر يأشبه آشباً وقشبه يقشبه قشباً وعره يعره عروراً ، وأنشد الأصمعي للنابغة :

فبت كأن العائدات فرشنني   هراسا به يعلى فراشي ويقشب

يقشب : يخلط • ويقال . نسرقشيت : اذا خلط له في لحم يأكله سم فاذا أكله قتله فيؤخذ ريشه فيراش به السهام • قال الهذلي :

يخر تخاله نسراً قشيباً

وكذلك قشب طعامه [١٣] • وآخر باب في الجزء الثاني : « باب فُعَلَة » وهو يقول في أوله : « واعلم أنه ما جاء على فعله بضم الفاء وفتح العين من النعوت فهو في تاويل فاعل • وما جاء على فعلة ساكنة العين فهو في معنى مفعول به » • غير أنه لا يورد في هذا الباب الا ما جاء على فُعَلَة نحو : ضحكة ـ لعبة ـ خجأة ـ هزأة ـ غسلة ـ ضجعة » • ومما قاله في هذا الباب قوله : « ورجل سهرة : قليل النوم • ورجل جثمة وجثامة للنؤوم ، ورجل علنة اذا كان يبوح بسره ، ورجل سؤله أي كثير السؤال • ورجل قعدة لا يبرح ، الكلابى قال : رجل نذرة أى يتنزه عن الملائم ، وفلان طرقة اذا كان يسرى حتى يطرق أهله ليلا ، ورجل ولعة يولع بما يعنيه ، ورجل هلعة : يهلع ويجزع سريعا • ورجل حوله : محتال [١٤] »

وفي آخر الكتاب باب ألحقه أحد رواة الكتاب بدأه بقوله : « هذا

(١٣) صفحة ٤٠٦ من الطبعة الثانية .
(١٤) صفحة ٤٢٩ نفس المصدر .

ما أصبته في آخر الكتاب وسمعته الى آخـر الكتاب وصححته » (١٥)
ثم يتبع ذلك فوائد منها قولـه : ويقال للرجل اذا صمت فلـم يتكلم : سكت فلم ينبس • ويقال سكت فمـا نبس بحرف وسكت فمـا نغـا بحرف • قال وسمعت نغية من كذا وكذا أي شيء من خير •

قال أبو نخيلة :

لما أتتني نغيـة كالشهد

وسكت فلان فما نأم بحرف ، ويقال أسكت الله نأمته » •ومنها قوله في آخر الباب : « يقال للقوم اذا فسد ما بينهم قد تفاقم ما بينهـم وقد تعادى ما بينهم وقد تشاخس ما بينهم وقد تمأى ما بينهم مثل تمصي وقد تباعد ما بينهم •

ويقال ما برح فلان يفعل ذاك حتى أخزاه الله وما فتىء فلان ، وما زال فلان ، وما آنفك فلان ، ويقال نزع فلان ضرسه وانسلخ ضرسه • »

ومما يلاحظ أن أبواب الجزء الثاني هي عناوين لكتب أخرى لابن السكيت ، فقد عرفنا له في الفصل المتعلق بآثاره (كتاب فعلت وأفعلت) وكتاب (المذكر والمؤنث) وكتاب (المثنى والمبنـى والمكني والمؤاخى والمشبه والمنحل) وكتاب (الألفاظ) وكتاب (النوادر) • ويبدو أن ابن السكيت بعد أن ألف (اصلاح المنطق) أفرد بعض أبوابه وأضاف اليها وجعلها كتبا منفصلة •

هذا عرض سريع لكتاب (اصلاح المنطق) الذي ترك ذلك الأثر البعيد بين علماء العربية في عصر ابن السكيت وما بعده وأثـار اعجابهم فأثنوا عليه واهتموا به فشرحوه ولخصوه ، وفسـروا شواهده ، علـى نحو ما سترى فيما بعـــد •

---

(١٥) صفحة ٤٣١ نفس المصدر •

٣ ـ زمن تاليفـــه :

ليس في الكتاب اشارة واضحة الى زمان تأليفه وان دل الجـزء الثاني كما بينا آنفا على أن أبوابه تتفـق وعناوين بعض كتـب ابـن السكيت الأخرى ككتاب (فعلت وأفعلـت) وكتاب (المثنى والمبنـى والمكنى وكتاب (الألفاظ) •

ويبدو أن ابن السكيت أفرد هذه الأبواب فيما بعد وزاد عليهـا وجعل منها كتابا كما قلنا أيضا • وهذا يدل في أغلب الظـن علـى أن (اصلاح المنطق) من أوائل كتب ابن السكيت ، ولا نعرف من كتبه ما يتقدم عليه في الزمن الا عمله لديوان أبي النجم العجلي الـذي جـوده وأثار اعجاب صديقه ثعلب الذي استنسخه فعرف الناس به وشاع ذكر ابن السكيت بسببه • الا أن هناك قولا لثعلب ذكره ياقوت [١٦] يشير الى أن ابن السكيت ألف كتابه قبل أن يخرج الى سامراء ، قال ثعلب : « دخلت على يعقوب بن السكيت وهو يعمل (اصلاح المنطق) فقال : يا أبا العباس رغبت عن كتابي فقلت كتابك كبير وأنـا عملت الفصيح للصبيان » •

وبعد أن يذكر قصتهما مع أبي نصر صاحب الاصمعي ، وقد مرت بنا في الحديث عن شيوخه ، يقول : « فقلت له لا مقام لك هاهنا اخرج الى سامراء واكتب الي بما تحتاج اليه لأسأل عنه وأعرفك ايـاه[١٧] »

فمتى كان خروجه الى سامراء ؟ أكبر الظن أن ذلك كان في خلافـة الواثق فنحن نعلم أنه حضر مجلسا من مجالسه وحضـر أيضـا مجالس وزيره ابن الزيات الذي قتله المتوكل بعيد توليه الخلافة • ونعود الـى ما لدينا من نصوص فنجد أن أحد تلامذته وهو عبد الله بن الحسن

---

(١٦) معجم الادباء ٢\٢٨٣

(١٧) المصدر السابـــق ٢\٢٨٤

الحراني يذكر أنه كتب عنه من سنة خمس وعشرين ومائتين الى أن قتل أي احدى وعشرين سنة • ومع أن هذا النص لا يشير صراحة الى أن هذه الكتابة كانت في سامراء فحسب ، أم في بغداد وسامراء معا • الا أننا نفهم منه أن ابن السكيت بدأ الكتابة والتأليف قبل هذه السنة ، أعني سنة خمس وعشرين ومائتين او فيها على أقل تقدير •

ولما كان (اصلاح المنطق) من أوائل كتبه كما عرفنا فاننا نستطيع القول أنه ألفه قريباً من هذه السنة •

٤ ـ أهميته والدراسات التي قامت حوله :

ترك كتاب (اصلاح المنطق) أثرا كبيرا بين علماء اللغة منذ الوهلة الأولى التي ظهر فيها الى الحياة ، ويبدو أن ابن السكيت نفسه كان يعتز به الى درجة أنه عاتب ثعلب حين ألف (الفصيح) [١٨] • ومما يدل على أهمية الكتاب وعلو شأنه عند علماء العربية في عصر ابن السكيت ما روى عن المبرد من أنه قال : « ما رأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب ابن السكيت (اصلاح المنطق) [١٩] ، وما روى عن بعض العلماء الآخرين من أنهم قالوا : « ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل (اصلاح المنطق) [٢٠] •

وظل اصلاح المنطق موضوع اهتمام العلماء وعنايتهم فكانوا يحفظونه ويتدارسونه وقد ذكر أحمد بن فارس أنه أحد الكتب الخمسة التي اعتمد عليها في تصنيف كتابه (مقاييس اللغة) وهي : كتاب العين للخليل ، وغريب الحديث ، والغريب المصنف لأبي عبيد ، والمنطق لابن السكيت ، والجمهرة لابن دريد • « وما بعد هذه الكتب محمول عليها

(١٨) معجم الادباء ٢\٢٨٣
(١٩) مرآة الجنان ٢ : ١٤٨
(٢٠) وفيات الاعيان ٥\٤٤٢

وراجع اليها [٢١] » •

ولذلك فقد شغل العلماء به شغلا شديدا فهذبوه واختصروه وشرحوه وشرحوا أبياته ورتبوه على حروف المعجم وردوا عليه • وقد لخص ابن السكيت كتابه مرتين على نحو ما ذكر الوزير المغربي ، جعله في المرة الأولى في مائة وثمانين ورقة وفي الثانية في نحو ستين ورقة ، وكذلك لخصه أبو يوسف يعقوب بن بيان الكاتب في نحو خمس وأربعين ورقة [٢٢] •

وممن هذبه أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري الضرير (ت ٤٤٢ هـ) والشيخ ابو زكريا الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) وهو بعنوان (تهذيب اصلاح المنطق) • وقد نشره صالح علي في القاهرة ١٩٠٧ م ونشره أيضا بدر الدين النعساني في جزئين بالقاهرة ١٩١٣ •

وممن لخصه واختصره الوزير أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين المعروف بالوزير المغربي (ت ٤١٨ هـ) [٢٣] وهو بعنوان المنخل [٢٤] •

واختصره أيضا الشيخ أبو المكارم مجد الدين بن علي بن محمد المهلب [٢٥] •

ولأبي الحسن زيد بن رفاعة من تلامذة أبي عمر الزاهد وأبي بكر الأنباري (مختصر جوامع اصلاح المنطق) [٢٦] •

ولخصه أبو المكارم علي بن محمد النحوي (ت ٥٦١ هـ) [٢٧] ،

---

(٢١) مقاييس اللغة ١ : ٥

(٢٢) مختصر اصلاح المنطق للوزير المغربي لوحة ٩٧ (مصورة بدار الكتب)

(٢٣) وفيات الاعيان ٥ : ٤٤٢

(٢٤) بروكلمان تاريخ الادب العربي ٢ : ٢٠٦

(٢٥) الخوانساري روضات الجنات ص ٧٣٥

(٢٦) بروكلمان ٢ : ٢٠٦

(٢٧) كشف الظنون ١ : ١٠٨

وناصر الدين عبد السيد المطرزى (ت ٦١٠ هـ) [٢٨] ، وعون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة الوزير [٢٩] .

وشرحه محمد بن آدم الهروي [٣٠] ، وأبو العباس أحمد بن محمد المريسى (ت ٤٦٠ هـ) وزاد ألفاظا في الغريب [٣١] .

وشرحه أبو منصور محمدبن احمدالأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ)[٣٢]

ورتبه على حروف المعجم الشيخ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى (ت ٦١٦ هـ) [٣٣] .

وشرح شواهده أبو محمد يوسف السيرافي النحوى (ت ٣٨٥هـ)[٣٤] .

ورد عليه أبو نعيم على بن حمزة البصرى اللغوي (ت٣٧٥ هـ) [٣٥]

وبعد ـ فما سر هذا الاهتمام ؟ وما الذي جعل العلماء يعنون به كل هذه العناية ، فيحملون أنفسهم مشقة تلخيصه أو تهذيبه أو شرحه ؟

ويرجع هذا الى أمور عديدة نجملها فيما يلي :

١ ـ كتاب (اصلاح المنطق) من كتب اللغات . وقد كان لهذا النوع من الكتب أهمية خاصة في الدراسات التي قامت في ذلك العصر حيث اتسعت دراسة القرآن وعلومه ، وكان من الطبيعي أن تدرس لغات القبائل من أجل ذلك اذ من المعلوم أن اختلاف القراءات يعود في بعض جوانبه الى اختلاف لهجات القبائل منذ أيام النبي صلى الله عليه وسلم . ومن أشهر الكتب التي تعرضت للغات القبائل كتاب (الجيم)

---

(٢٨) نفس المصدر ١ : ١٠٨

(٢٩) نفس المصدر ١ : ١٠٨

(٣٠) السيوطي بغية الوعاة ١\٧

(٣١) كشف الظنون ١ : ١٠٨

(٣٢) كشف الظنون ١ : ١٠٨

(٣٣) نفس المصدر ١ : ١٠٨

(٣٤) نفس المصدر ١ : ١٠٨

(٣٥) نفس المصدر ، والسيوطي : بغية الوعاة ٢ : ١٦٥

لأبي عمرو الشيباني [٣٦] . أما ابن السكيت فقد اهتم باللغات وأفرد لها أبوابا كثيرة وبعبارة أدق أن معظم أبواب الجزء الأول وبعض أبواب الجزء الثاني اهتمت بذكر اللغات وخاصة تلك الابواب التي يرد فيها ذكر صيغتين أو أكثر بمعنى واحد ، كباب (فَعَل وفَعِل باتفاق معنى) وباب فَعِل وفَعَل باتفاق معنى) وباب (فَعَل وفَعِل وفَعَل باتفاق معنى) .

وبلغ من اهتمامه بلغات القبائل أنه يشير الى لغة قبيلة ما بذكر النسب كالهلالي أو الهذلي أو الأسدي أو الوالبي أو النميري أو اليشكري أو الكلابي أو الكلبي أو العقيلي وكأنه يريد أن هذا خاص بلغة هذه القبيلة أو تلك . ولكنه كثيرا ما يشير صراحة الى لغة القبيلة كقوله في ذكر مؤنث فعلان : « ولغة بني أسد سكرانة وملآنة وأشباههما [٣٧] .

٢ ـ و (اصلاح المنطق) من كتب لحن العامة كما يدل عليه عنوانه وكان لهذا النوع من الكتب في ذلك العصر أهمية خاصة لذيوع اللحن وانتشاره ليس بين العامة فقط بل تعداهم الى الخاصة أيضاً وربما وقع فيه أحد علماء اللغة الكبار كالفراء [٣٨] . والأبواب التي تعالج لحن العامة في (اصلاح المنطق) عشرة نستطيع أن نجملها في أربعة :

الأول : يجمع باب « ما هو مكسور الأول مما فتحته العامة أو ضمته » و « ما جاء على فعلت بالفتحة مما تكسره العامة أو تضمه وقد يجيء بعضه لغة الا أن الفصيح الفتح » ومن الواضح أنهما ينتميان الى « تحريف الضبط » وكان المؤلف يذكر فيهما اللفظ ويفسره ان لم يكن

---

(٣٦) انظر ما كتبه الدكتور \ حسين نصار في المعجم العربي ١:٧٨

(٣٧) الاصلاح صفحة ٣٥٨

(٣٨) يروي أن الفراء لحن مرة فلما أنكر عليه قال : « طبع أهل البادية الاعراب وطبع هل المدن اللحن فاذا تحفظت لم ألحن »
انظر وفيات الاعيان ٢ : ١٩٤ (مطبعة الوطن ١٢٩٩)

معروفا وينبه على الخطأ أو الأبنية اكتفاء بالعنوان •

الثاني : يضم باب « ما يهمز مما تركت العامة همزه » و « ما يتكلم فيه بالصاد مما يتكلم به العامة بالسين » و « ما يتكلم فيه بالسين فيتكلم فيه العامة بالصاد » و « ما يغلط فيه يتكلم فيه بالياء وانما هو بالواو » ونستطيع أن نجعلها تحت عنوان « تحريف الحروف » واتبع فيها المؤلف الطريقة السابقة في العلاج • ونرى فيها قلة احتفاله بالشواهد والتفاته أحيانا الى مشتق أو مشتقين من مادته •

والثالث : في الحقيقة فرع من النوع الثاني : ولكننا نفرده بالذكر لأهميته في العربية ويضم بابى « ما يتكلم فيه بفعلت وما يغلط فيه العامة فيتكلمون بأفعلت » و « ما يتكلم فيه بأفعلت مما يتكلم فيه العامة بفعلت » • وهاتان الصيغتان أهم أسباب الخطأ في العربية حتى اضطر كثير من المؤلفين الى افرادهما بالتأليف (٣٩) • والباب الثاني من أكبر أبواب (الاصلاح) حجما •

والرابع : يضم أبواب « ما تضعه العامة في غير موضعه » وهذه الأبواب مفرقة مضطربة يكثر فيها الاستطراد فلا يأتي فيها الا بكلمة أو اثنتين مما تغلط فيه العامة ثم ينتقل الى الأبنية فهي ليست أبوابا بالمعنى المفهوم • ويدل العنوان على أنها « الألفاظ التى غيرت العامة معناها » ولكنه لا يقتصر على هذا النوع وانما يذكر فيها بعض الأنواع الثلاثة السابقة وتكررت الألفاظ في أكثر من باب منها مثل « تنزه » • ويلاحظ أن هذه الأبواب لا تختلف عن بقية أبواب الكتاب فالمهم أن يذكر موطن الخطأ أو اللبس في الألفاظ • ولا مانع عنده بعد ذلك من تفسير هذا اللفظ أحيانا والاستشهاد عليه (٤٠) •

٣ ــ والأمر الثالث الذى تعود اليه أهمية الكتاب عناية ابن السكيت بالأبنية وقد جعل أبواب الجزء الأول وبعض أبواب الجزء

---

(٣٩) المعجم العربي ١\٩٩

(٤٠) انظر المعجم العربي ١ : ٩٩

الثاني خاصة بأبنية الأسماء والأفعال . تعرض ابن السكيت لأمثلة الأسماء فخصص لها القسط الأكبر من الجزء الأول وبعض أبواب الجزء الثاني أيضا ، وعنى بالألفاظ التي يرد فيها مثالان لا مثال واحدأي باللغات في الألفاظ فجميع أبوابه تحتوي على أكثر من مثال يرد في اللفظ الواحد مثل فَعَل وفَعِل وفَعُل ، وفَعالة وفِعالة ، الا باب أفعولة ، والمصادر الميمية واسماء الالة والزمان والمكان في الجزء الأول وابواب الجزء الثاني التي تتعلق بهذا الموضوع كلها ـ واضطرب عنده الترتيب ، ولكنه راعى الى درجة كبيرة تقديم الأمثلة المجردة على المزيدة ، والمجرد الثلاثي على المجرد الرباعي ، والمزيد بحرف علة على المزيد بميم في أوله ، والصحيح على المعتل ، وراعى في الأبواب التي يرد فيها مثالان أن يجعل للألفاظ الوارد فيها المثالان المعينان بابين :

احدهما حين يرد المثالان مع اختلاف المعنى، والثاني حين يرد المثالان مع اتفاق المعنى . وكان يقدم الاختلاف على الاتفاق فى أكثر الأحوال . وقد أفلت الزمام من يده كثيرا فقدم المزيد الرباعي على المزيد الثلاثي مثلا وقدم أمثلة تستحق التأخير وفرق بين بابين متصلين مثل بابي فَعُل وفَعَل حين يختلف معناهما وحين يتفق وما شابه ذلك. وكان الاضطراب سائدا بصورة بارزة في أبواب الجزء الثانى التي يظهر أكثرها كأنما هو استطرادات من أبواب أخرى . وأخطأ في بعض الألفاظ فوضعها تحت غير أمثلتها لاعتباره بعض الحروف المزيدة فيها أصلية واضطر من بعده الى اصلاح هذا الخطأ وزيادة أبواب خاصة لهذه الألفاظ (٤١) .

أما أبنية الأفعال فلم يتعرض لها أبن السكيت الا بقدر ما تمس اهتمامه بلحن العامة أو اللغات ؛ وقد أهتم بصورة خاصة بصيغتي فعلت وأفعلت ، وأفرد لهما بابين باب « يتكلم فيه بفعلت مما يغلط فيه

---

(٤١) المعجم العربي ١\١٦٩

العامة فيتكلمون بأفعلت » ، وباب « يتكلم فيه بأفعلت مما يتكلم فيه العامة بفعلت » . وكذلك اهتم بما جاء على فَعَلت وفَعِلت ، وتعرض لبعض صيغ مزيد الثلاثي كفعّلت وفاعلت وتفاعلت ، (٤٢) .

٤ ـ والى جانب هذه الأشياء تضمن (اصلاح المنطق) فوائد كثيرة نثرها صاحبه هنا وهناك في أبواب كتابه ، كتعرضه للألفاظ وتعدد معانيها ، وذكره لما جاء من كلام العرب مثنى ، ونحو ذلك .

فبلغ بهذا عند العلماء مبلغا عظيما ، وحظي بعنايتهم .

وبلغ من اهتمام الناس به أن كل من قرأه أو قرأ عشر ورقات منه أراد تلخيصه أو نظمه على نحو ما ذكر الوزير المغربي (٤٣) .

وقد رأينا فيما مضى أنه كان يقرأ بالوراقين بالبصرة في حياة مؤلفه ، أو بعد ذلك بقليل (٤٤) .

وسنقف بعد ذلك بالتفصيل عند أهم المصنفات التي دارت حوله اختصارا أو تهذيبا أو شرحا لشواهده ، وهي :

أ ـ مختصر جوامع اصلاح المنطق لابن رفاعة .
ب ـ مختصر اصلاح المنطق للوزير المغربي .
جـ ـ خلاصة اصلاح المنطق للراغب الأصفهاني .
د ـ تهذيب اصلاح المنطق للتبريزي .
هـ ـ تفسير أبيات اصلاح المنطق لابن السيرافي .

أ ـ جوامع اصلاح المنطق :

من أوائل من اختصر كتاب اصلاح المنطق أبو الحسن زيد بن

---

(٤٢) المصدر السابق ١\١٧٣
(٤٣) مختصر اصلاح المنطق لوحة ٩٧
(٤٤) فهرست ابن النديم ١\٥٨

رفاعة [٤٥] الذي تلمذ لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٧ هـ) ولأبي عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ) وسمي مختصره (جوامع اصلاح المنطق) [٤٦] • وقد ذكره الخطيب البغدادي [٤٧] والذهبي [٤٨] •

ونشر في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٤ عن نسخة المكتبة الآصفية بمطبعة دار المعارف العثمانية • وأشرف على طبعه وتصحيحه الحاج السيد زين العابدين الموسوي والشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني وعبد الله أحمد العلوي الحسيني الحضرمي ، وقارنه بنسخة اصلاح المنطق المودعة في مكتبة الاسكوريال الدكتور / سالم الكرنكوى الألماني •

أما سبب اختصار ابن رفاعه لهذا الكتاب فقد ذكر في المقدمة أنه أراد تسهيل ما صنفه الذين سبقوه وجمع ما بسطوه ليسهل حفظه ويخف حمله [٤٩] • وقد أوجز منهجه بقوله : « فأوردت أصوله وحذفت فضوله واختصرت ما بسط فيه من التفسير وأوردته في اللفظ اليسير » [٥٠] •

---

(٤٥) هو ابو الحسن زيد بن رفاعة احد رجال المدرسة الفلسفية الذين اطلقوا على انفسهم اسم اخوان الصفا تلمذ لابن دريد وأبي بكر الانباري وابي عمر الزاهد قال عنه ابو حيان التوحيدي : كان ابن رفاعه ذا ذكاء وذهن وقاد ويقظة واتساع فى الفنون من النظم والنثر والكتابة والبراعة فى الحساب والحفظ لايام الناس ومعرفة بالمقالات وتبصر في الآراء وتعرف في كل فن لكنه لا ينسب لمذهب لجيشانه في كل شيء وغليانه فى كل باب .
عن ترجمته في آخر جوامع اصلاح المنطق ٢٤٢

(٤٦) ذكره بروكلمان ٢\٢٠٦ باسم (مختصر جوامع اصلاح المنطق) انظر ص ١٤٩ من هذا البحث ـ اما النسخة المطبوعة فهي بالعنوان المذكور أعلاه .

(٤٧) تاريخ بغداد ٤٥/٨

(٤٨) لسان الميزان ٥٠٦/٢

(٤٩) المقدمة ص ٣

(٥٠) المقدمة نفس الصفحة

ترك ابن رفاعة أبواب الكتاب على ما هي عليه في الأصل ولم يجر فيها الا تغييرا طفيفا فقدم بعض الأبواب وأخر أخرى : قدم بـاب فَعَل وفَعَل باتفاق معنى وجعله بعد بـاب فَعَل وفَعَل باختلاف معنى بينما هو في الاصل بعد باب فِعل وفَعَل من المعتل ، وقدم بابي فَعَلة وجعلها بين بابي « تقول تلك فعلت ذاك » وبين باب « من الجحد » بينما هما في لأصل باب واحد يرد في آخر الكتاب • وآخر ثلاثة ابواب وهي : باب فَعَل - وباب نوادر - وباب ما تضعه العامة في غير موضعه ، وجعلها بعد باب « قد أكثرت من البسملة » بينما هي في الاصل بعد باب « ما يتكلم فيه بأفعلت مما يتكلم فيه العامة بفعلت » ، وفرق بعض الأبواب الى بابين منفصلين كما فعل في باب « ما نطق فيه بِفَعِلت وفَعَلت » فجعل منه بابين هما باب « ما أتى بالكسر والفتح والكسر أفصح » وباب « ما كان على فعلت من ذوات التضعيف غير واقع فان يفعل منه مكسور العين » • كما فعل أيضا حين فرق باب فَعَلة الى بابين • وزاد في آخر الكتاب بابين هما باب الفصل وأوله : « بعير عظيم السنام والقحدة والهَوْدَة والذروة والشرف كله من أسماء السنام » • وباب آخر منه وأوله : « أتانا فلان هدؤا من الليل ، وقد هدأت الرجل ، وقد هدأت العين » •

وعند عرضه لمادة الكتاب حذف بعض الشواهد وبعض التعليقات وربما حذف أيضا أسماء اللغويين الذين ينقل عنهم ابن السكيت • فابن رفاعة يحذف بعض الشروح ويختصرها اختصارا بينما يسهب ابن السكيت بعض الشيء ويتجلى ذلك في عرض مادة الحَمل والحِمل عند الاثنين ، فقد أوجز ابن السكيت معنى الكلمتين أولا في قوله : « الحَمل : ما كان في بطن أو على رأس شجرة وجمعه أحمال ، والحِمل : ما حمل على ظهر أو رأس » • ثم ينقل عن الفراء حين يتحدث عن الوصف المشتق من هذه الكلمة فيقول : « قال الفراء : ويقال امرأة حامل وحاملة اذا كان في بطنها ولد وأنشد الأصمعي :

تمخضت المنون لـه بيـوم أنـى ولكل حاملة تمـام

فمن قال حامل قال : هذا نعت لا يكون الا للمؤنث • ومن قـال حاملة بني على حملت فاذا حملت شيئا على ظهـر أو رأس فهي حاملـة لا غير لان هذا قد يكون للمذكر » فهو يحرص علـى ذكر اسـم الفراء والأصمعي • أما ابن رفاعة فقد أوجز كل ذلك فقال : الحَمْل في البطن والشجرة جمعه أحمال • امرأة حامل وحاملة فاذا حملت على ظهرها فهي حاملة لا غير • الحِمل على الظهر والرأس (٥١) » •

فحذف اسمي الفراء والأصمعي وحذف الشاهد أيضا • علـى ان ابن رفاعة ربما حذف أيضا بعض معاني المواد التي يوردها ابن السكيت فيكون بذلك أقل وضوحا منه كما فعل حين حذف أحد معاني (المَسك) وهو قول ابن السكيت حين قال : « المَسك سوار من أسورة الأعراب من جلود » • وربما أضاف معنى جديدا لم يذكره ابـن السكيت فقـد أضاف الى معاني (الصبر) معنى جديدا وهو قوله : « الصبر ثقب الباب وسمك صغار مليح يسمى بمصر والشام بسميكات العراق (٥٢) » •

وهكذا يسير في عرضه لمواد هـذا الباب مادة مادة علـى حسب ترتيبها في الأصل مختصرا الشروح مستغنينا عن بعض الشواهد ، مثبتا بعضها الآخر خاصة اذا كانت الكلمة المستشهد لها قد أوردها ابـن السكيت ضمن مثل أو قـول شائع كقوله : « ويقال مـا ذاك بطبى » وقوله : « يقال كان ذلك على رجل فلان » وقوله : « افعل كذا علـى رسلك » وربما أثبت بعض أسماء اللغويين الذين ينقل عنهم ابن السكيت في الأصل كأبي عمرو والفراء والأصمعي وأبى عبيدة وابن الأعرابي •

وزاد في هذا الباب مادة وهي الثَقَل والثِقَل (٥٣) •

ويسير ابن رفاعة في اختصاره على هذا المنـوال في كافة أبـواب

---

(٥١) ص ٤

(٥٢) ص : ١٧

(٥٣) صفحة : ١٩

الكتاب .

وقد رأينا أن ابن السكيت يشتد اضطرابه في الأبواب الأخيرة من الكتاب ولا يتجلى ذلك في التبويب فحسب بل أيضا في عرضه لمواد كل باب وخلطها بمواد أخرى لا تقع ضمنه . وكان الأجدر بابن رفاعة أن يعمد الى هذه الأبواب فينسقها وينقحها ويخلصها مما لا يقع ضمنها ، ويعرض مادتها عرضا منظما غير أنه ترك كل شيء على ما هو عليه مكتفيا بالاختصار وحذف الزيادات في الشرح والاستشهاد على نحو ما فعل بالباب الأول .

ب ـ مختصر اصلاح المنطق :

ألف ابو القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي . المعروف بالوزير المغربي (٥٤) (ت٤١٨ هـ) مختصرا لاصلاح المنطق ، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٧٦٢٧ أدب عن نسخة خطية تمت كتابة في اليوم الثالث عشر من شهر شوال ٦٨٤ هـ . وتقع في مائة وسبع عشرة لوحة كل لوحة شطران . وفي آخرها فوائد ونقول ليست من الكتاب .

وبين الوزير المغربي في مقدمته سبب اختصاره هذا الكتاب فقال :

« ... اني وجدت اصلاح المنطق طريقا معبدا لسلاك الأدب ، ودارا محلالا من رواد العلم ، قراءته فريضة ، وحفظه سنة ، وقد صار كالفرض اللازم حكمه ، والقضاء الواجب حتمه ، ورأيت فيه نوازع تحول بين المرء وطلبه ، وتعترضه في وجه . مبتغاه وملتمسه ، رأيت أن

(٥٤) يرجع نسبه الى بهرام جور ملك فارس . نشأ في مصر وهرب الى الرملة بعد ان قتل الحاكم بأمر الله أباه وعمه وأخويه وذهب الى الحجاز ثم الى واسط ببغداد فالموصل ووزر لقرواش بن هانيء أمير بني عقيل ووزر بعد ذلك لمشرف الدولة ابن بويه وذهب الى ديار بكر ووزر لسلطانها وتوفي في ميا فارقين سنة ٤١٨ هجرية (معجم الادباء ١٠ : ٧٩)

اختصره اختصارا شافيا ، يغني عن جميع بنيته من غير حذف أصل منه ولا تخطى فائدة له • فقد رأيت في مخاصير عدة لأبي يوسف رحمه الله ولجماعة غيره لم أر فيها ما يغني عن جمهرة اصلاح المنطق ، ولا ينظم شتيت شمله المتفرق ، ولا يسفر عن جميع فوائد بنيته ، ولا يكون حسبا من قراءة الكتاب كله ، فجئت بهذا المختصر حاويا لجميع فوائده التي بنيت الأبواب عليها وسيقت الفوائد اليها مقفرا من الشاهد والتكرير وعلق الشرح والتفسير •

وفي آخر المخطوطة أن الوزير المغربي اطلع على مختصرات كثيرة لهذا الكتاب ، منها مختصران لابن السكيت نفسه ، وآخر لأبي يوسف يعقوب بن بيان الكاتب الا أن هذه المختصرات جميعها لا تغني عن الكتاب شيئا فأراد أن يختصره اختصارا شافيا يوفي بالغرض ، ويجمع مادة الكتاب وينسقها ، فجاء مختصره في الواقع وكأنه تصنيف جديد • وقد نال اختصاره هذا اعجاب أبي العلاء المعري فقال فيه : « وقفت على مختصر اصلاح المنطق الذى كاد بسسات الأبواب يغني عن سائر الكتاب، فعجبت كل العجب من تقييد الأجمال بطلاء الأحمال (٥٥) ، وقلب البحر الى قلت النحر (٥٦) ، واجراء الفرات في مثل الأخرات (٥٧) ، ودل على جوامع اللغة بالايماء ، كما دل المضمن على ما طال من الأسماء •• كان تبرا في تراب معدن بين الحثّ والمتدّن ، فاستخرجه سيدنا واستوشاه وصقله فكره ووشاه فغبطه النيران (٥٨) » •

وقد جعل مختصره هذا على نحو ما بين في المقدمة في ثلاثة أجزاء وهي أمثلة الأسماء ، وأمثلة الأفعال ، واللفيف ، وجمع في كل جزء منها الأبواب الخاصة به ، وربما أضاف اليها أبوابا استنبطها من الكتاب ولم

---

(٥٥) الطلاء : خيط رفيع يربط به الحمل .
(٥٦) القلت : نقرة النحر .
(٥٧) الاخرات : جمع خرت وهو ثقب الابرة
(٥٨) لوحة ١ الشطر الاول .

تكن فيه ، وعمد الى بعض الأبواب فنثر مادتها على أبواب أخرى كما فعل ببابى فعلت وأفعلت اللذين نثر مادتهما على أبواب الفعل الثلاثي فقسمهما الى ثلاثة أبواب وهي « فَعَلْت وأفْعَلْت » « وفَعَلْت وأَفْعَلْت » وفَعِلْت وأَفْعَلْت ، وجاء بها بعد الأبواب الثلاثة الأولى من أمثلة الأفعال ، وهي أبواب الثلاثي المجرد فَعَل وفَعُل وفَعِل . وقد جمع الأفعال الواردة في الكتاب وقسمها الى أبواب فبدأ بأبواب الثلاثي وهي ثلاثة معتمدا على الماضي منها فأورد باب فَعَل وجاء فيه بالأفعال التي ماضيها على هذا الوزن دون الالتفات الى مضارعها ، وكذلك فعل بالأفعال التي ماضيها فَعُل وفَعِل ، وجاء بعد كل باب من هذه الأبواب بباله صيغتان باختلاف معنى كفَعَلْت وفَعِلْت باختلاف معنى ، وفَعَل وفَعُل باختلاف معنى وفَعِل وفَعُل باختلاف معنى . وجاء بعدها بالرباعي المجرد (فعلل) ثم أورد بعد ذلك أبواب مزيد الثلاثي افتعل ، وانفعل ، وتفعل ، وتفعلت وتفاعلت ، وفاعل ، وفاعلت كفعلت وانفعلت (أكثر ما يجيء لاثنين) ، وتفاعل ، واستفعل ، وفعّلت .

وبعد أمثلة الأفعال أورد اللفيف ويكاد يجمع كافة أبواب الجزء الثاني من الأصل وبعض أبواب الجزء الأول ، وهذه الأبواب هي ما يفتح ويكسر بمعنى ، ما يفتح ويضم بمعنى ، باب المكسور ، ما يكسر ويضم بمعنى ، المضموم ، المخفف ، ما يثقل ويخفف ، المشدد ، المهموز ، ما يهمز ولا يهمز بمعنيين ، ما همز فيه أفصح ، الهمز والواو ، الهمز والواو في الاسماء ، الهمز والياء ، المهموز بلا أصل ، ما بالياء والواو من الثلاثي ، ما زاد على الثلاثي من الرباعي ، ومن صفات الأرض ، ضرب الأعضاء ، الضرب في البلاد ، صفات المعارف ، النسب ، العدد ، الجمع ، مالا واحد له ، المذكر والمؤنث ، المؤنث بغير هاء ، فعيل للمؤنث بمعنى مفعول بلا هاء ، ما يقال بحرف الخفض ، المثنى ، الاثنان يغلب احدهما ، الاسمان باتفاق ، مثنى الألقاب ، مالا يفارقه الجحد ، نفى الأكل ، نفى

الأهل ، الانكار ، ما جاء كالقسم ، باب النوادر ، حروف منفردة ، المثل، ما جاء كالمثل وباب من الفرق ، باب بدون عنوان ، باب ليس •

أشرنا الى أن عمل الوزير المغربي هذا انما هو تصنيف جديد فقد أخذ مادة الكتاب وصبها في قالب جديد وأخرجها مخرجا غير الذي كانت عليه ، وبذلك استطاع أن يتلافى بعض ما وقع فيه ابن السكيت من ارتباك في تبويب الكتاب وفي حشد مادته ضمن تلك الأبواب •

ولنر الآن الى أى مدى استطاع الوزير المغربي أن يسير في المنهج الذي رسمه لنفسه في المقدمة • أول اجزاء الكتاب أمثلة الاسماء وأول أبوابه « باب فَعَل » وهذا الباب عند ابن السكيت متأخر يرد في الجزء الثاني وقد جمع فيه الوزير المغربي ما جء على هذا الوزن من اسماء مما ورد في الكتاب • قال فى أوله : « الأَسَد الأَزْد شنوْة والاوفان والفودان العدلان • أون شرب حتى تظنه كالاون • والثدي والجفل والسبق السحاب اراق ماءه • وشعر جَثَل ووجف أثيت وضده زَعِر مَعِر وجفن السيف والعين وخفاج ونفاخ ونفاج ذو خفيج ونفخ ونفج وجخف كِبْر » وللوطب العظيم جَخَل وحِضَجْر وسِبَحْل وسِبَحْلَل وسَحْبَل والخضم أكل بكل الفم خضمت منه والقضم دونه والدَفْر الدفع والنتن ومنه للأَمة دفار ومقام دحض وزلج ومقام ولح ومزلقة ومزلقة والسجل الدلو الملىء والسَفْر والسافرة السفار ولولد الناقة قبل أن يعرف سليل فاذا عرف ان كان ذكرا فهو سقب والأنثى حايل ••• » •

وأول ما يلاحظ هنا أنه حذف الشواهد وجاء في كل مادة بمشتقاتها المتناثرة في الكتاب، وربما أورد الكلمة في قول وهو يشرح المعنى في الغالب أما بما يرادفها أو بضدها ولم يرتب المواد على حروف المعجم دائما فبدأ بما أله همزة كالأسد الأزد والأون ثم جاء بعد ذلك بما أوله ثاء كالثدي لأنه لا يوجد ما أوله باء أو تاء ، وهكذا يستمر في عرض

المواد حسب حروف المعجم واعتبارا لحرفها الأول ، فبعد الشدى يأتي الجفل والجفن والخضم ، والدفر والدحض ، والزلج والزلخ ، والسجل والسفر والسقب والشت والغرز والفض والفرض والقسر والمغل والمغص والنقر ، وهنا يضطرب بعض الشيء فيورد النحر بعد النقر ثم يعود الى النقر مرة أخرى ثم يستمر فيأتي بعد ذلك بمادة النم ، والوأب ، والوقز ، ثم يعود اليه الارتباك فيجيء بمواد كان المفروض أن يأتي بهاقبل ذلك وهذه المواد هي : الكرد والكسب واللط ، ثم يعود الى الهمزة ثانية فيأتي بمادة الأتو ، وينتقل الى الحاء فيجيء بمادتى الحمو والحمى ، والى الزاي فيأتي بمادة الزين . وهو في عرضه لهذا المواد قد يستطرد أحيانا فيأتي بألفاظ لا علاقة لها بالمادة كما أورد لفظة التشريق حين ذكر ليلة النحر والقر .

ثم أورد بعد ذلك ماجاء على فَعْلَة ، فقال : « ومؤنثه : جلد الرضيع يملأ لبنا شكوة وعكة والفطيم بدرة ويسأب ويسأد وفوق الفطيم الوطب من الجذع فما فوق والوغرة صوت الجيش والتوقد ومنه أوغر صدره ودرع نثلة ونثلها ألقاها ... » .

فقد فصل الوزير المغربي بين فَعْل وفَعْلَة ، وجاء بهذا الوزن الأخير بعد ذكره الألفاظ التى على وزن فَعْل . ويبدو للوهلة الاولى عند المقارنة بين بابي فَعْل في الكتابين ، أعنى عند ابن السكيت وعند الوزير المغربي أن الفرق شاسع .. فقد جمع ابن السكيت بين فعل وفعلة في باب واحد ، وفرقهما الوزير المغربي في بابين أو في قسمين منفصلين والمواد التي أوردها ابن السكيت قليلة بينما أورد الوزير المغربي ، مواد كثيرة ، ذكرها ابن السكيت في غير باب فَعْل .

والباب الثاني عند الوزير المغربي هو باب فَعْل وفِعْل بمعنيين وهو الباب الأول عند ابن السكيت وقد أورد فيه مواد الاصلاح بعد أن حذف بعضا منها فمجموع ما أورده ابن السكيت في هذا الباب ١٠٥

مادة بينما أورد منها الوزير المغربي ١٠٤ ، فحذف احدى وأربعين مادة هي :

غمر وغمر ، مسك ومسك ، دبر ودبر ، حبل وحبل ، قبض وقبض ، فرق وفرق ، ربع وربع ، طبع وطبع ، فرك وفرك ، طرق وطرق ، قطع وقطع ، قسم وقسم ، سقى وسقى ، سرب وسرب ، غسل وغسل ، علق وعلق ، قرن وقرن ، هدم وهدم ، خلف وخلف ، رجل ورجل ، نكس ونكس ، خرق وخرق ، جرم وجرم ، خيف وخيف ، خمس وخمس ، سبع وسبع ، كنف وكنف ، لسن ولسن ، فلق وفلق ، سب وسب ، طرف وطرف ، ملء وملء ، ضر وضر ، سر وسر ، بشر وبشر ، طلح وطلح ، هضم وهضم ، ثنى وثنى ، صرم وصرم ، سلم وسلم ، سدس وسدس •

ويرجع سبب حذفه لهذا العدد الكبير من المواد الى أنه قصد الى استبعاد التكرار وقد أشار في مقدمته الى أنه ربما حذف بعض المواد من بعض الأبواب وأفرد لها بابا آخر قال : « وقصدت الى ما كان في بابين مكررا فجعلته في باب واحد مفردا مثال ذلك أنه أورد في باب فَعْل وفِعْل ، الجزع والجزع ، وأورد في باب فَعْل وفَعَل والجزع والجزع فخلعته منهما وأفردت له بابا عنونته « بالفَعْل والفِعْل والفَعَل » فقلت : الجَزْع كذا والجِزْع كذا والجَزَع كذا وضممت الشيء الى شكله وألفتهما على بعد المسافة بينهما في الكتاب » •

وبالاضافة الى حذفه هذه المواد حذف أيضا كافة الشواهد سواء أكانت من الشعر أم من القرآن الكريم أم من الحديث الشريف أم من الأمثال والأقوال • وهو يبدو هنا أكثر حرصا على ترتيب المواد على حروف المعجم فيبدأ بما أوله همزة ثم بما أوله باء ثم بما أوله جيم لأنه لا يوجد ما يبدأ بالتاء أو الثاء ، وهكذا يستمر حتى يصل الى آخر الباب الى ما أوله واو • على أنه تعوزه الدقة هنا أيضا اذ لم ينظم المواد التي تبدأ بحرف واحد على حسب الحرف الذي يليه بل تركها مبعثرة

على غير نظام فقد جاء بالمواد التي تبدأ بالهمزة هكذا : « الأمر والامر ، الأزل والازل ، الأجل والاجل ، الأل والال ، الأفك والافك ، الأثر والاثر • » فقدم ما ثانية ميم على ما ثانية زاى ، وقدم ما ثانيه لام على ما ثانية فاء وهما الأل والأفك ، وقدم هاتين المادتين على ما ثانيه ثاء وهو الأثر • وهكذا يفعل فى سائر الباب فجاء مثلا بما أوله (سين) مرتبا كما يلي : « سقى وسقى ، سرب وسرب ، سبت وسبت ، سبر وسبر ، سمع وسمع ، سيف وسيف ، سحر وسحر ، سيب وسيب ، سعر وسعر سي وسي » • فقدم ما حقه التأخير وأخر ما حقه التقديم •

وهكذا يستمر في ايراده أمثلة الأسماء مبوبة تبويبا دقيقا وهو يفصل بين الصيغة ومؤنثها • وبين ما هو مختلف المعنى وما هو متفقه ، متلافيا التكرار ، مجردا الكتاب من الشواهد ، فجاء كتابه أقرب الى المعاجم وكتب اللغة البحته •

وأورد في الجزء الثاني أمثلة الأفعال مفرقا بين الثلاثي والرباعي وبين المجرد والمزيد • فجاء بالثلاثي في ثلاثة أبواب معتمدا الفعل الماضي باعتبار حركة العين وهذه الأبواب هي فَعَل وفَعُل وفَعِل ، وللرباعي باب فعلل • أما المزيد فأفرد له أبواب : افتعل وانفعل وتفعّل وفعّل وفاعل وتفاعل واستفعل وفعّلت • وأفرد كذلك أبوابا لما يجيء على صيغتين باختلاف معنى مما يحصل فيهما الالتباس ، وهذه الأبواب هي : فَعَلت وفَعِلت بمعنيين ، فَعَل وفَعُل بمعنيين ، فَعَلت وأفعَلت بمعنيين ، فَعِل وفَعُل بمعنيين ، فَعَلت وأفعلت بمعنيين ، فَعّل وأفعل بمعنيين فعّلت وفاعلت بمعنيين ، تفعّلت وتفاعلت بمعنيين •

وهو يحاول أن يفصل في كل باب من أبواب المجرد تقريبا بين الصحيح والمعتل والمضعف ، فيورد الصحيح غير المضعف أولا ثم المضعف ثم المعتل •

ويسير في جمعه للمواد في كل قسم من هذه الأقسام على نحو ما فعل في أول الكتاب فيرتبها بحسب حروفها الأولى غير ملتفت للحروف الثانية ، على أنه كثيرا ما يجمع بين المترادفات فيبدو وكأنه يسير على غير ترتيب •

وخلاصة القول في مختصر الوزير المغربي أنه أعاد تصنيف الكتاب من جديد ، فغير شكله وتبويبه تغييرا كاملا ، وتلاعب بمادته فحولها من باب الى باب • وهو في كل هذا يتوخى الدقة في الترتيب والابتعاد عن التكرار الذي وقع فيه ابن السكيت مع حذف الشواهد أيا كان نوعها • الا أنه لم يسر في توخية للدقة الى النهاية فترك المواد التي رتبها حسب أوائلها مبعثرة غير آبه بحروفها الثواني •

وفي بعض الأبواب اختل ترتيبه للمواد على حسب حروف المعجم •

ج ـ خلاصة اصلاح المنطق :

في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية مخطوطة بهذا العنوان وهي برقم ١٣٧ لغة ومكتوبة بخط حديث عن نسخة تعود الى سنة ٥٥٢ هجرية كما ذكر في آخرها (٥٩) وقد كتب في الصفحة الاولى التي عليها العنوان أنه من تأليف أبى القاسم الراغب(٦٠) وقد ظن مفهرسو دار الكتب المصرية أنه مختصر الوزير المغربي • وليس هذا الظن

---

(٥٩) المخطوطة صفحة : ٢١٢

(٦٠) هو الراغب الاصفهاني ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل • فقيه عربي كتب في المسائل الدينية و لانعرف من تفصيلات حياته شيئا اكثر من انه توفي فى بداية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ولعل ذلك كان في عام ٥٠٢ هجرية (١١٠٨ ميلادية) • وتدور مصنفاته حول التفسير والتهذيب . وله كتب في الادب ايضا اشهرها كتاب « الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » .
عن دار المعارف الاسلامية ٩ : ٤٧٣ .

صحيحا لأن الفرق بين الاختصارين كبير ، وكل منهما يمتاز بميزات لا تتوافر في الآخر ، سواء أكان ذلـك في تبويب الكتاب أم في ترتيب وتنقيح مادتـه .

وتكاد تكون أبواب هذا المختصر هي نفس أبواب الأصل وخاصة بالنسبة لأبواب الجزء الأول فلم يجر الراغب هنـا الا بعض التغييرات البسيطة كتقديمه باب فَعَل وفَعِل باتفاق معنى وجعله يلي باب فَعُل وفَعَل باختلاف معنى ، بينما هو فى الاصل بعد باب فَعَل وفُعَل من المعتـل وحذف باب (أفعولة) وأضاف باب (مالا يقال بالسكون) علـى أن تهذيبه لأبواب الكتاب يتجلى بصورة أوضح فى الأبواب الأخيرة مـن الكتاب ، فقد استنبط أبوابا كأبواب ، « الغلط في الكلام والغلت فى الحساب » ، الأطعمة ، ذكر الصوف والشعر منه ، ما أنث من الذكور ، ومما التأنيث فيه أغلب ، وقد يذكر ، ومما التأنيث والتذكير فيه على حـد » ، وحذف أبوابا أخرى أو بعبارة أدق ، نثرها على بقية الأبواب كباب (الألفاظ) .

أما منهجه فيّ التلخيص فقد أشار اليه في المقدمة فقال : « عمدت اليه واستخرجت خلاصته وأعفيته من ذكر الأبيات المستشهد بها وعمدت الى كل باب طويل كان يقع فيه التكريرات فحررته على ترتيب حروف المعجم فقدمت ما أوله الهمزة ثم الباء ففي ذلـك سقوط المكرر ومـا كان من الألفاظ بمعنى واحد في الباب الواحد نظمتها لتستغني عـن تكرير تفسيرها وما كان من أبنية مختلفة كفعل وفعل اقتصرت في كتبها على دفعة واحدة وأجزت تفسير جميعها وفي ذلك تحصيل الحفظ وقرب التناول وبالله التوفيق . »

ولنر الى أي مدى سار فى منهجه هذا ، قال في أول أبواب الكتاب ، وهو باب فَعَل وفَعِل باختلاف ممعنى : « الأثر فرند السيف والاثر خلاصة السمن وهو الأثر أيضا . الأجل جناية الشر وقد اجـل عليهم ، والاجل قطيع من البقر ووجع فى العنق يقال : بي اجل فأجلونى أي

داووني • الأزل الضيق قد أزلوا مالهم والازل الكذب • الافك صرف الشيء عن غيره ومنه المؤتفكات للرياح المختلفة المهاب والافك الكذب • الأل جمع ألة ومصدر أله يؤله طعنه بالألة وأل يؤل أسرع ومنه فرس مئل ، والال العهد • الأمر واحد الأمور ، والامر العجب • البرك الصدر والابل باركة • والبرك موضع بشرت الأديم بشرا وفلانا بشرته وهو حسن البشر • البصر ضم أديم الى أديم فيخاطان ، والبصرة والبصر حجارة يضرب لونها الى البياض • البكر الفتى من الابل والبكر جارية لم تفتض ، وناقة حملت بطنا وبكرها الأول وثنيها ثانيها ويقال ولدت ثلثها ولا يقال ناقة ثلث كما يقال ثنى • البل مصدر بللت الشيء بلا ، والبل النكاح • والبيت جمعه أبيات وبيت ليلة وبيتتها » •

فقد أسقط الشواهد هاهنا وجاء بالألفاظ ومعانيها موجزة خالية من الاستطراد ورتب المواد على حروف المعجم ترتيبا دقيقا • فلم يكتف باعتبار الحرف الأول وانما نظر أيضا الى الحرف الثاني فجاء ترتيبه دقيقا على خلاف ما رأينا عند الوزير المغربي حيث اكتفى باعتماد الحرف الأول اذا استثنينا تقديمه مادة علم وعلم على مادة علق وعلق ولعله من خطأ النساخ •

وبالأضافة الى حذفه شواهد ابن السكيت من الشعر والقرآن والحديث والاقوال السائرة حذف بعض الشروح وبعض التفريع في المواد والاستطرادات الأخرى التي عند ابن السكيت • فمادة الأثر يوردها ابن السكيت ويشرحها ويأتي فيها بشواهد ويستطرد في شرح الشواهد فيأتي بشواهد أخرى فهو يقول :

« الأثر فرند السيف ، قال الأصمعي : أنشدني عيسي بن عمر الثقفي :

جلاها الصيقلون فأخلصوها خفافا كلها يتقى بأثر

أي كلها يتقي يفرنده • يقال اتقاه بحقه يتقيه ، وتقاه يتقيه ، قال الشاعر :

زيادتنا نعمان لا تنسينها ... تق الله فينا والكتاب الذي تتلو

وقال خداش :

تقوه ايها الفتيان انى ... رأيت الله قد غاب الجدودا

وقال الآخر :

ولا اتقى الغيور اذا رآنى ... ومثلى لز بالحمس الربيس

وقال أوس بن حجر :

تقاك بكعب واحد وتلذه ... يداك اذا ماهز بالكف معسل

أي مضطرب • والاثر خلاصة السمن ، ويقال خرجت في أثره وفي اثره » •

فقد أورد شاهدا على (الأثر) بمعنى فرند السيف ، ونسب قوله الى عيسى بن عمر الثقفى ، ووقف عند كلمة (يتقى) فيورد لغتها الأخرى ويستشهد على كل ذلك بشواهد أخرى أيضا • أما الراغب فقد حذف كل ذلك واكتفى بذكر المادة والمعنى ، بل حذف أحد معانى الاثر وهو قول ابن السكيت « ويقال خرجت فى اثره وفى أثره » على أن الراغب لايستمر فى اتباع منهجه هذا فى تلخيص الكتاب وترتيب مواده على حروف المعجم بل يلجأ فى أبواب أخرى الى مجرد التلخيص وحذف مايراه زائدا تاركا المواد على ترتيبها في الاصل كما فعل في باب (مايتكلم فيه بفعلت مما تغلط العامة فتقول فيه بأفعلت) ، فلم يزد هنا على أن حذف بعض العبارات واسماء اللغويين الذين يروى عنهم ابن السكيت وحذف كذلك الشواهد • فابن السكيت أورد أبرق وأرعد وأوعد متداخلة ، قال : « ويقال : قد برقت السماء

وأرعدت وقد برق ورعد اذا تهدد وأوعد قال : ولم يكن (أي الأصمعي) يرى بيت الكميت حجة لأنه عنده مولد وهو قوله :

أبرق وأرعد يا يزيـ ـد فما وعيدك لي بضائر

وحكى أبو عبيدة وأبو عمرو : برق ورعد وأبرق وأرعد ، اذا تهدد وأوعد . الفراء : يقال : وعدته خيرا ووعدته شرا ، باسقاط الألف ، فاذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير وعدته وفي الشر : أوعدته وفى الخير : الوعد والعدة ، وفى الشر : الايعاد والوعيد ، واذا قالوا : أوعدته بالشر أوبكذا ، أثبتوا الألف مع الباء وأنشد :

أوعدني بالسجن والأداهم رجلى ورجلى شثنة المناسم

أما الراغب فيحذف أسماء اللغويين ويختصر فيقول : « برق ورعد السماء والرجل تهدد ، وحكى وعدته خيرا وشرا قيل فى الشر أوعدته وكذلك اذا ذكروا الباء معه قالوا أوعدته بالشر .

وقد زاد الراغب من ارتباك الكتاب واضطرابه في بعض الأحيان ، فقد أورد باب النوادر ضمن باب فعل بينما هما عند ابن السكيت بابان منفصلان ، ولم يزد الراغب على أن اختصرهما بعض الشىء .

وخلاصة القول فى عمل الراغب الاصفهانى انه عمد الى الأصل فجرده من الشواهد والاستطرادات ، ورتب مادة بعض أبوابه على حروف المعجم ترتيبا دقيقا ، بينما ترك أبوابا أخرى على ما هي عليه فى الأصل من حيث ترتيب المواد ، واستنبط أبوابا من أبواب الكتاب، الا أنه كان في بعض الاحيان أشد ارتباكا من ابن السكيت فجمع بين أبواب لا تربط بينها صلة .

د ـ تهذيب اصلاح المنطق :

ألف الخطيب التبريزي [٦١] (ت ٥٠٢ هـ) كتابه (تهذيب اصلاح المنطق) وقد طبع جزء منه في القاهرة باشراف صالح علي سنة ١٩٠٧ م. وطبع مرة أخرى باشراف بدر الدين النعساني سنة ١٩١٣ م . ومنه نسخة مخطوطة كاملة مودعة في دار الكتب برقم ٥١٢ لغة . ونظرا لأهميته سنقف عنده وقفة طويلة بعض الشيء فندرسه درسا مفصلا مقارنين بينه وبين الأصل مبينين منهج التبريزي ف التهذيب قال في المقدمة :

(فانى لما رأيت ميل أكثر الناس الى كتاب اصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت دون غيره من كتب اللغة لقلة حجمه مع كثرة الانتفاع به والاستفادة منه ولأن أكثر ما يتضمنه اللغة المستعملة التي لا بد من معرفتها والاشتغال بحفظها ورأيت فيه تكرارا كثيرا في مواضع كثيرة طال به الكتاب ، وكان أبو العلاء المعري والشيوخ الذين قرأت عليهم هذا الكتاب يكرهون منه التكرار الذي فيه ، ورأيت الأبيات التى استشهد بها في بعضها خلل وأكثرها يحتاج الى التفسير استعنت بالله تعالى على كتبه وحذف المكرر ، وتبيين ما يشكل في بعض المواضع منه واثبات ما يحتاج اليه من شرح الأبيات

---

(٦١) هو ابو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشهباني التبريزي أحد ائمة اللغة كانت له معرفة تامة بالادب والنحو واللغة . قرا على الشيخ ابي العلاء المعري وابي القاسم عبد الله بن علي الرقي وابي محمد الدهان ، اللغوي وغيرهم من أهل الادب . وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له . كان ثقة في اللغة وفيما ينقله . وصنف في الآداب كتبا كثيرة مفيدة منها : شرح ديوان الحماسة وشرح المعلقات وشرح المفضليات . ودرس الادب بالمدرسة النظامية ببغداد وكانت ولادته سنة أحدى وعشرين واربعمائة . وتوفى في بغداد ٥٠٢ هـ .

على ما فسره أبو محمد يوسف بن الحسين بن عبد الله ابن المرزبان السيرافي ليسهل حفظه ويستغنى الناظر فيه والقارىء منه عن كتاب آخر يرجع اليه في معنى بيت يشكل عليه » • فقد قصد من تهذيبه اذن الى نزع شوائبه وتبيان مشكله وشرح ما لبس من أبياته • وسنرى فيما يلي الى أي مدى استطاع التبريزي أن يسير على منهجه هذا مقارنين بين الأصل والتهذيب معتمدين على الطبعة الثانية من اصلاح المنطق سنة ١٩٥٦ وعلى طبعة صالح علي (مطبعة السعادة ١٩٠٧) من تهذيب التبريزي ، وسنثبت اضافات التبريزي بين قوسين كبيرين مزدوجين « » ، أما ما حذفه من كلام ابن السكيت فسنضع تحته خطا ، وفيما عدا ذلك سنشير اليه في الهامش •

قال في باب (فَعْل وفِعْل باختلاف معنى) : « الحَمْل ما كان في بطن أو على رأس شجرة وجمعه أحمال ، والحِمْل ما حملت على ظهر أو رأس « ويضبط هذا بأن يقال لكل متصل حَمْل ولكل منفصل حِمْل » قال الفراء : ويقال امرأة حامل وحاملة اذا كان في بطنها ولد • « قال عمرو بن حسان أخو بني الحارث بن همام وذكر ملوكا من آل لمنذر والأكاسرة ، على طريق الاعتبار :

ألا يا أم قيس لا تلومي وأبقي انما ذا الناس هام
أجدك هل رأيت أبا قبيس أطال حياته النعم الركام
وكسرى اذ تقسمه بنوه بأسياف كما انقسم اللحام»
تمخضت المنون له بيوم انى ولكل حاملة تمام

« يكف عاذله عن لومه على انفاق ما له ويقول أن المصير الموت فما وجه عذلك لي على تفريقه وهام أي موتى يقال فلان هامة اليوم أو غد أي يموت في اليوم أو في غد وقبيس تصغير قابوس تصغير الترخيم

وأبو قابوس هو النعمان بن المنذر والركام الكثير يقول لو كان المال يخلد لابقى أبا قابوس كثرة نعمه ويريد بكسرى أبرويز قتله ابنه شيرويه وتمخضت من المخاض وهو الطلق والماخض الحامل وجعل المنون حاملا على التشبيه وجعل اليوم الذي كانت فيه منيته ولدا للمنية • وكل حامل تنتهي الى وقت تضع فيه حملها فكذلك المنية منتظرة كانتظار وضع الحامل والمنون واحد وجمع قال عدى بن زيد :

من رأيت المنون غرّين أم من ذا عليه من أن يضام خفير

وأني وأن بعنى حان وأني إناً وأنياً وآن أنيا فمن قال حامل قال هذا نعت لا يكون الا للمؤنث ومن قال حاملة بناه على حملت فاذا حملت شيئا على ظهر أو رأس فهي حاملة لا غير لأن هذا قد يكون للمذكر • والوقر الثقل يحمل على رأس أو على ظهر من قوله تبارك وتعالى : (فالحاملات وقرا) • يقال جاء يحمل وقره ، قال الفراء : هذه امرأة موقرة اذا حملت حملا ثقيلا ونخلة موقِر وموقِرة وموقَرة « وقيل موقَر وهو على غير قياس » ووقر الرجل من الوقار « ووقر » فهو وقور « قال العجاج : ثبت اذا ما صح بالقوم وقر » • والرق ما يكتب فيه والرق الملِك « ويقع في بعض النسخ » يقال عبد مرقوق « وهذا غير صحيح لامتناع رققت وانما يقال أرققته فهو مرق » • والغمر الماء الكثير ويقال رجل غمر الخلق « اذا كان واسع الخلق » وهو غمر الرداء اذا كان كثير المعروف سخيا قال كثير « يمدح عبد العزيز بن مروان » :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

« ويروي جزل العطاء يقول اذا ضحك وسر وهب ما له وفرقه

ومعنى غلقت حصلت للموهوب له ويئس من ردها واسترجاعها من قولك غلق الرهن اذا حصل للمرتهن ولم يسترجعه الراهن • قال زهير :

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمسي الرهن قد غلقا

ورقاب الأموال يعنى بها نفس الابل والماشية يريد أنه لا يفتقر على الجود باللبن بل يجود بنفس الابل وجعل معروفه وجوده بمنزلة الرداء الذي يشتمل به لأنه يصون عرضه بالجود كما يصون جسده بالثوب » وفرس غمر اذا كان كثير الجرى [٦٣] والغمر الحقد يقال قد غمر صدره على الغمر الذي لم تحنكه التجارب والغمر القدح • قاله أعشي باهلة « وهو عامر بن الحارث يرثي المنتشر بن وهب وقتله بنو الحارث بن كعب » :

تكفيه حزة فلذ ان ألم به من الشواء ويروي شربه الغمر

« الفلذ قطعة من الكبد كبيرة والحزة تقطع من الفلذ صغيرة يقول هذا الممدوح ليس بمبطان كثير الأكل شديد الحرص على الطعام والعرب تذم بذلك لأن كثرة الأكل يضخم منها الآكل ويثقل وتقل حركته ويكسل في الأوقات التي يحتاج الى النهوض فيها واذا قل لحمه خف في الحوائج وعند الغارة والركوب » • قال طرفة :

خشاش كرأس الحية المتوقد

الخشاش الخفيف • وقال أبو كبير :

ما ان يمس الأرض الا منكب منه وحرف الساق طى المحمل

وصفه بالضمر • وقال متمم :

---

(٦٢) في الاصل شديد •

فتى غير مبطان العشيات أروعا

« وقوله ويروي شربه الغمر يريد أن ملء هذا القدح الصغير يكفيه من الماء والغمر السهك ومنه منديل الغمر ... » .

أضاف التبريزي بعض التوضيحات كقوله للتفريق بين حَمْل وحِمْل : « ويضبط هذا بأن يقال لكل متصل حَمْل وكل منفصل حِمْل » . وربما أضاف أيضا بعض الاشتقاقات كما فعل حين أضاف الى قول ابن السكيت « ونخلة موقر وموقرة وموقرة » قوله : « وقيل موقَر وهو على غير قياس » . وربما أضاف الى الفعل لغة غير التي ذكرها ابن السكيت كما فعل حين أضاف « وقر » الى « وقر من الوقار » . وقد يوضح بعض الألفاظ كقوله في توضيح معنى (غمر الخلق) بقوله : « اذا كان واسع الخلق » . وقد يحذف بعض ما يراه زائدا كما فعل حين حذف قول ابن السكيت : « يحمل على رأس أو على ظهر من قوله تبارك وتعالى : (فالحاملات وقرا) توضيحا للوقر . وقد يحذف أيضا أسماء بعض اللغويين الذين ينقل أو يروى عنهم ابن السكيت كما فعل حين حذف اسم الفراء ، وابن السكيت هنا أحرص على الأمانة العلمية من التبريزي وكأن هذا الأخير لا يهمه مصدر الرواية بقدر ما تهمه المادة والمعنى .

وربما أضاف التبريزي بعض الشواهد كما فعل حين استشهد برجز العجاج وهو يستعين في شرح الأبيات بكتاب ابن السيرافي في (شرح أبيات اصلاح المنطق) كما نص في المقدمة . وربما ذكر أيضا المناسبة التي قيل فيها الشاهد كذكره للمناسبة التي قيلت فيها قصيدة كثير التي منها البيت المذكور آنفا وهي في مدح عبد العزيز بن مروان .

وقد لا يكون هذا كافيا لرسم الصورة الدقيقة لمنهج التبريزي في تهذيبه اصلاح المنطق ، فنتناول بابا آخر بالمقارنة بين الأصل والتهذيب

سالكين نفس الطريقة .

قال في باب فَعَل وفُعْل : « الكير كير الحداد والكور الرحـل « بأداته » وجمعه أكوار وكيران قال وسمعت أبا عمرو يقول : الكـور المبني بالطين والكير الزق الذي ينفخ فيه . قـال بشر بـن أبي خـازم « يصف فرسا » .

كأن حفيف منخره اذا مـا　　　كتمن الربو كير مستعـار

أي زق مستعار « يستحب مـن الفرس أن تتسـع مناخـره واذا اتسع منخره كثر خروج النفس منه وقت العـدو واذا ضاقت مناخـره لم يخرج الربو من جوفه فانقطع في عدوه والضمير في كتمن يعود الـى الخيل والحفيف الصو تشبه صوت منخره بصوت الكـير اذا نفخـه الحداد وجعله مستعارا لأن المستعير لا يشفق عليه فاستعماله اياه أشـد من استعماله ماله ويقال للمنخر منخر ومنخر بفتح الميم وكسرها » والكبر من التكبر وكبر الشيء معظمه قال الله عز وجل (والـذي تولى كبـره منهم) وقال قيس بن الخطيم :

تنام عن كبر شـأنها فاذا　　　قامت رويدا تكاد تنغـرف

أى تنثنى « تنغرف وتنقصف بمعنـى واحد يصف امـرأة بالنعمة والرفاهية وقلة العمل وهذا يحسنها وينعم بدنها وقال تنام عـن معظـم شأنها لأنها مكفية تخدم ولا تخدم » ويقال كبر سياسة الناس في المـال ويقال الولاء للكبر وهو أكبر ولد الرجل . الغسـل ما غسل بـه الرأس والغسل الماء الذي يغسل به والقل الرعدة يقال أخذه قل اذا أرعد مـن الغضب والقل القلة قال : وحكى لنا أبو عمرو يقـال : الحمد لله علـى القل والكثر أى على القلة والكثرة . قال « عمر بـن حسان من بنـي الحارث » لبعض بني ربيعة :

فـان الكثر أعياني قديما ولم أفتر لدن أني غـلام

« أي طلب الغني أعياني يقول قد طلبت الغني في أول أمري وحين شبابي فلم أبلغ ما في نفسي ومع ذلك فلم أكن فقيرا قط فلا تأمريني بطلب المال وجمعه • وترك تفريقه فاني لا أبلغ نهاية الغني بالمنـع ولا افتقـر بالبذل وقد مرت أبيات من هـذه القصيدة في أول الكتاب • وقـال خالد بن علقمة الدارمي(٦٣) •

« ويلم لذات الشـباب معيشـة مع الكثر يعطاه الفتى المتلف الندى »
وقـد يقصر القل الفتى دون همه وقد كان لولا القـل طلاع أنجد

« يقول اذا رزق الفتى الشباب ومالا و كان سخيا ارتفع ببدله وذكر وتنعم بما ينال من لذات الدنيا وقد يقصر القل أي قد يهم الفتى الـذي من سجيته السخاء بفعل المكارم فلا يجد مالا يجود به وفي همته أن يجود ويعطي والفقر يمنعه من ذلك ويقال فلان طلاع أنجد اذا كان معروفـا بالأفعال الجيلة وأصله أن النجد الأرض المرتفعة وجمعها أنجد ونجـاد فيراد أنه يبرز ويعلـو ليعرف ولا يستتر ويجوز أن يريد أنـه يعلو على الأرض المرتفعة ليكون ربيئة للجيش كقوله :

أنا ابـن جـلا وطـلاع الثنايـا »

ويقال هو قُل بن قُل وضُل بن ضُل اذا كان لا يعرف ولا يعرف أبوه والذل ضد الصعوبة يقال دابة ذلول بين الذل « من دواب ذلل » اذا لم يكن صعبا والذل ضد العز يقال رجل ذليـل بين الـذل والذلـة والمذلة « من قوم أذلاء وأذلة » • والصِّفر الخالي يقال بيت صفر مـن المتاع والصفر الذي يعمل منه الآنية • والغِل الغش والعداوة ، والغُل العطش

(٦٣) في الاصل لعلقمة بن عبـدة .

وهو الغَلة والغُل الذي يغل به الانسان • والجِل قصب الزرع اذا حصد وجُل الشيء معظمه والقِطر ضرب من البرود والقِطر النحاس والقطر والقتر الجانب يقال ما أبالى على أي قتريه وقطريه وقع اي على جانبيه وقع ويقال طعنه فقطره « وقتره » اذا ألقاه على أحد شقيه واقطار الارض وأقتارها نواحيها • والنِكس الرجل الرديء الفسل الدنيء والنُكس ان

ينكس الرجل في مرضه والعبر شاطيء النهر وهو أحد جانبيه ويقال آراه عُبر عينيه اي سخنة عينية ويقال لامه العُبر أي العَبَر والقير الذي يقير به « والذي يطلى به الابل » والقور جمع قارة وهي الجبل الصغير والضِر تزويج المراة على ضرة والضُر سوء الحال ، والتِرب السن وأكثر ما يقال في المؤنث هي تربه وهن أتراب والتُرب التراب والعِفر الرجل الشجاع الجلد والعَفر من الظباء « ظباء » يعلو بياضها حمرة •

والمِز الفضل يقال لهذا على هذا مز وهذا أمز من ذا والمُز بين الحامض والحلو • والصِرم أبيات مجتمعة « والصرم القليل من الابل » والصُرم التقطيعه • الجِرم : الصوت والجسد جميعا • والجُرم الذنب •

وقد زاد التبريزي هنا أيضا فوضح بعض المعاني كما فعل حين تعرض لكلمة القير فأضاف قوله « ويطلي به الابل » وكما فعل أيضا حين ذكر معنى آخر (للصرم) وهو « القليل من الابل » • وأضاف أيضا بعض اللغات كما فعل حين أضاف وقتره لغة في يقطره وسمى أسماء الشعراء الذين تنسب اليهم الشواهد ممن أغفل ذكرهم ابن السكيت ، وشرح الأبيات أيضا مستعينا بابن السيرافي وهو حين يشرح يحذف أولا بعض تعليقات ابن السكيت ويورد بعد ذلك الشرح كاملا وربما استطرد فجاء بشواهد أخرى وحذف أسماء اللغويين الذين ينقل عنهم ابن السكيت كما فعل حين أهمل ذكر (أبي عمرو) مرتين • وحذف بعض التفصيل في شرح المعاني كما فعل حين حذف (من المتاع) واكتفى بذكر (بيت صفر) ، وحين حذف كلمة (جلد) في شرح كلمة (العفر) واكتفى

بالقول بأنه (الرجل الشجاع) ، وكذلك حذف كلمة (الدنيء) في شرح كلمة (النكس) واكتفى بالقول بأنه (الرجل الفسل الردىء) • على آن حذفه قد ضر بالمعنى أحيانا فيبقيه غامضا كما حدث حين اكتفى في شرح (الكير) بأنه (الزق) وحذف (الذي ينفخ فيه) •

وهي جملة لا بد منها لتوضيح المعنى ورفع اللبس عنه ، على أنه يلاحظ في هذا الباب أن التبريزي حذف مادة برمتها وهي مادة الجرم ولم يثبتها في تهذيبه مما يشير الى عدم فصاحتها اللهم اذا عددنا ذلك مما سقط من النساخ •

وقال في باب (ما يتكلم فيه بفعلت مما يغلط فيه العامة فيتكلمون فيه بأفعلت [٦٤]) يقال [٦٥] : نعشه الله ينعشه أي رفعه الله ومنه سمى النعش نعشا لارتفاعه ولا يقال أنعشه الله وتقول قد نجع فيه الدواء وقد نجع العلف فى الدابة ينجع ولا يقال أنجع فيه • ويقال نبذت نبيذاً ونبذت الشيء من يدي اذا ألقيته ، فقال أبو محمد : أنشدني غير واحد :

نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا

ومنه قول الله عز وجل : (فنبذوه وراء ظهورهم) ووجدت صبيا منبوذا [٦٦] ولا يقال أنبذت نبيذا • وقد شغلته ولا يقال أشغلته • ويقال قد سعرهم شرا ولا يقال أسعرهم وقد رعيته اذا أفزعته وكذلك رعبت الحوض اذا ملأته فهو مرعوب قال « أبو خراش » الهذلى « يمدح دية السلمى » :

« فنعم معرس الأضياف تذحى رجالهم شآمية بليل »
يقاتل جوعهم بمكللات من الفرنى يرعبها الجميل

(٦٤) صفحة ٣٨٢ بالمخطوطة
(٦٥) في الاصلاح « تقول »
(٦٦) فى الاصلاح « ويقال وجد فلان صبيا منبوذا »

« يقول نعم معرس الأضياف دبية يعني ان الأضياف اذا نزلوا بهـا أكرمهم وأصابوا منه خيرا وتذحى تضرب وتطرد والشآمية الريح الشمال والبليل التي تأتي بندى ونضج ومكللات الجفان مكللات باللحم جعل لها كهيأة الاكليل وقوله يرعبها الجميـل » أي تملؤها الاهالة • ويـروي : (تقابل جوعهم) • ويقال جملت الشحم اذا أذبته وكذلك اجتملت • قال « مليح بن الحكم الهذلي [٦٧] » •

بذي هيدب أيما الربا تحت ودقه فتردى وأيما كل و د فيرعب

« ويروي يرعـب ويزعب والهيدب الغيـم المتراكـب في أطراف السحاب يشبه بالهدب مـن الثوب يصف بكثرة المطـر وقـد رويت الربى مـن مطره وأيما قلبت احـدى الميمين ياء » أيما : في معنى أما •

وقد هزلت دابتي وكذلك هزل في منطقة يهزل هزلا ويقال أهزل النـاس اذا وقع في أموالهم الهزال وقد كفأت الاناء فهو مكفوء اذا قلبته « وأكفأت في الشعر » ويقال قد قلبت الشيء أقلبه قلبا وقد قلبت الصبيان وصرفتهم بغير ألف قالوا فأقلبت الخبزة اذا نضجت وانى لها أن تقلب وقد وقفتـه على ذنبه ووقفت دابتي ووقفت وقفا « على ولدى » كلـه بغـير ألف • وحكى الكسائى ما أوقفك ها هنا ؟ أي شيء أوقفك هاهنا ؟ صيرك الى الوقوف • قال الأصمعي يقال: وجنبت الريـح وشملت وقبلت وصبت ودبرت كله بغير ألف • ويقال قد أجنبنا وأشملنا أي دخلنـا في الجنوب والشمال « وجنبنا وشملنا أي أصابتنا الجنوب والشمال » ويقال قـد برقت السماء وأرعدت وقد برق ورعد اذا تهدد وأوعد قال ولم يكن يرى ببت الكميت حجة لأنه عنده مولد وهو قوله :

---

(٦٧) في الاصلاح « قال الآخر »

أبرق وأرعـد يا يزيـــ ـــد فما وعيـدك لي بضائـر

وحكى أبوعبيدة وأبو عمرو : برق ورعد ، وأبرق وأرعد اذا تهدد وأوعـد •

« وقست الشيء : أقيسه قيسا وقياسا وقسته أقوسه قوسا وقياسا ولا يقال أقسته » ، « قال » الفراء : يقال وعدته خيرا ووعدته شـرا باسقاط الألف ، فاذا أسقطوا الخير والشر قالـوا في الخير وعدتـه وفي الشر أوعدته ، وفي الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد فـاذا قالوا أوعدته بالشر أو بكذا أثبتوا الألف مع الباء ، وانشد :

أوعدني بالسجن والأداهم رجلي ورجلي ششنة المناسم

« رجلي منصوب بدل مـن الضمير المنصوب تقديره أوعد رجلـي بالسجن والأداهم وهي القيود والواحد أدهم والششنة الغليظة والمنسـم أسفل خف البعير ولا يستعمل لغيره الا في ضرورة شعر • وأراد بالمناسم ها هنا باطن رجليه على طريق الاستعارة يقول رجلي غليظـة لا أتألـم لجعلها في القيد فلست أفكر في ايعادك لي بالسجن والقيد • يهزأ بـه وقيل في معناه أوعدني بالسجن وأوعد رجلي بالأداهم ، وتقديره أنـه عطف على عاملين قال القول الأول أحب الى » • يقال وقد كببته لوجهه وكب الله الأبعد لوجهه ولا يقال أكب الله « انما يقال أكـب على الشيء اذا انكمش فيه » وقد علفت دابني وقد رسنتها بغير ألف وقـد خششت بعيري وقد حميت المريض أحميه حمية « وقلت » قد حميت أنفا أن أفعل كذا وكذا حمية ويحميه اذا أنفـت أن تفعله « وتقول » ويقال قـد عبته فهو معيب ولا يقال أعبته ورفدته ولا يقال أرفدته « وغظته ولا يقال أغظته » وحدرت السفينة ولا يقال أحدرتها « وهلت الرمل والدقيق فهو مهيل ولا يقال مهـال » •

حذف التبريزي أسماء اللغويين الذين يروي عنهم ابن السكيت كما

فعل في تهذيبه لسائر أبواب الكتاب ، وحذف أيضا بعض الشروح الزائدة كقوله : « اذا ألقيته » في شرح (نبذت الشيء من يدي) • وحذف بعض الألفاظ أو الكلمات الزائدة ككلمة (يقال) وكلمة (اذا) وكلمة (قد) كما حذف قول أبي محمد الانباري وتعليقه وهو من غير صلب الكتاب • كما حذف مادة برمتها وهي قول ابن السكيت ويقال قد برقت السماء وأرعدت وقد برق ورعد اذا تهدد وأوعد قال : ولم يكن يرى بيت الكميت حجة لأنه عنده مولد وهو قوله :

أبرق وأرعد يا يزيـــ ـــد فما وعيدك لي بضائر

وحكى أبو عبيدة وأبو عمرو : برق ورعد وأبرق وأرعد اذا تهدد وأوعد • وزاد التبريزي ثلاثة مواد وهي مادة قسته ، وغظته ، وهلت الرمل ، وتوسع في شرح بعض المواد فأضاف اليها معاني جديدة كقوله : (واكفأت في الشعر) • وقوله : (وجنبنا وشملنا أي أصابتنا الجنوب والشمال) • وقوله (انما يقال أكب على الشيء اذا انكمش فيه) • وكما فعل حين تعرض لسائر شواهد الكتاب ، وذكر ما أهمله ابن السكيت من اسماء قائليها فذكر أبا خراش ومليح بن الحكم الهذلي وأهمل ذكر اسم الشاعر الذي قال البيت الأول والمناسبة التي قيل فيها البيت وهي مدح دية السلمى ثم أورد البيت الذي قيل الشاهد وشرح الشواهد شرحا مفصلا معتمدا كذلك على ابن السيرافي •

وقال في باب آخر [٦٨] : « يقال قد أكثرت من البسملة » •

« يقال قد أكثرت من البسملة اذا أكثر من قول » بسم الله الرحمن الرحيم ، وقد أكثرت من الهيللة اذا أكثر من قول « لا اله الا الله » وقد أكثرت من الحولقة « والحوقلة » اذا أكثر من قول « لا حول ولا قوة

---

(٦٨) صفحة : ٥٠٦ (من المخطوطة) •

الا بالله » وقد أكثرت من الحمد له أي من « الحمد لله » ومن الجعفلة أي من « جعلت فداك » ومن السبحلة اي من « سبحان الله » وحكى لنا أبو عمرو وله الويل والاليل والأليل : الأنين قال ابن ميادة :

وقولا لها ما تأمرين بوامق … له بعد نومات العيون آليل

أي أنين وتوجع « الوامق المحب ومعنى ما تأمرين بوامق أي تأمرين في أمره أتهجرينه أم تصلينه » وتقول أطعمنا من أطايب الجزور ولا تقل من مطايب « هكذا ذكره يعقوب وذكر غيره من مطايب أجود » ويقال ما رئي عليهم حفف ولا ضفف أي أثر عوز « وأولئك »[69] قوم محفوفون وقد حفتهم الحاجة حفا شديدا اذا كانوا محاويج ويقول جدعه الله جدعا موعبا أي مستأصلا وقد أوعب القوم كلهم اذا حشدوا وجاء القوم موعبين وقد أوعب بنو فلان جلاء فلم يبق ببلدهم منهم أحد .

ويقال استوخ لنا بني فلان ما خبرهم أي استخبرهم « من الوخى وهو القصد أي اطلب لنا طريقهم » ويقال قد تأييت أي تلبثت وتحبست وليس منزلكم هذا منزل تئية أي منزل تلبث وتحبس قال الكميت :

قف بالديار وقوف زائر … وتأىّ انك غير صاغر

« يقول تحبس على الوقوف بالديار فلست بصاغر في فعلك ذلك ولا ذليل »

لم يحذف التبريزي هنا الا بعض الألفاظ الزائدة على خلاف ما رأيناه في الأبواب الأخرى حيث حذف اجزاء مهمة من ابن السكيت كحذفه لبعض الشواهد من القرآن الكريم ولبعض الشروح وربما بعض

---

(٦٩) في الاصلاح « ويقال » .

المواد • وقد أضاف على الأصل أشياء مهمة فزاد في المواد « كالحمد له والجعفلة والسبحلة » وأضاف الى بعض الشروح ما يجعلها أوضح كقوله (استوخ من الوخي وهو القصد) ورد على ابن السكيت حين قال : « وتقول أطعمنا من أطايب الجزور ولا تقل من مطايب » فقال : « هكذا ذكره يعقوب وذكر غيره من مطايب أجود » •

وبالاضافة الى هذه الزيادات فقد شرح الشواهد شرحا مفصلا •

على أن منهج التبريزي يتجلى بصورة واضحة في باب (الألفاظ) وهو الباب الأخير عنده أما في الاصلاح فهو الباب قبل الأخير •

ولنر ما فعله التبريزي في هذا الباب :

« يقال عجبت من سرعة ذلك الأمر « وسَرْعِهِ » وعجبت من سِرَعَ ذلك الأمر « ومن وَشْك ذلك الأمر ووشكه وَوُشكانه وَوِشكانه وَوَشَكانه » وعجبت من وشكان ذلك الأمر ووشكانه ويقال فلان سابغ الفضل على قومه وفلان ضافي الفضل على قومه وقد ضفا يضفو ضفوا ويقال للفرس ضافي السبيب اذا كان سابغ الذنب والعرف والسبيب شعر العرف والذنب ويقال بهذا الرجل والبعير سلعة وبه جدرة وبه ضواة « وهي ورمة تكون في حلق البعير سلعة وبه جدرة وبه ضواة » قال مزرد :

«أكلفتماني ردها بعدما أتت (الى) مخرم البقعاء من جوف هيثم[٧٠]»

قديفة شيطان رجيم رمى بها فصارت ضواة في لهازم ضرزم

« يقول أكلفتماني رد هذه القصيدة التي قلتها وكان قد هجا كعب ابن زهير فزجره قومه ونهوه ونهوا كعبا عن هجائه فقال أكلفتماني رد هذه القصيدة بعدما صارت الى مخرم البقعاء والمخرم منقطع أنف الجبل والبقعاء موضع خلف المدينة وهيثم موضع معروف ويقول كيف أردها

(٧٠) سقطت كلمة « الى » من المخطوطة ولا يستقيم البيت بدونها .

وقد سارت وصارت في أفواه الرجال قذيفة شيطان يعني القصيدة رمى بها فصارت ضواة يريد صارت القصيدة من المهجو بمنزلة الضواة التي في لهازم ناب ضرزم وعنى الشيطان نفسه وانما يريد أنها لزمت الذي هجاه ولم تفارقه كما لزمت الضواة الناقة وخص الضرزم لأنها كبيرة السن لا يرجى برؤها كما يرجى برؤ الصغيرة » • الضرزم الناقة الكبيرة

ويقال قد أروى فلان رأسه دهنا وسغبل رأسه دهنا وسمغه • يقال : واختصمنا الى الحاكم فقطع ما بيننا وفصل ما بيننا وصرى ما بيننا وهو يصري صريا • وحصر فلان بوله « وحقنه » وحقن بوله • وصرى وصرب بوله ويقال ماء صَرًى وصِرًى اذا طال انقاعه حتى يصفر ويقال ولطخ فلان فلانا بشر وأشبه يأشبه أشبا وقشبه يقشبه قشبا وعره يعره عرورا « قال » وأنشد الأصمعي للنابغة :

فبت كأن العائدات فرشنني هراسا به يعلى فراشي ويقشب

« الهراس نبت من الحمض واذا مس جلد الأنسان أذاه وشقه يريد أنه بات قلقا مزعجا لما بلغه من وجد النعمان عليه وتوعده اياه » ويقشب « أي » يخلط يقال نسر قشيب اذا خلط له في لحم يأكله سم فاذا أكله قتله فيؤخذ ريشه وتراش به السهام • قال « أبو خراش » الهذلي :

« به يدع الكمى على يديه » يخر تخاله نسرا قشيبا

« الضمير المجرور يعود الى سيف ذكره قبل هذا البيت وفي يدع ضمير فاعل يعود الى صاحب السيف والكمى اللابس السلاح المتغطى به يقول هذا الرجل هذا السيف يدع الكمى مقتولا مطروحا كأنه نسر قد أكل لحما مسموما » ، وكذلك قشب طعامه • ويقال أمر بني فلان

بجمع اذا كان مكتوما لم يفشوه ولم يعلم به احد ويقال ماتت فلانة بجمع اذا ماتت وولدها في بطنها ، ويقال فلانة من فلان بجمع اذا لـم يمسها ، وجاء فلان بقبضه • مثل جمعه وجمعه كفه حين يقبضها ويقال احد فلان بجمع ثياب فلان ويقال فعل ذاك الامر بحدثـان ذلك « الامر وبجنـه » وافعل ذلك الأمر بجن ذلك • قال المتنخل الهذلي :

أروى بجن العهد سلمى ولا   ينصبك عهد الملق الحول

« يريد أروى الغيث الذي ذكره قبل هذا البيت وضميره أروى بجن العهد بحدثان نزوله من السحاب وهو طرى لم تغير ولا ينصبك • نهى نفسه أن ينصبه حب من هو قلق والحول الذى يتحول عن العهد لا يثبت عليه » • وافعل « ذلك بحدثانه » بحداثة ذلك الأمر وبربان ذلك الأمر قال ابن أحمـر :

وانما العيش بربانـه   وأنت من أفنانه مفتقـر

« يعني أن العاذلة قالت له اىما العيش بربانه أي لحدثان ذلـك الشباب والصبى وأنت شيخ قد كبرت وأنت مفتقر أثر الشباب ، وأفنانه طرائقه ونواحيه • ويروي وأنت من أفنانه معتصر ، والمعتصر الطالب يريد أنت تطلب أثر الصبى تأخذ عصارته » قال ومنه قيل شاه ربى وغنم رباب اي حديثة الولادة في ربابها •

فقد حذف هنا بعض شروح ابن السكيت كقوله : « ويقـال ماتت فلانة بجمع اذا ماتت وولدها في بطنها » ويقال : « فلانة من فلان بجمع اذا لم يفتضها » وحذف كذلك الألفاظ الزائدة كلفظ يقال الذي يتكرر عند ابن السكيت كثيرا ، وحذف، كذلك اسم الأصمعي ، واستبدل مادة

بأحرى ففي الاصلاح : « وافعل بحداثة ذلك الأمـر » وفي التهذيب :
« وافعل ذلك بحدثانة ذلك الأمر » •

وزاد التبريزي بعض المـواد « كالسرِع ووشك ذلـك الامـر ووَشكه ووُشكانه ووِشكانه ووَشكانه » • وزاد بعض الشـروح ، أورد في ذكره للشاهد البيت الذي قبله وأكمل شطر البيت الـذي استشهد به ابن السكيت وشرح الشواهد شرحا مفصلا •

على أن النسخة المطبوعة من التهذيب وان قسمت الـى جزئين • لا تستوعب جميع أبواب الجزء الأول من الأصل فان الجزء الثاني يحتوى على الأبواب الآتية :

مايهمز فيكون له معنى واذا لم يهمز كان له معنى آخر ، ومماهمزته العرب وليس أصله الهمز ، ومماتركت العرب همزه وأصله الهمز ، ومماهمزه بعض العرب وترك همزه بعضهم والأكثر الهمز • ومما يقال بالهمزمرة وبالواو أخرى ومما يقال بالهمز والياء ، باب ما جاء من الأسماء بالفتح ، باب ما جـاء مضموما ، باب ما يفتح أوله ويكسر ثانيه ، باب ما يكسر أوله ويفتـح ثانيه ، باب منه آخر ، باب ما يفتح أوله وثانيه ومن العرب مـن يخفف ثانيه ، باب ما هو مكسور الأل مما فتحته العامة أو ضمته ، باب مـا يشدد ، باب ماتغلط فيه العامة فتتكلم بالياء وانما هو بالواو ، بـاب ما جاء على فعلت بالفتح مما تكسره العامة أوتضمه وقد يجيء في بعضـه لغة بالكسر والضم الخ ، باب ما جاء مفتوحا فيكون له معنى فاذا كسر كان له معنى آخر •

وهذه الابواب جميعها تقع ضمن الجزء الأول من النسخة المطبوعة من الأصل ويقابل آخرها صفحه ٢٠٦ •

ونعتمد فيما تبقى من تهذيب التبريزي على مخطوطة دار الكتـب المصرية المحفوظة تحت رقم ٥١٢ لغة • والابواب الباقية من الجزء الاول من التهذيب التي لم يشملها المطبوع هي نفس ابواب الجزء الاول مـن

(الاصلاح) غير ان التبريزي فصل الجزء الاخير من باب « ما نطق بـه بفَعِلْتَ وفَعَلْتَ » وهو الجزء الذي يبدأ بقوله: «قال الفراء : ما كان على فَعَلْتَ من ذوات التضعيف غير واقع فان يفعل منه مكسور العين مثل : عففت أعف ، خففت أخف ، شححت أشح » وما كان على فعلت مـن ذوات التضعيف واقعا مثل رددت وعددت ومددت فان يفعـل منـه مضموم « ووضعه تحت باب جديد بعنوان » باب التضعيف •

وابن السكيت أكثر اضطرابا في الجزء الثاني منه في الأول فقـد ارتبك في تصنيف الابواب هنا ، وجمع تحت الباب الواحـد أشياء لا يجمعها رابط وفصل أبوابا عن اخرى كان يجدر به أن يجمعها في باب واحد • وبذلك رأينا التبريزي يحاول أن يتلافى هذا الاضطراب فجمع أبوابا الى بعضها وجزأ أبوابا أخرى وزاد وحذف بشكل أكثر وضوحا مما رأينا في الجزء الأول •

ففي الاصلاح باب بعنوان : « باب فَعْل » يبدأ بقوله في رأسه سعْفة ساكنة العين وهوداء يأخذ في الرأس وفي أسنانه حفر ، وهـو شلاق في أصول الأسنان ويقال : أصبح فم فلان محفورا • ويقـال : أصابه في بطنه مَغْص وهو رجل مغموص » • جعله التبريزي (بـاب نوادر ما تلحن فيه العوام) • وكأنه افترض أن العوام ينطقون ما جاء فيه على فَعْل فَعَلاً على نحو ما يغلب على اللسان في عصرنا هذا حين نطق أكثر الناس (مغَص) بدلا من مغْص •

واجتزأ التبريزي الجزء الأخير من باب « ما تضعه العامة في غـير موضعه » وهو قوله « نعجة لجبه وعزوز ومصـور أي قليلات الألبان » وبدأ به الباب الذي يبـدأ في الاصلاح بقوله : « تقـول أن أخطـأت فخطئني » والحق التبريزي بهذاالباب باب فصله ابن السكيت وهـو يبدأ بقوله : « تقول صمنا خمسا من الشهر » والذي يبرر ذلك عنـد التبريزي على ما يبدو هو أن كلا البابين يتعرض للحن العامة ، على أنه

يلاحظ أن التبريزي ساير ابن السكيت في فصل الأبواب التي تتعرض للحن العامة التي وضع لكل منها عنوان (مما تضعه العامة في غير موضعه) وهي ثلاثة أبواب •

وافرد ابن السكيت بابا بدون عنوان لبعض الأسماء التي لا تدخلها الألف و للام والتي لاتنون نحو « شعوب اسم للمنية ، وهنيدة مائة من الابل ، وخضارة اسم للبحر » ، ولكنه يلحق في آخر الباب أقوالا (لا صلة لها) ت اليه بصلة تبدأ بقوله : « تقول : قد دفرته دفرا ، اذا دفعت في صدره • والدفر أيضا : النتن ويقال للدنيا أم دفر » • وفصلها التبريزي ووضعها في باب منفصل • وقد جمع التبريزي بابي (الاصلاح) اللذين يبدأ احدهما بقوله : « تقول هذه ملحفة جديد وملحفة خلق ولا تقل جديدة ولا خلقة » ويبدأ الثاني بقوله : « والعقيقة صوف الجذع والخبيبة صوف الثنى • والخبيبة : من الصوف أفضل من العقيقة وأكثر » • ولا مبرر في الواقع للفصل بين هذين البابين لأن الباب الأول يبدأ بالصفات التى على وزن فعيل بتأويل مفعول بها مما لا تلحقه الهاء ويشمل على ما جاء على هذا الوزن مما يلحق به الهاء لأنه يخرج مخرج الاسماء ولا يذهب به مذهب النعوت نحو : « النطيحة والذبيحة » • فالأجدر أن يلحق به الباب الثاني لأنه تكملة له فالعقيقة والخبيبة أيضا مما يخرج مخرج الأسماء « كالنطيحة والذبيحة » وفصل التبريزي باب فعيل في تأويل فاعل اذا كان مؤنثه بالهاء نحو : « كريم وكريمة وشريف وشريفة عن باب فعيل وفعيلة في تأويل مفعول بها وألحقه ابن السكيت بالباب الذى سماه باب آخر من فعيله • ولا يشمل هذا الباب في الاصلاح ما جاء على هاتين الصيغتين فقط وانما يشمل مواد أخرى لا صلة لها بهاتين الصيغتين كالجزء الذي يبدأ بقوله : « يقال أرض مَسْبطة كثيرة السَّبَط ، وأرض مَنصية كثيرة النصيّ ، وأرض مَبهمة كثيرة البُهمى وقد أبهمت ، وأرض مَعشبة : كثيرة العشب » • وقد أفرد التبريزي

له بابا سماه باب النبات • وهناك أجزاء أخرى ألحقها ابن السكيت كلها بباب آخر من فعيلة •

أما التبريزي قد جعلها في أبواب منفردة كالباب الذي يبدأ بقوله : « يقال ماقعد بي عنك الا شغل أي ما حبسني » وباب « الأسقية واسمائها » والباب الذي يبدأ بقوله : « ويقال قد وغر صدره على »

إلا أن التبريزي لم يوفق دائماً في تجزئة الأبواب وضم بعضها الى بعض، فربما ألحق بابا بباب وليس بينهما رابطة فقد ألحق الباب الذي يبدأ بقوله : « وتقول تلك فعلت ذاك وتيك فعلت ذاك » بالباب الذي قبله وهو الباب الذي يبدأ بقوله : « ويقال قد وغر صدن علي » وهو باب يتعرض لبعض الألفاظ واشتقاقها واستعمالاتها كلفظ وَغَر وأرغى ، ومَدَر ، والثَقَل ، والسَطَر ، وغيرها وترك التبريزي ابواب ما يتكلم فيه بالنفي أو الجحد مما هي عليه في الاصلاح وهي سبعة أبواب وكذلك فعل بأبواب المثنى الثلاثة • وكذلك باب الألفاظ الا أنه ألحق به الجزء الأخير الذي يأتي في الاصلاح بهذه العبارة : « هذا ما أصبته في آخر الكتاب وسمعته الى آخر الكتاب وصححته » وهو الجزء الذي يبدأ بقوله : ويقال للرجل اذا صمت فلم يتكلم سكت فلم ينبس الى قوله : « ويقال نزع فلان ضرسه وامتلخ ضرسه وانملخ ضرسه » • وآخر باب في التهذيب وكذلك في الاصلاح هو باب « تَعَلَّة » الا أنه في التهذيب ينص على أن محله بعد باب « ما جاء مثنى مما هو نعت » • هذا ما أجراه التبريزي من تغيير في شكل الجزء الثاني من الكتاب مع ملاحظة أن المخطوطة التي كان عليها اعتمادنا غير مقسمة الى جزئين كما هو الحال في نسخة الأصلاح المطبوعة وانما تتوالى أبوابها من غير فصل •

وخلاصة القول في تهذيب التبريزي أنه عمد الى أبواب الكتاب وخاصة في الجزء الثاني فأجرى فيها بعض التغييرات الهامة متلافيا الاضطراب الذي يكتنفها في الأصل فجمع بعض الأبواب الى بعضها وفرق أخرى ، وربما فصل الباب الواحد الى عدة أبواب • الا أنه لم يحالفه التوفيق دائماً فوقع أحيانا فى نفس الخطأ الذي وقع فيه ابن السكيت فضم بابا الى آخر وليس بينهما رابط ، وحين تعرض لمادة الكتاب حذف كل ما وجده زائدا وربما كان ذاك كلمة أو جملة أو عدة جمل ، واستغنى عن بعض الشروح عندما يجد المعنى واضحا • الا أن حذفه ربما ترك المعنى غامضا •

وحذف مواد أو استبدل بها مواد أخرى ولم يأبه بذكر الشيوخ الذين ينقل أو يحكى عنهم ابن السكيت فحذف اسماءهم ولم يذكرهم الا عند الضرورة • وأضاف مواد جديدة حيثما وجد الأمر يقتضي ذلك، وربما زاد في الشروح فشرح معنى غامضا أو كلمة مبهمة وأثبت شواهد الكتاب من الشعر وربما ذكر بيتا أو أبياتا قبل الشاهد أو بعده أو أكمل البيت اذا كان ابن السكيت اكتفى بذكر شطره وربما ذكر المناسبة التي قيلت فيها القصيدة التي منها البيت وسمى اسم الشاعر حيثما أمكن وشرح الشاهد شرحا مفصلا معتمدا في كل ذلك على ابن السيرافي كما نص في المقدمة • وبقدر اهتمامه بشواهد الشعر أهمل الشواهد الأخرى وربما حذف بعضها وخاصة شواهد القرآن وكأنه ظن فيها الوضوح فعدها زائدة •

أما ترتيب المواد فقد تركه على ما هو عليه عند ابن السكيت بدون ترتيب للمواد على حروف المعجم •

هـ ـ تفسير ابيات اصلاح المنطق :

وشرح أبيات اصلاح المنطق أبو محمد ابراهيم [٧١] بن يوسف ابن المرزبان السيرافي وهو ابن أبي سعيد السيرافي ، ومنه نسختان مخطوطتان في مكتبة كوبريلي الاولى برقم ١٢٩٦ وقد صورت على شريط ميكروفيلم ، في معهد المخطوطات بالجامعة العربية برقم ١٥٢ لغة ، وقد ذكرت في الفهارس هناك بعنوان « شرح أبيات اصلاح المنطق » والنسخة الثانية برقم ١٣٠٠ وهي بعنوان « شرح شواهد اصلاح المنطق » وقد صورت على شريط ميكروفيلم بالجامعة العربية أيضا ، الا أنه كتب عليها أنها تأليف أبي سعيد السيرافي وهو خطأ لأن أبا سعيد لم يصنف مثل هذا الكتاب والذي تذكره كتب التراجم والفهارس انه لابنه ابراهيم ، وقد نص على ذلك التبريزي في مقدمة تهذيبه [٧٢] ، وسيكون اعتمادنا على النسخة الأولى . وذكر اليافعي في مرآة الجنان [٧٣] أن سبب تصنيف ابن السيرافي لهذا الكتاب يرجع الى أنه بينما كان في مجلس أبيه وبعض أصحابه يقرأ عليه اصلاح المنطق مر به بيت جميل :

ومطوية الأقراب أما نهارها فسبت وأما ليلها فذميل

« فقال أبو محمد : ومطوية بالخفض : أصلح » ، فقيل له : « ان

---

(٧١) هكذا ذكر اسمه في المخطوطة ويذكر في كتب التراجم انه ابو محمد يوسف بن الحسن . كان عالما بالنحو وتصدر مجلس أبيه بعد موته واكمل كتابه الاقناع . وقد شرح أبيات كتب اللغة المشهورة ككتاب سيبويه واصلاح المنطق وغيرهما . وهذب كتاب العين . وتوفي عام ٣٨٥ هجرية .

(٧٢) تهذيب اصلاح المنطق صفحة ٢ ط ١٩٠٧

(٧٣) ٢ : ٤٢٩

قبله يدل على الرفع » • فقال : ما هو ؟ فقيل :

أتاك بي الله الذي نور الهدى ونور واسلام عليك دليل

فوافق أبو سعيد السيرافي على ذلك وكان ابنه أبو محمد حاضرا فتغير وجهه ونهض لساعته الى دكانه فباعه واشتغل بالعلم الى أن برع فشرح كتاب المنطق وحدث من رآه يعمل هذا الشرح وبين أيديه أربعمائة ديوان (٧٤) •

تقع المخطوطة في ست وتسعين صفحة وهو يقول في مقدمتها : « تأملت أرشدك الله الى كتاب اصلاح المنطق فرأيت الشواهد من الشعر مختلفة ، تزيد في نسخة وتنقص في أخرى وأنا بمشيئة الله أفسر الأبيات على أكثر ما وجدت النسخ ، وقد زاد قوم قرىء عليهم هذ الكتاب فيه شواهد كثيرة لم يذكرها يعقوب ولا أحد من روى عنه وأكثر ما يقع ذلك في النسخ الخراسانية والجبلية وفي النسخة التي رواها الربعي رحمه الله عن ابن أبي الأزهر عن بندار عن يعقوب أبيات زادها بندار في الكتاب ليست عن يعقوب ويلي في آخر رواية ابن الأنباري زيادة أيضا والتفسير يأتي على ما يلي تفسيره من ذلك والله الموفق •

ورتب ابن السيرافي الشواهد على حسب أبواب الكتاب فذكر شواهد كل باب على حده وأورد قبل الشاهد اللفظ أو الألفاظ التي جيء بالشاهد من أجلها • وفيما يلي بعض النماذج من شروحه نستعرضها لنتبين منهجه في شرحه • قال في باب فَعْل وفِعْل باختلاف المعنى :

« قال يعقوب : يقال هذه امرأة حامل وحاملة اذا كان في بطنها ولد ، قال : وأنشد الأصمعي :

---

(٧٤) مرآة الجنان ٢ : ٤٢٩ •

تمخضت المنون لـه بيوم	أني ولكل حاملة تمام

وفي أول هذه الأبيات :

ألا يا أم قيس لا تلومى	وأبقى انما ذا الناس هام
أجدك هل رأيت أبا قبيس	أطال حياته النعم الركام
تمخضت المنون له بيوم	أنـي ولكل حاملة تمام

يكف عاذلته عن لومه على انفاق ما له واتلافه يقول : ان المصير الموت ، فما وجه عذلك لي على تفريقه . وقوله : فاذا الناس هام أي موتى يقال فلان هامة اليوم أو غد أي يموت في اليوم أو غد . واما قول النعمان بن المنذر وكنيته أبو قابوس فصغر تصغير الترخيم كما تقول في أسود سويد . والركام : الكثير . يقول لها لو كان لمال يخلد انسانا لأبقى أبا قابوس غنيه وكثر ما له . وقوله : تمخضت المنون الماخض : الحامل ، وجعل المنون حاملا على التشبيه ويجعل اليوم الذي كانت فيه منيته ولدا للمنية وكل حامل تنتهي الى وقت تضع فيه حملها فكذلك المنية منتظرة كانتظار وضع الحامل ، والمنون واحد وجمع[75] » .
فأورد قول ابن السكيت أولا وذكر الأصمعي ونسب انشاد البيت اليه ، ثم أورد البيتين اللذين يسبقان الشاهد ، ثم أوجز معنى الأبيات وبدأ بعد ذلك بالتعليق على ألفاظ الأبيات وشرحها .

وقال في نفس الباب : « قال يعقوب يقال رجل غمر الخلق اذا كان واسع الخلق وهو غمر الرداء اذا كان كثير المعروف سخيا ، قال كثير يمدح عبد العزيز بن مروان :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا	غلقت لضحكته رقاب المال

(٧٥) المخطوطة لوحة (٢)

ويروي جزل العطاء • يقول : اذا ضحك وسر وهب ما له وفرقه ومعنى غلقت حصلت الموهوب له ويئس من ردها واسترجاعها من قولك غلق الرهن اذا حصل للمرتهن ولم يسترجعه الراهن • قال زهير :

وفارقتك برهن لافكاك له   يوم الوداع فأمسي رهنها غلقا

ويروي فأضحى الرهن قد غلقا • وقوله : رقاب المال يعني نفس الأموال وعبر عنها بالرقاب كما تقول أعتق فلان رقبة أي عبدا والأموال يعني بها الأبل والماشية يريد أنه لا يقتصر على الجود باللبن بل يجود بنفس الابل وجعل معروفه وجوده بمنزلة الرداء الذى يشتمل به لأنه يصون عرضه بالجود كما يصون جسده بالثوب (٧٦) • وذكر المناسبة التي قيل فيها بيت الشاهد ولم يورد الأبيات التي قبله كما فعل في شرحه للبيت السابق وانما أورد رواية أخرى وهي (جزل العطاء) بدل (غمر الرداء) وأوجز بعد ذلك معنى البيت ثم بدأ يشرح الغريب من ألفاظه ، واستشهد ببيت آخر في شرحه لكلمة (غلقت) • وأشار الى مسألة بلاغية في البيت وهي تشبيه سعة جود الممدوح بالرداء الواسع الفضفاض •

ثم أورد بعد ذلك شاهدا يشك في أن يعقوب أورده قال :«ووجدت في بعض النسخ بعد ذلك الغمر والغُمَر : القدح الصغير وأنشد لأعشي باهلة قصيدة يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلي :

تكفيه حزة فلذ ان الم بها   من الشواء ويروي شربه الغمر

الفلذ : قطعة من الكبد الكبيرة، والحزة قطعة تقطع من الفلذ صغيرة يقول هذا الرجل الممدوح ليس بمبطان كثير الأكل شديد الحرص على

---

(٧٦) المصدر السابق الموضع نفسه

الطعام والعرب تذم ذلك لأن كثرة الأكل يضخم منها الأكل ويثقل ويكثر لحمه وتقل حركته ويكسل في الأوقات التي يحتاج فيها الى النهوض واذا قل لحم الرجل خف في الحوائج وعند الغارة والركوب قال طرفة :

خشاش كراس الحية المتوقد

والخشاش الخفيف قال أبو كبير :

ما أن يمس الأرض الا منكب منه وحرف الساق طي المحمل

وصفه بالضمر . وقال متمم :

فتى غير مبطان العشيات أروعا

ويروي شربه الغمر ، يريد أن ملء هذا القدح الصغير يكفيه من الماء (٧٧) .

وهذا الشاهد على ما يبدو من أضافات بعض رواة الكتاب كما ذكر ذلك ابن السيرافي في المقدمة ، وقد ذكرهنا أيضا المناسبة التي قيلت فيها القصيدة التي منها البيت وهي في رثاء المنتشر بن وهب الباهلي ، وبعد أن أورد الشاهد فسر بعض ألفاظه الغامضة ثم أوجز معنى البيت على خلاف ما فعل في الشاهدين السابقين حين بدأ بايجاز المعنى ثم بشرح الألفاظ . ثم أورد ثلاثة شواهد على أن العرب تحب النحيف الخفيف .

وقال في باب آخر وهو باب « فعِل وفعُل باختلاف المعنى » :

« قال يعقوب : الكير : الزق قال بشر يصف فرسا :

---

(٧٧) المخطوطة لوحة (٢)

كأن حفيف منخـره اذامـا كتسن الربو كـير مستعار

يستحب من الفرس أن تتسع مناخره واذا اتسع منخره كثر خروج النفس منه وقت العدو وهذا يحب في الخيل لأنه اذا ضاقت مناخره لـم يخرج الربو من جوفه فانقطع بعدوه والضمير في كتسن يعود الى الخيل. والحفيف الصوت شبه صوت منخره بصوت الكير اذا نفخه الحـــد د وجعله مستعارا لأن المستعار لا يشفق عليه المستعير فاستعماله اياه أشد من استعماله ماله . ويقال منخر بفتـح الميـم ومنخر بكسـرها[٧٨] . ذكر مناسبة الشاهد وهو في وصف فرس ، وعاد الى طريقته الأولـى فشرح البيت وشرح بعد ذلك ألفاظه الغريبة .

وقال في باب فِعَل وفَعَل باتفاق المعنى : « قال يعقوب : الجلب من السحاب تراه كأنه جبيل وهو الجلب وأنشد لتأبط شرا :

ولست بجلب جلب ريح وقرة ولا بصفا صلد عن الخير معزل

يقول لست برجل لا منفعة فيه ومع ذلك انني لهذا السحاب الذي فيه ولج وقر ولا نظر فيه ولا بصفا صليد يقول ولا أنا كحجر صلـب لا ينبت شيئا ولا ينتفع به وانما ينفي عـن نفسه الأخـلاق المذمومة . والصلد : الحجر الأملس[٧٩] . أورد الشاهد ثم أوجز معناه وشـرح ألفاظـــه .

وهكذا يستمر ابن السيرافي في ايراد الشواهد ضمن أبوابها مرتبة كما هي في الأصل مشيرا الى ما يمكن أن يكون منها زيادة من الرواة .

قال في باب : « فِعَل وفَعَل من السالم » بمعنى واحد : « قال يعقوب : قال الفراء : يقال لشبه الصفر الشبه كقولك كوز شبه وأنشد

(٧٨) من المخطوطة لوحة (١٣)
(٧٩) المخطوطة لوحة (٣٧)

للمـــرار :

يدين لمزرور الى جنب حلقـه　　　من الشبه سواها برفق طبيبها

تدين : تطيع والدين الطاعة يريد أن الناقة تطيع المزرور وهو الزمام والحلقة هي البرة تجعل في أنفها وانما جعله مزرورا لأنه يـزر أي يضفر ويشد ويروي تدين لمزور معناه أنه يزور عن الناقة لأن في الزمام انحرافا وسواها برفق طبيبها أي عملها حاذق بها (٨٠) » . أورد الشاهد ثـم شرح ألفاظه وأوجز بعد ذلك معناه .

وقال في باب فعول : « اللبوس ما يلبس قال الله تعالى : « صنعة لبوس لكم » وقال الراجز وهو منهى الفزاري (٨١) .

ألبس لكل حالـة لبوسها　　　أمـا نعيمها واما بوسها

وكان من خبر منهى أنه كان مع أخوته ذات يوم فلقيهم قـوم مـن أشجع فقتلوا اخوتـه وتركوه وكان يحمق فتـرك لذلك فشق قميصه وكشف عن أسته وغطى رأسه فقيل : ما تصنع ؟ فقال : ألبس لـكل حالة لبوسها وانما أراد بفعله هذا أنه مفتضح بقتل اخوته وانه لم يـأت بهم فهو كالمكشوف العورة المغطى الرأس (٨٢) .

نسب الشاهد الى قائله ثم ذكر خبره وفيه شرح البيت :

وقال في باب الألفاظ : « يقال بهذا الرجل والبعير سلعة وبه ضواة

---

(٨٠) المخطوطة لوحة (٤٦)

(٨١) في هامش الاصلاح (نبوس)

(٨٢) المخطوطة لوحة (٧٩)

وهي ورمة تكون في حلق البعير سلعة وبه جدرة وبه ضواة قال مزرد :

أكلفتماني ردها بعدما أتت (الى) مخرم البقعاء من جوف هيثم
قذيفة شيطان رجيم رمي بها فصارت ضواة في لهازم ضرزم

يقول كلفتماني رد هذه القصيدة التي قلتها وكان قد هجا كعب ابن زهير فزجره قومه ونهوه ونهوا كعبا عن هجائه فقال : أكلفتماني رد هذه القصيدة بعد ما صارت الى مخرم البقعاء والمخرم منقطع أنف الجبل والبقعاء موضع خلف المدينة وهيثم موضع معروف ويقول كيف أردها وقد سارت وصارت في أفواه الرجال قذيفة شيطان يعني بها القصيدة رمى بها فصارت ضواة يريد صارت القصيدة من المهجو بمنزلة الضواة التي في لهازم ناب ضرزم وعنى الشيطان نفسه وانما يريد أنها لزمت الذي هجاه ولم تفارقه كما لزمت الضواة الناقة وخص بها الضرزم لأنها كبيرة السن لا يرجى برؤها كما يرجيء برؤ الصغيرة [٨٣] » .

شرح المعنى ثم شرح بعض الألفاظ الغريبة .

وهكذا يسير ابن السيرافي في تفسيره لأبيات الاصلاح ، يأتي بالمادة أو المواد المستشهد لها ثم يورد الشاهد بعد أن يذكر اسم قائله في الغالب ويذكر المناسبة التي قيلت فيها قصيدة الشاهد أحيانا . ثم يوجز معنى البيت في الأغلب وربما اورد بعض الأبيات التي تسبقه ، وبعد ايجاز المعنى يفسر الألفاظ الغريبة وقد يورد شواهد أخرى تأييدا لشروحه وتفسيره للألفاظ .

(٨٣) المخطوطة لوحة (٩٠) .

الفصل الثاني

كتـــاب الالفـــاظ

١ ـ نسخ الكتاب

٢ ـ عرض الكتاب

٣ ـ زمن تأليفه

٤ ـ أهميته وأثره في الدراسات بعده .

الفصل الثاني

كتاب الالفاظ

١ ـ نسخ الكتاب :

يلي اصلاح المنطق في الأهمية عند علماء العربية كتاب الألفاظ ومنه نسخ مخطوطة في باريس (أول برقم ٤٢٣٢) والمكتب الهندي (رابع برقم ٣٢٢٥) ومكتبة القروين بفاس (١٢٤٤) [١] .

وقد هذبه الخطيب التبريزي وسماه « تهذيب الألفاظ » ومنه نسخة مخطوطة في ليدن (أول ٤٤) [٢] .

وقد طبع كتاب الألفاظ في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٥ بعناية الأب لويس شيخو المتوفي في ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٧ ، وضم اليه في حواشيه شروح التبريزي من كتابه الذي أشرنا اليه ، كما ضم في الصلب بعض زيادات التبريزي ، وسمى عمله هذا « كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ » ، ثم عمد مرة أخرى وأفرد الصلب وحده مع بعض الزيادات ، وسمى عمله هذا « مختصر تهذيب الألفاظ » وطبعه في المطبعة السالفة الذكر سنة ١٨٩٧ .

---

(١) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٢/٢٠٧

(٢) نفس المصدر .

٢ ـ عرض الكتاب(٣) :

هذا الكتاب مؤلف على أبواب المعاني كباب الغنى والخصب ، وباب الجماعة ، وباب التفرق • وهو يقع في ١٤٨ بابا مضافا اليها ستة عشر بابا زيدت في بعض النسخ •

وأول ما يمتاز به هذا الكتاب حسن تبويبه ودقة جمعه للمواد في كل باب ، كأنما تنبه ابن السكيت الى الاضطراب الذي وقع فيه عند تأليفه اصلاح المنطق وخلطه بين الأبواب واستطراده ، فتلافى كل ذلك الى حد بعيد عند تأليفه هذا الكتاب •

وأول أبواب هذا الكتاب باب الخصب والغنى ، ويليه باب الفقر والجدب ، ثم باب الجماعة ، وباب الكتائب ، وباب الاجتماع • وباب التفرق • وباب الجماعة من الابل وباب الشح • وباب المساهلة • وباب الغضب والحدة والعداوة • وباب الاختلاط والشر يقع بين القوم • وباب الشجاج ، وباب الضرب بالعصا والسيف والسوط وغيرذلك• وباب الجراحات والقروح • وباب المرض • وباب الحمى • وباب الرمى • وباب الكسر• وباب شدة الخلق والضخم ، وباب ضعف الخلق ، وباب الهزال• وباب القضافة ، وباب الكبر ، وباب الأصل والكرم ، وباب الطبيعة والسجية ، وباب حدة الفؤاد والذكاء ، وباب الشجاعة وباب الجبن وضعف القلب ، وباب العقل والحزم ، وباب الحمق والهوج • وباب رذال الناس وسفلتهم ، وباب السخاء ، وباب الحسن ، وباب صفة الخمر ، وباب الندام والشراب ، وباب الآنية للخمر وغيرها ، وباب الألوان • وباب الشرير المسارع الى ما لا ينبغي ، وباب الطول ، وباب القصر ، وباب الشره والحرص والسؤال ، وباب الكذب، وباب رفعك الصوت بالوقيعة في الرجل والشتم له ، وباب الطعن على الرجل في نسبه وعيبه ولؤمه ، وباب التهمة ، وباب ما لا بد منه ، وباب

(٣) سيكون اعتمادنا على (مختصر تهذيب الالفاظ) .

النفي في الطعام ، وباب قولك ما بها أحد ، وباب هدر الدم ، وباب نعوت مشي الناس واختلافها ، وباب صفات النساء ، وباب الدمامة والقصر ، وباب العجائز ، وباب نعوت النساء في الولادة ، وباب نعوت النساء بالنسبة الى ازواجهن ، وباب الجرأة والبذاء في النساء ، وباب الحمقاء والفاجرة ، وباب ما يكره من خلق النساء ، وباب المطلقة ، وباب الهزال ، وباب صفة الحر ، وباب صفة الشمس واسمائها ، وباب طلوع الشمس ومغيبها ، وباب أسماء القمر وصفته ، وباب صفة الليل ، وباب اسماء نعوت الليالي في شدة الظلمة ، وباب نعوت الأيام في شدتها ، وباب صفة النهار واسمائه ، وباب ساعات النهار ، وباب الدواهي ، وباب الطمع ، وباب المدح والثناء ، وباب القطوب ، وباب المواظبة ، وباب الثبات في المكان ، وباب الموت واسمائه ، وباب العطش ، وباب الحب ، وباب اسماء الطريق ، وباب الملوك . وباب اسماء امرأة الرجل ، وباب ما يقال في اتيان المواضع ، وباب ما يقال في القلة ، وباب ما ينطق به بحجد ، وباب الريح الطيبة والمنتنة ، وباب ما يقال في تغير اللحم والنتن ، وباب الأزمنة والدهور ، وباب الزيادة في السن ، وباب أخذ الشيء بأجمعه ، وباب البطر والنشاط ، وباب الاضطرار والاكراه على الشيء ، وباب قطع الأمر ، وباب الاتفاق والصلح ، وباب المقاربة في الشيء والخلافة ، وباب الفتور والابطاء ، وباب انتضاء السيف ، وباب رد الرجل عن الباطل الى الحق ، وباب العطاء ، وباب آخلاق الثوب ، وباب العض ، وباب الملء ، وباب بقية الماء ، وباب التضييع والاهمال ، وباب التندم ، وباب التحدث الى النساء ، وباب البحث عن الشيء ، وباب التسمع ، وباب « أصل » التخليط ، وباب الاصابة بالعين ، وباب الشيء يسبق الى القلب ، وباب الفطنة ، وباب الثقل ، وباب ردك الرجل عن الشيء يريده ، وباب بدون عنوان وباب المياه ، وباب القصد والاعتماد ، وباب الشيء القليل ، وباب الحوائج ، ، وباب الاجتماع بالعداوة على الانسان ، وباب الدعاء على الانسان بالبلاء والأمر العظيم ، وباب الدعاء للانسان ، وباب

العدد ، وباب صفة المتسلح ، وباب اللقاء في قربه وابطائه ، وباب استقلال الشيء واستصغاره ، وبب الطرد والسوق ، وباب حسن القيام على لمال ، وباب اللحم ، وباب الدعوات ، وباب الادامة على الشيء وباب الحزد ، وباب العطف ، وباب النهى ، عن الشيء يفعله الرجل لم يكن يفعله قبل ، وباب الذل وهو ضد الصعوبة ، وباب المؤور في العين ، وباب الدفع ، وباب النوم ، وباب الجوع ، وباب الطعام الذي تعالجه الأعراب وما وصفوا من الكثرة فيه والقله ، وباب الثريد ، وباب الشواء ، وباب الأكل ، وباب السلاح والحلى ، وباب لحلى ، وباب الثياب ، وباب اللبس ، وباب الطيالسة والأكسية والملاحف ، وباب ما تكلمت به العرب من المهموز فتركوا همزه فاذا أفردوه همزوه وربما همزوا الغير مهموز •

ثم تأتي بعد هذا الأبواب التي زيدت في بعض النسخ وهي :

باب الماء وشربه ، وباب من الالحاح ، وباب الناحية ، وباب في التخمة ، وباب نزح البئر ، وباب فصيح اللسان ، وباب الزكام ، وباب للعج والحرقة ، وباب يقال هدي فلان بفلان ، وباب السرعة وباب سير الأبل الفسيح ، وباب مشي الخيل وعدوها ، وباب الاكتساب ، وباب الكبر ، وباب الألوان ، وباب أسماء الدواهي •

ومما يلاحظ في ترتيب الأبواب أن ابن السكيت حاول الجمع بين الأبواب المتشابهة أو المتضادة وتجنب الفصل بينها • فقد بدأ بباب الخصب والغنى وثناه بضده وهو باب الفقر والجدب ، وجاء بعد باب الشجاعة بضده وهو باب الجبن وضعف القلب ، وجمع بين باب الجماعة وباب الكتائب وباب الاجتماع وأردفها بباب التفرق • وجمع بين أبواب تدل على المرض كباب الجراحات والقروح وباب المرض ، وباب الحمى • وجمع بين الأبواب التي تختص بالنساء وصفتهن وهي : باب صفات

النساء ، وباب الدمامة والقصر ، وباب العجائز ، وباب نعوت النساء في الولادة ، وباب نعوت النساء بالنسبة الى أزواجهن ، وباب الجراة والبذاء في النساء ، وباب الحمقاء والفاجرة ، وباب ما يكره من النساء ، وباب المطلقة ، وباب الهزال في النساء ، وجمع أيضا بين أبواب الطعام وهي : باب الطعام الذى تعالجه الاعراب وما وصفوا من الكثرة فيه والقلة ، وباب الثريد ، وباب الشواء ، وباب الأكل .

على أنه ربما أفلت الزمام من يده فجاء بباب في غير محله وكان الأجدر به أن ينتزعه ويضمه الى ما يناسبه من الأبواب ، فقد جاء بباب تشرير المسارع الى ما لا ينبغي بعد باب الألوان ، وكان الأجدر به أن يتبعه بعد باب الحمق والهوج وفرق بين باب الشح وباب الشره والحرص والسؤال وكان من الافضل أن يجمع بينهما ، وفرق بين باب الطعن على الرجل في سبه وعيبه ولؤمه . وباب المدح والثناء ، وكان ينبغي أيضا أن يجمع بينهما ، وفصل باب ما ينطق به بجحد عما يشابهه من الأبواب وهي : باب ما لا بد منه ، وباب النفي في الطعام ، وباب قولك ما بها أحد ، وفصل أيضا باب أخلاق الثوب عما يشابهه من الأبواب كباب الثياب ، وباب اللبس ، وباب الطيالسة والأكسية والملاحف .

على أنه يمكن القول أنه قد استطاع أن يبوب الكتاب بشكل أدق مما فعل في الاصلاح . الا أن ترتيبه للأبواب لم يكن بحسب خطة ثابتة ، اذ لا يعرف ما الذي جعله يبدأ بباب الغنى والخصب وينتهي بباب المهموز .

وكذلك في عرض المواد في كل باب لم يسر على خطة ، ثابتة كما فعل بعض من جاؤوا بعده ممن رتبوا الألفاظ حسب تسلسل معانيها . فهو يبدأ أول أبواب الكتاب وهو باب الغنى والخصب بمادتي : الكثرة والثراء ، ويتبعها بالوفر والدثر ، والاستيثاج والاستيثان والاتراب . وهكذا على غير ترتيب قال :

« قال الأصمعي : يقال أنه لمكثر ، وانه لمثر يا هذا ، وقد أثــرى فلان اذا كثر ما له يثري اثراء ، ويقال ثرى بنو فلان بني فلان اذا صاروا أكثر منهم مالا ، يثرونهم ثروة ، وكثر بنو فلان بني فلان اذا صاروا أكثر منهم ، ويقال انه ذو ثراء وثروة يراد به أنه ذو عــدد وكثرة مال • قــال ابن مقبــل :

وثروة من رجال لو رأيتهـمُ   لقلتَ احدى حِراجِ الجرن من أُقُرِ

وقال حاتم الطائي :

أما وي ما يغني الثراء عن الفتى   اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

ويقال أنه لذو وفر وذو دثر ، ويقال قد استوثج من المال واستوثن اذا استكثر ويقال أنه لمترب • قال أبو عبيدة : وهو الكثير المال مثــل اتراب كثرة ، (قال) ومثله : أثرى • وهو ما فوق الاستغنا ، وهــا النخرق ، والتخرق أن تكون له الابل والغنم والرقيق[٤]» •

ثم يورد بعد ذلك بعض ما قيل في وصف وفرة المال كقولهم (ان له لمالا جمــا) (وآمِر ما له)وقولهم (ضفا مال فلان ضفوا وضفوا)•

وهو يذكر كل ذلك اما من سماعه واما نقلا عن اللغويين الذيــن سبقوه كالأصمعي وأبي عبيدة ، ويستشهد بالشعر والمثل •

« قال الأصمعي : النهيك من الرجال الشجاع الشديد القتال وقد نهك نهاكة وهو من الابل القوى الشديد • ويقال رجل ينهك في العدو أي يبالغ فيهم ، ونهكته الحمى نهكة شديدة • وأنهك من هذا الطعــام اي بالغ في أكله ، ورجل منهوك أي بلغ منه الوجع • قال أبــو زيــد : والناهك الشجاع الناهك لقرنه (وكل مبالغ في جميــع الاشياء ناهك) الأصمعي : والكمى الشديد كأنه يقمع عدوه وكمى شهادته أي قمعها فلم يظهرها • قال أبو زيد : هو الجريء المقدم ان كان عليه سلاح وان لــم يكن والجمع كماة ، والغشمشم الذي يركب رأسه ولا يثنيه شيء عمــا

---

(٤) ص ٢ من مختصر تهذيب الالفاظ .

يرئد ويهوى ، والصِهْميم نحوه • قال أبو زيد : هو السيء الخُلُق الشجاع الجافي • الأصمعي : والصهميم من الابل الذي يَزُمُّ بأنفه ويخبط بيده ويركض برجله • وبالرجل والبعير صهميمة • قال رؤية :

قومٌ ترى واحِدَهُم صِهميما لا راحِمَ الناس ولا مرحوما

(قال) والرابط الجأش الذي يربط نفسه عن الفرار يكنها لجرأته ، والمِسْعر الذي يوقد الحرب ، وانه لأَحْوَس وهو البطيء البراح من مكانه في القتال من قوم حُوس • ويقال للرجل اذا تحبس وابطأ مازال يتحوس حتى تركته • وابل حوس بطيئات التحرك عن مرعاهن • يقال جمل أحوس وناقة حَوساء بيّنة الحَوَس والمغوار ذو الغارات • وهو بيّن الغوار من قوم مغاوير ، والباسل الشجاع ، والبسالة الشجاعة • وتبسل في وجهه أي كرّه منظره وانما قيل للأسد باسل لكراهة وجهه وقبحه • وما أبسل وجه فلان : قال أبو ذؤيب :

وكُنتَ ذَنُوبَ البئرِ لمّا تبسّلت
وسُرْبِلْتُ أكفاني ووُسِّدتُ ساعدي

ويقال رجل نجد وذو نجدة والنجدة البأس ، وانه لبُهْمَة من قوم بُهَم • وهو الشجاع الذي لا يُدْرى كيف يؤتي • وحائط مُبْهَم ليس فيه باب • والأبهم المُصْمَت قال العجاج :

فَهزّ مِنْ ظَهرِ السّلامِ الأبهم

قال والأبهم المُبْهَم الذي لاصِدع فيه ولا خِلط ، وفرس بهيم لم يخلط لونه سواه • وأبهم على الأمر أصمته فلم يجعل فيه فرجا أعرفه •

ويقال في البهمة أنه شبه بالفئه . والبهمة الجماعة ، ورجل ثبت في الحرب وتبيت ، والمشيع الجريء ، والمجدامه الذي يقطع الامر ، والصارم القاطع (٥) ... » .

فهو هنا لم يرتب أوصاف الشجاع واسماءه على حروف المعجم فبدأ بما أوله النون وهو النهيك و لناهك ، وأردفه بما أوله كاف وهو الكمي ، وجاء بعد ذلك بما أوله غين « الغشمشم » وبعده ما أوله صاد « الصهميم » ، وهكذا ، كما لم يرتبها حسب تدرجها في القلة والشدة . وهو يحاول بقدر الامكان ان يبين أصل الكلمة ويتحدث عن اشتقاقاتها وينقل عن غيره من اللغويين كالاصمعي وأبي زيد ويستشهد بشعر أبي ذؤيب والعجاج ، ورؤبة ، وكذلك استشهد في الباب بشعر طريف بن تميم العنبري ، والمثلم الطائي ، وشريح بن بجير الثعلبي ، وبعض الرجاز الذين لم يذكر اسماءهم .

وقال في باب الجوع : « يقال رجل جائع وجوعان . وقوم جياع وجوع . وقد أصابتهم مجاعة وتجوعه ، ورجل غرثان وغرث . وقد غرث غرثا . ويقال في مثل : غرثان فاربكوا له . من الربيكة وهو طعام يخلط له . (أصل هذا المثل أن رجلا بشر بغلام فقال ما أصنع به آآكله ام أشربه . فعلمت امرأته أنه جائع فقالت : غرثان فاربكوا له . فلما شبع قال : كيف الطلا وأمه ، يعني الصبي وأمه) ويقال رجل سغبان وساغب . والمسغبة المجاعة . وقد سغب سغبا ، قال الله : أو اطعام في يوم ذي مسغبة ، ورجل ضرم ، وقد ضرم ضرما ، ورجل هقم ، قال وحكى لنا أبو عمرو : والهمج الجوع . قال أبو محرز المحاربي (٦) :

قد هلكت جارتنا من الهمج
وان تجع تأكل عقوداً أو بذج

---

(٥) مختصر تهذيب الألفاظ من صفحة ١٠٢/١٠٤
(٦) اسم الشاعر من تهذيب التبريزي كما ذكر الناشر في المقدمة .
انظر مختصر تهذيب الالفاظ ص ٣ من المقدمة .

ويقال رجل طلنفح اذا كان جائعا خالي الجوف . قال الشاعر :

ونصبــح بالغـــداة أتـــرّ شــيء
ونمســي بالعشــي طلنفحينـــا

ورجل مسحوت اذا كان جائعا لا يشبع ، ومسعور . وبه سعار ، ورجل شحدان ، ورجل لتحان وامرأة لتحى ، ويقال جــوع يرتــوع ويقوع . ويقال رجل وحش وموحش وهو الجائع من قــوم او حائش وقد اوحش ، وبتنا القواء اذا لم يكن عندهم طعام . وقد أقوى وأرملوا اذا نفذ زادهم . قال الله : ومتاعا للمقوين . والنسناس الجوع ورجل ربّق اذا كان على الريق ، وجوع طلخف وضرب طلخف وطلخف اذا كان شديدا ، والمخمصة المجاعة ، والطوى ضمر البطن ن الجوع . قــــال عنتــــره :

ولقـــد أبيـــت علـــى الطـوى وأظلـــه
حتـــى أنـــال بـــه كريـــم المأكـــل

ورجل طيان وامرأة طيا ، وقد يكون الطوى من خلقة ، يقال أنـه ليتلعلع أي يتضور . ويقال به سغر أي شهوة وجوع ، والتغبة اقفـار الحي والجوعة(٣٧) » .

فهو أيضا لم يرتب ألفاظه على حروف المعجم أوحسب تسلسل شدة الجوع وانما بـدأ بالجائع ، ثـم بالغرثان ، والسغبان . والضــرم ، والهقــم ... الـخ وهو يبين الجمع والاشتقاق ويستشهد بالقــرآن والمثل والشـــعر .

---

(٣٧) مختصر تهذيب الالفاظ ص ٣٨٣–٣٨٥ .

وينقل أيضا عن غيره من اللغويين كأبي عمرو الشيباني •

وقد روى ابن السكيت في هذا الكتاب عن فصحاء العرب : كابن كبشة ، وأبي صاعد الكلابي ، وأبي العلاء ، وأبي عوانة ، وأبي حزام العكلي ، واهاب بن عمير ، وأوفى بن دلهم ، وبهدل الديري ، وغنية الكلابية ، ومكوزة ، والنفيلي ، وأبي هرمز الغنوي ، وعن اللغويين غير من ذكرنا : ابن الاعرابي ، وأبي عمرو بن العلاء والخليل ، والفراء ، واللحياني ، والنضر بن شميل ، ويونس •

ويشتمل كتاب الألفاظ على بعض أبواب الاصلاح مع شيء من التنقيح والتعديل كأبواب الجحد (النفي) فقد أوردها في الالفاظ موزعة على باب نفي الطعام ، وباب قولك ما بها أحد ، وباب ما لا بد منه ، وباب ما ينطق به بجحد • وأوردها في الاصلاح في باب : ما يتكلم فيه بالجحد ، وما لا يتكلم فيه الا بجحد • وباب يقال : ما ذاق مضاغا وباب يقال : ما بالدار أحد ، وباب يقال : ما أدري أي الناس هو ، وباب يقال : طلبت من فلان حاجة ، فانصرفت وما أدري على أي صرعى أمره هو ، وباب يقال : لا أفعله ما وسقت عيني الماء •

على أن مادة الاصلاح في هذه الأبواب أغزر وأشمل ، وكأن ابن السكيت أراد الاستدراك في كتاب الألفاظ على ما فاته في الاصلاح •

وفي الالفاظ باب ما يقال في اتيان المواضع كقولهم : أعرق اذا أتى العراق ، وانجد اذا أتى نجد ، وأتهم اذا أتى تهامة ، وأشأم اذا أتى الشأم ، وغير ذلك وأوردها في الاصلاح ملحقة بباب : (يقال : قد أكثرت من البسملة) •

وفي الاصلاح باب بدون عنوان تكلم فيه عن العدد وما يشتق منه وتأنيثه وتذكيره وجاء به في الألفاظ منقحا بعد أن حذف منه ما يختص بلحن العامة الذي عنى به في الاصلاح •

وخلاصة القول في كتاب الألفاظ أن ابن السكيت صنفه على حسب المعاني ، وأحسن تبويبه وتنسيق مادته ، واستطاع الى حد بعيد أن

بتخلص مما وقع فيه من الاضطراب والاستطراد حين صنف الاصلاح • على أنه كانت تعوزه الدقة هنا أيضا فلم يسر دائما على خطة واضحه في ترتيب الأبواب أو في ترتيب المادة فاوردها على غير نظام ، ولم يرتبها على حروف المعجم ولا أتى بها على حسب تدرجها في المعنى •

٣ ـ زمن تاليفه :

عرفنا في دراستنا لاصلاح المنطق أنه من أوائل كتب ابن السكيت ، وأشرنا الى أن عناوين الابواب الأخيرة من هذا الكتاب هي أسماء كتب أخرى لابن السكيت وأن بعضها احتوى على مادة أكبر الظن أن ابن السكيت أفردها في كتب أخرى ككتاب فعلت وأفعلت ، وكتاب النوادر ، وكتاب الأمثال ، وكتاب الألفاظ ، وعرفنا هنا أيضا أن كتاب الالفاظ أحسن تأليفا وأكثر تنسيقا وأقل اضطرابا من اصلاح المنطق ، مما يدل على أنه من كتب ابن السكيت المتأخرة ، وما عدا ذلك فليس بين أيدينا ما يدل على زمن تأليفه • اذ ليس في ثنايا الكتاب ما يمكن أن ييسر لنا السبيل لمعرفة هذا التاريخ ولم نجد في غيره ما يدلنا على ذلك •

٤ ـ أهميته وأثره في الدراسات بعده :

لم ينل كتاب الألفاظ من علماء العربية ما ناله اصلاح المنطق اذا استثنينا الخطيب التبريزي الذي هذبه • ولعل ذلك يرجع الى الأسباب التي ذكرناها حين تحدثنا عن أهمية اصلاح المنطق وهي عنايته بالرد على لحن العامة وتصحيحه ونصه على اللغات وضبطه لأبنية الأفعال والأسماء ، وقد كان لهذه الأمور شأنها العظيم في ذلك العصر •

على أن لكتاب الألفاظ أثرا كبيرا في حركة التأليف اللغوي فيما بعد ، فقد نسج على منوال ابن السكيت بعض العلماء فصنفوا كتبا

تبعت آثره ، بحيث نستطيع ان نقول انها تكون مدرسة واحدة هي (مدرسة الالفاظ) • وسنتكلم عن هذه المدرسة وأهم كتبها بعد دراستنا لتهذيب التبريزي •

تهذيب الألفاظ :

تناول الخطيب التبريزي كتاب الألفاظ بالتهذيب كما فعل باصلاح المنطق • وقد اتبع في تهذيبه للألفاظ نفس الخطة التي اتبعها في تهذيب اصلاح المنطق ، ولم يخف هذا على القدامى ، ومما يدل على ذلك أن الناسخ الذي كتب النسخة المودعة بمكتبة ليدن أثبت فيها مقدمة التبريزي لتهذيب اصلاح المنطق •

أضاف التبريزي الى مادة الألفاظ ، وتوسع فيها وشرحها ، وربما حذف بعض الاستطرادات القليلة الواردة في ثنايا الكتاب ، وأورد الأبيات المكملة للشواهد الشعرية وسمى قائليها حيثما أهمل ابن السكيت ذلك ، وشرحها شرحا مفصلا ذاكرا المناسبة التي قيلت فيها • وقد بينا منهج التبريزي في التهذيب في دراستنا لاصلاح المنطق فاستغنينا به ولم نشأ التكرار وخاصة انه لم يأت بجديد في تهذيبه لكتاب الألفاظ •

على أننا نكتفي باستعراض الباب الأول وهو باب الغنى والخصب لنتبين ما فعله فيه التبريزي ، وسيكون اعتمادنا على طبعة الأب لويس شيخو التي نشرها بعنوان (كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ) على الرغم من أنه أجرى فيها عند الطبع بعض التغيير فأفرد بعض الشروح والفوائد ووضعها في الهوامش • وسنسلك في عرضنا لهذا الفصل نفس المنهج الذي سلكناه في دراستنا لتهذيب اصلاح المنطق فنضع زيادات التبريزي بين قوسين مزدوجين كبيرين « » ونشير الى ما حذفه من الأصل بوضع خط تحته •

قال في باب الغنى والخصب :

« قال أبو يوسف بن اسحاق السكيت قال الأصمعي : يقال انه لمكثر ، وانه لمثر يا هذا ، وقد أثرى فلان اذا كثر ماله ، يثرى اثراء ويقال ثرى بنو فلان بنى فلان اذا صاروا أكثر منهم ، مالا يثرونهم ثروة ، وكثر بنو فلان بني فلان اذا صاروا أكثر منهم ويقال انه ذو ثراء وثروة ، يراد به أنه ذو عدد وكثرة مال قال ابن مقبل :

« فينا خناذيذ فرسان وألوية
وكل سائمة من سارح عكر »

وثروة من رجال لو رأيتهم
لقلت احدى حراج الجر من أقر

« الخناذيذ جمع خنذيذ وهي قطعة تشرف من الجبل عظيمة • وقيل الخنذيذ الضخم وقيل الرجل الطويل المشرف • وقيل الخناذيذ من الرجال والخيل والجمال العظام • والخناذيذ الخصيان والفحول • والسائمة القطعة من المال التي قد خليت ترعى • يقال أسمت الابل أسيمها اسامة وسامت هي أنفسها تسوم سوما اذا رعت • والسارح الذاهب الى الرعى والعكر جمع عكرة وهي القطعة الكبيرة من الابل • وثروة رفع معطوف على خناذيذ » وثروة عدد كثير من مال أو ناس •

ويروي : وثورة من رجال فالثورة الرجال يثورون • « والثروة الكثير من المال عن ابن الاعرابي » • والحراج جمع حرجة وهو شجر ملتف كثير • والجر أسفل الجبل وكل ما غلظ في أسفل جبل فهو جر • ويروي : حراج الجو والجو البطن • وأقر جبل ببلاد غطفان وقال حاتم الطائي :

« أمـاوى مـا يغنـى الثـراء عـن الفتـى
اذا حشرجت يومـا وضـاق بهـا الصـدر

« أمـاوى مـا يغنـى الثـراء عـن الفتـى
ويبقـى مـن المـال الأحاديـث والذكـر »

« الحشرجة صوت يتردد من الصدر الى الحلق وفي « حشرجت » ضمير النفس .

ولم يجر ذكرها قبل البيت لأنه اذا عرف المعنـى المقصود وصـار بمنزلة المنطوق قال الله عز وجل : كلا اذا بلغت التراقى . وقال : حتـى توارت بالحجاب . يعني توارت الشمس . وضاق بها الصدر أي بالنفس عند النزع . ويقول لعاذلته على الانفاق والجود : لم تعذليني والمـال لا ينفعني ولا يغني عنى شيئا اذا حضر الموت »

ويقال أنه لذو وفر وذو دثر «وذو فرو وفروة» ويقال قد استوثج من المال واستوثن اذا استكثر ، ويقال انه لمترب . قال أبو عبيدة : وهـو الكثير المال مثل التراب كثرة ، (قال) ومثله : أثرى . وهو مـا فـوق الاستغنا . وهما التخرق ، والتخرق ان تكون له الابل والغنم والرقيق ، الأصمعي : يقال أن له لمالا جما أي كثيرا ويقال رجل مال وميّل اذا كان كثير المال ويقال أمر ماله يأمر أمرا وأمره وآمره الله . وأنشد أبو زيد :

« فهـب لـه ورهـاء مـن شـر البشـر »
أم جـوار ضنئهـا غـير أمـر
« صهصلـق الصـوت بعينيهـا الصبـر
لو نحـرت فى بيتهـا عشـر جـزر
لأصبحـت مـن لحمهن تعتـذر »

« الورهاء الحمقاء • الصهصلق الشديدة الصوت ومن شر ما وصفت به المرأة صلابة الصوت وشدته • وفي أمثالهم : اذا حسن من المرأة خفياها حسن سائرها يعنون صوتها وأثر وطئها • وقوله « بعينها الصبر » يعني أنها تحد نظرها وتقطب ما بين عينيها وتكره منظرها فكأنها بمنزلة من شرب شيئا فيه صبر ومن شرب شيئا مرا جمع وجهه • ووصفها بالبخل والاعتذار بالباطل • أي هي تجحد ما عندها من لحوم الجزر لئلا تطعم احدا منه شيئا • دعا على رجل أن يرزق امرأة هذه أوصافها • ضنئها غير آمر أي ولدها غير مبارك ولا كثير » • ويقال في مثل : في وجه مالك تعرف امرته أي نماءه وكثرته قال الله تبارك وتعالى : « أمرنا مترفيها » أي كثرنا ، « قال أبو محمد الأنباري قال أبو زيد » : آمر الله ماله ايسارا اذا أكثره » وقال أبو عبيدة : يقال خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة • والسكةالسطر من النخل المستطيل • والمأبورة التي قد أبرت أي لقحت ، والمأمورة الكثيرة الولد « وقال غيره : انما قال « مأمورة » لمجيئها مع « مأبورة » كما قال الآخر :

هتاك أخبيـــة ولاج أبوبـــه
يخلط بالجد منه البر واللينا

أراد يعقوب ان الذي يجب أن يقال مؤمرة كما يقال أخرجها فهي مخرجة وغير عن مفعلة الى مفعولة لتقدم لفظ مفعولة وهي مأبورة • وهذا أحسن من حملهم (الغدايا) على (العشايا) لأنهم في هذا الموضوع حملوا الثاني على الأول واتبعوا مأمورة لمأبورة • وفي الوجه الآخر اتبعوا الغدايا وهو الأول العشايا وهو الثاني ، ومن حمل (أبوبة) على (أخبية) كمن حمل مأمورة على مأبورة • والخباء جمعه أخبية وكذا جمع فعال في القلة كقولهم فراش وأفرشة وخفاء وأخفية وسقاء وأسقية• وباب

جمعه أبواب على أفعال لقولهم : مال واموال ، وفاع وافواع ، تحيره عن أفعال الى افعله لتقدم احبيه ، والمعنى ان هذا الممدوح يغير على اعدائه فيستبيحهم ويهتك بيوتهم يقتلعها من مواضعها ويسبي نساءهم ، وهو شريف رفيع المحل اذا قصد الملوك ولج ابوابهم لا يحجب لعزه ومحله ، ووصفه بأنه يجد في موضع الجد ويلين في موضع اللين ومثله للبيـــــد :

مـمقـــر مـــرّ علــــى أعـدائــــه
وعلـى الأدنـين حلـــو كالعســـل »

قال الأصمعي : تفسير هذا خير المـال نتاج أو زرع • والسكـة الحديدة التي تشق بها الأرض والمأبورة المصلحة [٨] » •

فقد أضاف الخطيب التبريزي بعض الشروح وبعض الزيادات فى الألفاظ كقولـــه : « ذو فرو وفروة » زيادة على قول ابـن السكيت « وانه لذو وفر وذو دثر » ، وأكمل الشواهد فجاء ببعض الأبيات التي تسبقها أو بالشطور التي تكملها وشرحها وهو يبدأ بشرح الألفـــاظ الغريبة وينتهي الى تلخيص معنى البيت أو الأبيات على خلاف ما كـان يفعل في تهذيب اصلاح المنطق اذ كان يبدأ بتلخيص المعنى ثم يشـــرح معاني الألفاظ ، ولعل هذا لانه كان هناك ينقل عن ابن السير في شرحه لشواهد اصلاح المنطـــق •

وهكذا نلاحظ أن التبريزي لم يفعل في تهذيبه الألفـاظ شيئا هاما باستثناء شرحه للشواهد • بينما كان تهذيبه لاصلاح المنطق أكثر أهمية وفائدة حيث كان ابن السكيت في كتاب الاصلاح شديد الاضطراب كما قلنا • أما في كتاب الألفاظ فقد تلافى ما وقع فيه في الاصلاح من اضطراب وسوء في التبويب واستطراد وتكـرار •

---

(٨) كنز الحفاظ فى تهذيب الالفاظ ص ١ـ٣

مدرسة الألفاظ :

قلنا أن كتاب الألفاظ كان له أثر كبير في التأليف اللغوي فيما بعد فقد نسج على منواله وتأثر بأسلوبه ومنهجه بعض اللغويين الكبار الذين صنفوا كتبا على جانب من الأهمية وان يكن بعضها مختصرا وصغير الحجم .

فمن أوائل من تأثر بكتاب الألفاظ ابن قتيبة[9] (ت ٢٧٦ هـ) في (أدب الكاتب) ولا مراء في أنه اقتفى أثر ابن السكيت وتأثر ببعض كتبه حين ألف كتابه[10] هذا ويتجلى ذلك لمن يقرأ هذا الكتاب ويقرأ كتب ابن السكيت وخاصة اصلاح المنطق والألفاظ . وأثر اصلاح المنطق أقوى وأوسع من أثر الألفاظ .

وأبواب (أدب الكاتب) التي يمكن أن يكون ابن قتيبة قد تأثر فيها باصلاح المنطق هي بعض أبواب كتاب المعرفة ومعظم أبواب كتاب تقويم اللسان وكتاب الأبنية أما الأبواب التى تأثر فيها بكتاب الألفاظ فهي : باب الدعاء وقد تأثر فيه بباب الدعاء على الانسان بالبلاء والأمر

---

(٩) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . ولد بالكوفة وقيل في بغداد سنة ٢١٣ وسمي بالدينوري لأنه كان قاضيا فيها . وهو اديب ومحدث مشهور له كتب كثيرة مشهورة منها ادب الكاتب وعيون الاخبار والمعارف والشعر والشعراء وله كتب في الحديث وتأويل مختلفة ومشكلة . توفى ببغداد سنة ٢٧٠ وقيل ٢٧٦ هو الأصح على راي ابن خلكان .

(١٠) وقد اشار البطليوسى في الاقتضاب الى ان ابن قتيبة ينقل عن ابن السكيت من كتابه معاني الشعر . قال في باب « دخول بعض الصفات مكان بعض » (الاقتضاب ص ٢٤٣) ط . بيروت ١٩٠١ « وجميع ما اورده ابن قتيبة في هذ الباب انما نقله من كتاب يعقوب بن السكيت في المعاني وفيه اشياء غلط فيها يعقوب فاتبعه ابن قتيبة على غلطه واشياء يصح ان تتأول على غير ماقاله » . وقد اشار البطليوسي ايضا في غير هذا الموضع الى هذا النقل (ص ٢٥٧ ، ٢٦٥) .

العظيم ، وباب الدعاء للانسان • فجمع ابن قتيبة الدعاء بالخير والشر في باب واحد ، وهما عند ابن السكيت في بابين • وكذلك تأثر بهذا الكتاب في باب معرفة في الطعام والشراب ، وباب الأشربة ، وباب معرفة اللبن ، وباب معرفة الطعام ، وباب فرق في أسماء الجماعات ،وباب معرفة الثياب واللباس ، وباب معرفة في السلاح ، وهذه الأبواب جميعها ضمن كتاب المعرفة ، وهو القسم الأول من (أدب الكاتب) •

ولئن كان أثر (الألفاظ) غير واضح في (أدب الكاتب) ، فقد كان له أكبر الأثر في (الألفاظ الكتابية) الذي ألفه عبد الرحمن بن عيسي الهمذاني[11] (ت ٣٢٠ هـ) فقد سار الهمذاني في تأليف كتابه هذا على نهج ابن السكيت فصنفه على أبواب المعاني ، غير أنه عنى بالسهل من الألفاظ والمستعمل ، أو ما ينبغي أن يعرفه المبتدئون وصبيان المكاتب على نحو ما ذكر الصاحب بن عباد[12] ، بينما كانت عناية ابن السكيت بالغريب من الألفاظ •

ولاشك أن الهمذاني استفاد من كتاب الألفاظ ، ويتجلى ذلك لمن يتصفح الكتابين ، فهناك كثير من الأبواب التي تشترك في العناوين ، وان ظهر للوهلة الأولى أن المفردات التي يدرجها أحدهما تختلف عن تلك التي يأتى بها الآخر ، والسبب كما ذكرت آنفا عناية ابن السكيت بالغريب ، وعناية الهمذاني بالسهل المستعمل •

وأبواب ابن السكيت التي يحتمل ان يكون الهمذاني قد استقى منها مادة بعض أبواب كتابه تبلغ ستة وثمانين بابا بالاضافة الى الأبواب المشتركة في عناوينها والتي تحتوي على مواد مختلفة •

---

(١١) عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني كاتب بكر بن عبد العزيز بن ابي دلف العجلي . كان شيخا صالحا متعبدا من أهل البيوتات القديمة . اماما فى اللغة والنحو ذا مذهب حسن . له مصنفات قليلة اهمها الألفاظ الكتابية . توفى سنة ٣٢٠ هـ .

(١٢) انظر مقدمة الطبعة الثانية من الألفاظ الكتابية بيروت ١٩٠٩ .

ولم يتقيد الهمذاني في التبويب بابن السكيت ، بل جاء بأبواب كثيرة غير مذكورة في الألفاظ ، واستغنى عن أبواب أخرى ذكرت هناك كأبواب : صفات النساء وما يتعلق بهن ، والأبواب التي تتعرض للخمرة وصفاتها وآنيتها ، ومجالس الندام وغير ذلك ، وهو خير دليل على أن الهمذاني ألف كتابه للصبيان •

يكتفي الهمذاني بحشد المفردات خالية من النصوص الا فيما ندر حيث يأتي ببعض الشواهد الشعرية ، غير أنه يعني بذكر الأمثال والأقوال أكثر من غيرها من الشواهد ، ولم يحرص على ذكر أسماء اللغويين والرواة • أما ابن السكيت فان ذلك من أصول تأليفه ، فهو يحرص على الاستشهاد بالقرآن والحديث والشعر والأمثال والأقوال ، ويحرص كل الحرص أيضا على نسبة كل رواية الى راويها سواء أكان لغويا أم فصيحا من فصحاء العرب • وكتاب ابن السكيت لا يخلو من الاستطراد والاطناب ، بينما خلا كتاب الهمذاني من ذلك كله •

ولكى نتبين الفارق بين المنهجين لا بد أن نستعرض نماذج من الكتابين فنتبين السبيلين اللتين سلكهما هذان العالمان الكبيران •

قال ابن السكيت في باب التفرق [١٣] : « أبو زيد : يقال طار القوم شعاعا أي تفرقوا • ويقال شاع الشيء شيعانا اذا تفرق ، ويقال ابذعرّوا واشفتروا • وتصبصبوا • وتقددوا ، أبو عمرو : ويقال ابذقروا مثل اشتروا ، ويقال تفرقوا أيدي سبا • وأيادي سبا • قال :

فلما عرفت اليأس منهم وقد بدت
أيادي سبا الحاجات للمتذكر

وقال العجاج :

واصبأ من دعس الحمير ينسبا
من صادر أو وارد أيدي سبا

---

(١٣) كنز الحفاظ ص ٥٥

قال الأصمعي : أيدي سبأ في كل وجه ويرون أن ذلك اشتق من سبأ حين افترقت عند سيل العرم ، الفراء : يقال ذهبوا شعاليل بقردحمة ، وبتندحرة ، وبقدحرة ، وذهبوا بقذان ، وبقدان ، وبقدة (قردحمة وقدان وقدة اسماء مواضع فلذلك لم يصرفها حين جعلها معرفة) ، الأصمعي : يقال تشظى القوم اذا تفرقوا . أبو عبيدة : يقال ذهب القوم تحت كل كوكب وشغر بغر (وبعضهم يفتح فيقول شغر بغر) . وذهبوا أسراء الأنقد ، والأنقد القنفذ . ويقال ذهبوا عباديد وعبابيد وكل هذا واحد وهو تفرقهم ، وذهبوا أخول أخول . وكأن الغالب اذا نجل الفرس الحصا برجله . وشرار النار اذا تتابع . قال :

ساقط عنه روقه ضارياتها

سقاط حديد القين أخول أخولا

الفراء : يقال ذهب القوم شذر مذر . وشذر مذر . وشذر بذر ، وشذر بذر ، أبو زيد : يقال تفرق القوم عبابيد وعباديد وعساريت ، الأصمعي : يقال تشعب أمره أي تفرق . الفراء : طير يناديد وأناديد وهي المتفرقة التي تجيء واحدا من هاهنا وواحدا من هاهنا . وأنشد :

كأننا أهل حجر ينظرون متى

يرونني خارجا طير اليناديد

ويقال : بحثروا متاعهم أي فرقوه ، الأصمعي : يقال هم بقط في الأرض أي متفرقون .

وأنشد لمالك بن نويرة :

رأيت تميما قد أضاعت أمورها
فهم بقط في الأرض فرت الطوائف

(قال) والعرب تقول : اللهم اقتلهم بددا ، واحصهم عددا • ولا تذر منهم أحدا • وأصل البدد التفرق ، يقال بد رجيله في المطرة أي فرقهما • ويقال أبد بينهم العطاء أي أعطي كل انسان نصيبه على حدته • وأنشد لعمر بن أبي ربيعة :

••• ••• ••• وقالت
أمبدٌ سؤالك العالمينا »

فابن السكيت يورد الألفاظ التي تدل على التفرق وأكثرها من الغريب ويعني بذكر اللغات ، ويحرص على نسبة كل رواية لصاحبها كأبي زيد ، والأصمعي ، وأبي عمرو ، وأبي عبيدة ، والفراء • ولا يكتفي بذكر الألفاظ مجردة بل يوردها في قول أو مثل ثم يفسر بعد ذلك معناها ويستشهد بشعر الشعراء : كالعجاج ، ومالك بن نويرة ، وعمر بن أبي ربيعة ، وعتبة بن مرداس ، وضابىء بن الحارث البرجمي ، وعطارد بن قران الحنظلي •

أما الهمذاني فيورد الألفاظ التي تدل على التفرق في « باب تفرق القوم (١٤) » مجردة من شواهدها الشعرية ، ولكنه يورد مثلا واحدا ، وأكثر الألفاظ التي يوردها من المعروف المستعمل ، قال :

« يقال : تفرق القوم ، وتشتتوا ، وتبددوا ، وتصدعوا ، وتشعبوا ، وتمزقوا ، وانفضوا • (وتقول :) تشردوا في البلاد ، وتطردوا في البلاد ، وتمزقوا في البلاد ، وتفرقوا عباييد وعباديد وأباديد ، وأيادي

---

(١٤) الطبعة الثامنة ص ٢٣٩

سبا ، وفض الله جمعهم ، وبدد شملهم ، وبث آقرانهم ، وصدع شعبهم ، وشذب جمعهم ، وتمزقوا كل ممزق • (وتقول :) جلا فلان عن وطنه يجلو ، وانجلى ينجلي ، وأجليته أنا عن داره (والاسم الجلاء) • (وتقول :) قد تفرق شملهم ، وتصدعت ألفتهم ، وانبتت أقرانهم ، وشعبت أهواءهم ، وتشعب صدعهم ، وانشقت عصاهم ، وانقطع نظامهم ، وانصدع شعبهم ، وتشتت أحزابهم • (وفي الأمثال :) من يتجمع يتقعقع عمده » •

وقال ابن السكيت في باب الأصل والكرم [١٥] :

« انه لمن ضئضيء صدق أي من أصل صدق ، والأرومة الأصل • ويقال أنه لفى كرم أرومتهم • قال :

تيَس تيوسٍ اذا يناطحها
يألمُ قرناً أرومةُ نَقِدِ

ويقال هو في محتد صدق • ومحكد صدق • ومحقد صدق • وجنث صدق • وارت صدق • وقنس صدق • قال العجاج :

من قنس مجد فوق كل قنس

ويقال انه لمن سنخ صدق • وانه لكريم النحاس ، أي الأصل • وأنشد :

يا أيها السائل عن نحاسي
قصر مقياسك عن مقياسي

---

(١٥) كنز الحفاظ ص ١٥٧

ويقال أنه لكريم النجار والنجار ، والجذم الأصل ، والسنخ والأروم ، والأرومة ، والبنك ، والعنصر والعنصر (بفتح الصاد وضمها) والعرق ، والعيص ، والأسي ، والاسر ، والمركب ، والمنبت ، هؤلاء كلهن في الأصل ، وأنشد الأموي :

أنا من ضنضيء صدق
بخ وفي أكرم جذل
من عزاني قال به
سنخ ذا أكرمْ أصل

(قال) والكرس الأصل ، ومثله الاص ، وجمعه آصاص . ومثله الحنج ، والبنج ، والعكر . يقال رجع الى حنجه وبنجه وعكره ، وصار فلان الى قحاح الأمر اي أصله وخالصه ، وقد أصبت قحاح الأمر أي خالصه . وقولهم لئيم قح واعرابي قح من هذا . وقال القلاخ في الاص :

ومثل سوار رددناه الى
إدْرَوْنِه ولوم اصه على
الرغم موطؤ الحصى مذلّلا (١٦)

(قال) والبؤبؤ الأصل . قال جرير :

حتى تناهين بنا الى الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم
في بؤبؤ المجد وضئضيء الكرم

ويقال هو ألأمهم طخسا أي أصلا ، وانه للئيم الارس أي الأصل ، قال أبو غريب النصري :

(١٦) في كنز الحفاظ الكلمات (الى ، على ، حمى) كتبت جميعها بالألف الطويلة وهو خطأ كما ترى .

ان امـــرءا أخـــرىٰ مـــن أمـــرنا
الأمـــا طخمـــا اذا مـــا ننتســب

ان لئيـــم الارس غـــير نـــازع
عـــن وذء جاريـــه القريـــب والجنـــب

قال وأنه لكريم النجر • قال :

متئـِــد المشـــي قليـــلا نفـــره
أكـــرم نجـــر الناجيـــات نجـــره

وقال وانه للئيم القرق أي الأصل • قال دكين السعدي :

ليست مـــن القـــرق البطـــاء دوســـر
قـــد سبقـــت قيســـا وأنـــت تنظـــر

• يتبين هنا بصورة واضحة ، مدى جنوح ابن السكيت الى ايـــراد الغريب ومدى حرصه على الاستشهاد بالشعر وهما أمران لا نجدهما عند الهمذانـــي الا نادرا •

فالهمذاني يقول في باب (في كرم المحتد والأصل) [١٧] :

« فلان كريم المحتـــد والجمع المحاتـــد) ، والمنصب (والجمـــع المناصب) ، والمنبت ، والعنصر « والجمع العناصر » والمغرس (والجمع المغارس) ، (والجـــذم ، والأرومة ، والنجـــار ، والأبـــوة ، والمنتض ، والمركب ، والجرثومة ، والمنتمى ، واحد) • (يقال) فلان معم ، مخول أي عزيز الاعمام والأخوال ، وفلان مقابـــل ومدابر اذا كان شـــريف الطرفين ، وفلان في عيص أشب مثلاً للعز والمنعة ، (والعيص كل شجر ملتف ذى شوك) ، (ويقال :) هو متردد في الشرف • ومتناسق فـــي الشرف ، وراسخ النسب ، وكذلك القعدد وهو البعيد من الجد الأكبر

---

(١٧) الالفاظ الكتابية صفحة ٣١

والنسب الأقرب (ويقال :) فعل ذلك لتناسله في الشرف ، ورساخته في العلم • (والمقرف الذي أبوه غير عربي ، والهجين الذي أمه غير عربية وهو بيّن الهجنة) ، (ويقال :) فلان كريم الضنضىء والآصرة » •

ولا يكتف الهمذاني بترك الغريب واهمال الاستشهاد فحسب بل هو يحرص على عدم التعرض للغات في الألفاظ ، بينما يحرص ابن السكيت على ذلك • على أنهما يشتركان في عدم ترتيب المواد سواء أكان ذلك الترتيب حسب حروف المعجم ، أم حسب تدرج المعنى الا في النادر •

وخلاصة القول أن الهمذاني تأثر بابن السكيت الى حد بعيد واستفاد من تصنيفه وأكثر ما يبدو ذلك في التبويب ، الا أن الهمذاني ألف كتابه (لصبيان المكاتب) فأورد فيه السهل المستعمل من الألفاظ دون عناية بالغريب على نحو ابن السكيت •

وكان ابن السكيت أكثر حرصا على نسبة الرواية الى راويها وأشد اهتماما بالاستشهاد فجاء كتابه مليئا بالشواهد الشعرية وغير الشعرية • على أنهما كليهما يتفقان في عدم ترتيب المواد ، بل تركاها مبعثرة غير منسقة الا ما ندر •

أما أبو منصور الثعالبي [١٨] (ت ٤٢٩ هـ) فقد اقتفى أثر ابن السكيت والهمداني في تأليف كتابه الذائع الصيت (فقه اللغة) على أنه كسابقه لم يشر الى فضلهما ، بل لم يتعرض لذكرهما بين من ذكر من العلماء الذين استقى منهم مواد كتابه : كالخليل ، والأصمعي ، وأبي عمرو الشيباني ، والكسائي ، والفراء وأبي زيد ، وأبي عبيدة ، وابن الاعرابي ، والنضر بن شميل ، وأبوي العباس ، وابن دريد ، ونفطويه ،

---

(١٨) ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري .
صاحب يتيمة الدهر ـ اديب ولغوي مشهور وله من التصانيف عدا اليتيمة فقه اللغة ، وسحر البلاغة وسر البراعة وغيرها .
ولد سنة ٣٥٠ هـ ـ توفي سنة ٤٢٩ هجرية .

وابن خالويه ، والخارزنجي ، والأزهري ، والصاحب بن عباد ، وحمزة بن الحسن الاصبهاني . وأبي الفتح المراغي ، وأبي بكر الخوارزمي ، والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وأحمد ابن فارس[١٩] . مع وضوح أخذه منهما وتأثره بهما وخاصة ابن السكيت الذي يشير الى روايته الخاصة فى ثنايا كتابه[٢٠] .

قسم الثعالبي كتابه الى ثلاثين بابا وقسم كل باب الى فصول وبلغ في ذلك حدا كبيرا من الدقه مستفيدا مما وقع فيه من سبقه في هذا الفن من أخطاء وعيوب .

ولم يكتف الثعالبي بالمستعمل المألوف كما فعل الهمذاني ، ولم يؤثر الغريب كما فعل ابن السكيت . ولم يكن دقيقا في التبويب فحسب، بل كان كذلك في ترتيب المواد ، فكان يرتبها حسب تدرج معانيها من القليل الى الكثير ، ومن الصغير الى الكبير ، ومن الضعيف الى الشديد ، أو حسب أنواعها ، اذ لم يكن في معانيها تدرج .

فمما أورده متدرجا فى المعنى من القليل الى الكثير قوله في الفصل الثاني من الباب الحادي عشر : « تركيب كمية ما تشتمل عليه الأواني[٢١] .

« عن الكسائي : اذا كان في قعر الاناء أو القدح شيء فهو قعران ، فاذا بلغ نصفه فهو نصفان وشطران ، فاذا قرب من أن يمتلىء فهو قربان، فاذا امتلأ حتى كاد ينصب فهو نهدان » .

ومما أورده متدرجا من الصغير الى الكبير ما ذكره في الباب الرابع عشر الذى رتب فيه أسنان الناس والدواب فتدرج بسن الغلام حتى

---

(١٩) مقدمة فقه اللغة صفحة ٧

(٢٠) انظر مثلا صفحات ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٤٦

(٢١) فقه اللغة ٥٨

كهولته . قال في الفصل الثاني من هذا الباب[٢٢] .

(« عن أبي عمرو عن أبي العباس ثعلب عن ابن الأعرابي : مادام في الرحم فهو جنين ، فاذا ولد فهو وليد . وما دام لم يستتم سبعة أيام فهو صديغ لأنه لا يشتد صدغه الى تمام السبعة) ، ثم ما دام يرضع فهو رضيع ، ثم اذا قطع عنه اللبن فهو فطيم ، ثم اذا غلظ وذهبت عنه ترارة الرضاع فهو جحوش (عن الأصمعي) ... ثم هو اذا دب ونمى دارج ، فاذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسي ، فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور (عن أبي زيد) ، فاذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو مثغر ومتغر (عن أبي عمرو) فاذا كاد يجاوز العشر السنين أو جاوزها فهو مترعرع وناشيء ، فاذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق ، فاذا أدرك واجتمعت قوته فهو حزور (واسمه في جميع هذه الأحوال غلام)، فاذا اخضر شاربه وأخذعذاره يسيل قيل: بقل وجهه، فاذا صار ذا فتاءفهو فتى وشارخ ، فاذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع ، ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب ، ثم هو كهل الى ان يستوفي الستين » .

ومما أورده متدرجا من الضعف الى الشدة قوله في الفصل الأول من الباب العشرين[٢٣] « من الأصوات الخفية » :

« الرز ، ثم الركز (وقد نطق به القرآن) ، ثم الهتملة فوقها (وهي صوت السرار) ثم الهينمة وهي شبه قراءة غير مبينة . وينشد الكميت :

ولا أشهد الهجر والقائليه
اذا هم بهينمة هتملوا

ثم الدندنة وهي أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه

---

(٢٢) فقه اللغة ص : ٨١-٨٢

(٢٣) فقه اللغة ص : ٢٠٢

لانه يخفيه (وفي الحديث : فأما دندنتك وندنة معاذ فلا أحسنها) ثم النغم وهو جرس الكلام وحسن الصوت ثم النبأة وهي الصوت ليس بالشديد ، ثم النأمة (من النئيم . وهو الصوت الضعيف) » .

على أنه لا يكتفي بايراد المعاني متدرجة كما أسلفنا ، بل يحرص دائما على الجمع بين المتشابه من المعاني ، وبعبارة أدق يجمع بين الألفاظ التي تربطها رابطة القوة أو الضعف ، أو الكبر أو الصغر ، أو الكثرة أو القلة ، كما فعل حين جمع بين ألفاظ لا يربط بين معانيها سوى أنها ترمز الي مسميات يابسة : كالخبيز وهو الخبز اليابس ، والجليد الماء اليابس ، والجبن اللبن اليابس ، والقديد والوشيق اللحم اليابس ، والقسب التمر اليابس ، والقشع الجلد اليابس ، والقفة الشجرة اليابسة ، والحشيش الكلأ اليابس ، والقت الأسفست اليابس ، والخشل المقل[٢٤] اليابس والجزل الحطب اليابس ، والضريع الشبرق اليابس ، والصلد الحجر اليابس ، والبعر الزبل اليابس ، والعصيم العرق اليابس ، والجسد الدم اليابس ، والصلصال الطين اليابس[٢٥] .

وكما فعل حين أورد الفاظا لا يجمع بينها الا الشدة في معانيها : كالأوار شدة حر الشمس ، والوديقة شدة الحر ، والصر شدة البرد ، والانهلال شدة صوت المطر ، والغيهب شدة سواد الليل ، والقصم شدة الأكل ، والقحف شدة الشرب ، والتسبيخ شدة النوم ، والجشع شدة الحرص ، والخفر شدة الحياء ، والسعر شدة الجوع ، والصدى شدة العطش ، واللخف شدة الضرب ، والمحك شدة اللجاج ، والهد شدة الهدم ، والقحل شدة اليبس ، والمأق شدة البكاء ، والرزاح شدة الهزال ، والضرزمة شدة العض ، والقرضبة شدة القطع ، والحقحقة شدة السير ، والوصب شدة الوجع ، والخبز شدة السوق[٢٦] » .

---

(٢٤) المقل : ثمر شجرة الدوم .

(٢٥) فقه اللغة : ص ٣١

(٢٦) فقه اللغة ص ٣٣

وكما فعل أيضا حين جمع بين ألفاظ تدل على الكثرة : كالدثر المال الكثير ، والغمر الماء الكثير ، والمجر الجيش الكثير ، والعرج الابل الكثيرة ، والديلم النمل الكثيرة ، والجفال الشعر الكثير ، والعيطل الشجر الكثير ، والكيسوم الحشيش الكثير والحشيلة العيال الكثيرة ، والحير الأهل والمال الكثير ، والكوثر الغبار الكثير والجبل والقبض الجماعة الكثيرة(٢٧) .

على أنه حين يتعذر عليه ترتيب الألفاظ على المنوال السابق أو حين لا يستطيع أن يتدرج بالمعنى من القلة الى الكثرة أو من الصغر الى الكبر أو من الضعف الى الشدة ، يلجأ الى سبيل آخر في الترتيب ، حرصا منه على التنظيم وتسهيلا للحفظ فهو لم يستطع أن يرتب اسماء الدواهي حسب تدرجها في الضعف والشدة ، فابتدع طريقة أخرى في ترتيبها ، فأورد أولا ما جاء منها على زنة (فاعلة) كنازلة ، ونائبة ، وحادثة ثم آبدة ، وداهية وباتقة ثم بائقة ، وحاطمة وفاقرة ثم غاشية ، ثم ما جاء على (التصغير) كالزبيق ، والأريق ثم الدويهية ، والخويجية ، ثم ما جاء (مردفا بالنون) كالأمرين ، والأقورين ، ثم الذرخين ، والحبوكرين ، والفتكرين .

وواضح أنه أخذ عن ابن السكيت وتأثر بمنهجه ، ولا يظهر ذلك في المواضع التى أشار فيها الى نقله عنه فحسب ، بل يبدو ذلك للوهلة الأولى لمن يتصفح الكتاب وينظر في أبوابه وفصوله . على أنه استفاد من أخطائه وأخطاء غيره ممن نسجوا على منواله . فجاء الكتاب بالغا حدا من الدقة لم يبلغه كتاب قبله . وقد قلنا أنه لم يفرق بين المستعمل والغريب ، بل كان يجمع بينهما ، وذلك لأنه كان يهمه تصنيف الألفاظ حسب معانيها وترتيبها متدرجة أو مصنفة كى يسهل حفظها ، والرجوع اليها .

---

(٢٧) المصدر السابق ٣٦

وهو بالاضافة الى ذلك حريص على رد كل قول لقائله ونسبة كل رواية لصاحبها • وكان يشير بصورة خاصة الى الألفاظ الواردة في القرآن[٢٨] • ويتمثل بالحديث الشريف[٢٩] ويستشهد بشعر الشعراء الجاهليين والاسلاميين : كذى الرمة ، والراعى ، ورؤبة ، والعجاج ، وزهير بن أبي سلمى ، وطرفه ، و لأعشي ، وامرىء القيس ، وعدى ابن حاتم ، والكميت ، ولبيد •

أما الفصحاء واللغويون الذين ينقل عنهم فهم : أبو عمرو بن العلاء ، والخليل ، والليث ، والفقعسى[٣٠] ، والأموي وسيبويه ، وخلف الأحمر ، والكسائي ، والنضر بن شميل ومؤرج السدوسي ، و بن الكلبي ، وابو عمرو الشيباني • والفراء ، وأبو عبيدة ، وابو زيد ، والأصمعي ، واللحياني ، والمفضل الضبي ، وأبو الهيثم الرازي ، وأبو عبيد ، وابن الأعرابي ، وعمارة بن عقيل ، وسلمة بن عاصم ، وأبو تراب النخشبي[٣١] ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، والمبرد ، وثعلب والزجاج ، وابن دريد ، والصاحب بن عباد ، والسيرافي وابن خالويه ، والأزهري ، وأبو بكر الخوارزمي ، وابن جنى ، والجوهري ، وأحمد بن فارس ، •

وخلاصة القول أن أبا منصور الثعالبي نهج على منهج ابن السكيت والهمذاني ، واقتفى أثرهما • ولكنه استفاد مما وقعا فيه من أخطاء

---

(٢٨) كان يشير الى ذلك بقوله : « وبه نطق القرآن » انظر مثلا الصفحات ٢٩٧/٢٠٢/٢٢

(٢٩) انظر الصفحات ٣٢٣\٢٠٢\٣٢ •

(٣٠) الفقعسي : أسمه محمد بن عبد الملك الاسدي راوية بني اسد وصاحب مآثرها واخبارها وكان شاعرا أدرك المنصور ومن بعده وعنه اخذ العلماء مآثر بني أسد واشعارها •

(٣١) هو عسكر بن الحسين النخشبي من أعيان خراسان وكبارهم المشهورين بالعلم والورع صاحب الفقهاء واهل اللغة واخذ عنهم • وكانت وفاته بالبادية سنة ٢٤٥ هـ • •
له كتاب العين أستدرك فيه على الخليل •

وتلافى عيوبهما فجاء كتابه جامعا لفضائل من سبقوه في هذا الفن مضافا اليها دقة في التبويب والترتيب لا نراها عندهم .

خصائص هذه المدرسة :

ويمكن اجمال خصائص مدرسة الألفاظ في اثنتين :

أولاهما : أن كتب هذه المدرسة تتعرض للألفاظ التي تحمل معاني متقاربة ومتشابهة بحيث لا يمكن التفريق بينها الا بشيء من الدقة وتشمل أيضا على الألفاظ التي تتدرج في الموضوع الواحد كالألفاظ التي تدل على الحب أو الجوع أو المرض ، وغير ذلك .

والأخرى : وهي متفرعة من الأولى ولم تظهر بصورة واضحة الا متأخرا ، وأعنى بها ترتيب الألفاظ حسب تدرجها في المعنى أو الجمع بين الألفاظ التي تتفق في الشدة أو الضعف ، أو الكبر أو الصغر ، أو الكثرة أو القلة ، الى غير ذلك .

على أنه يجب التفريق بين هذه المدرسة وبين مدرسة أخرى كانت أقدم ظهورا وأكثر تأليفا وأعنى بها كتب الصفات أو الغريب المصنف[٣٢] .

وهذه الكتب تشمل موضوعات متعددة فقد كان العلماء يصنفون الرسائل ويجعلون كل رسالة مختصة بموضوع كصفة الخيل أوصفة الابل فجاءت هذه الكتب لتجمع الصفات المختلفة من خيل وابل وغيرها .

وأول من ينسب اليه كتاب من هذا النوع أبو خيرة الأعرابي .ومن أشهر كتب هذه المدرسة كتاب الصفات للنضر بن شميل وكتاب الغريب المصنف لأبي عمرو الشيباني ومثله لقطرب ، وكتاب الصفات للأصمعي ، والغريب المصنف لأبي عبيد وهو أقدم كتاب من هذا النوع وصل الينا ، وتقتنى دار الكتب المصرية منه نسختين ، والمجمع اللغوي المصري منه نسخة مصورة عن مكتبة الفاتح بتركيا ، ويشمل هذا الكتاب على أكثر من ثلاثين كتابا في موضوعات مختلفة مثل خلق الانسان ، والنساء ،

---

(٣٢) انظر ما كتبه د / حسين نصار عن هذه الكتب فى الباب التاسع من المعجم العربي ص ١٨٤

واللباس ، والطعام والشراب ، والدور والأرضين والرحل والخيل ، والسلاح ... الخ وكتاب مبادىء اللغة للخطيب الاسكافي ويشمل هذا الكتاب موضوعات مختلفة مثل السماء والكواكب والحر والبرد .
وأشهر كتب هذا النوع قاطبة هو كتاب المخصص لابن سيده وقد سار فيه على طراز الغريب المصنف ، وهو يتألف من سبعة عشر سفرا كل سفر مختص بموضوع من موضوعات كتب الصفات كخلق الانسان والابل والخيل والشجر والنبات الى غير ذلك .

وقد أدخل فيه معظم الكتب التي ظهرت في هذا الباب من قبل ولذلك جاء جامعا ضخما ولم يكتف فيه بالأخذ عن اللغويين بل تعداهم الى النحويين والصرفيين ولذلك اكتظ كتابه بالمسائل النحوية والصرفية. ولم يلتزم ترتيب الألفاظ في معظم أبواب كتابه .

وقد تحدثنا عن كتب الصفات لنتعرف على الفرق بينها وبين كتب الألفاظ ، فكما يبدو أن كلا النوعين يقوم على أساس الموضوعات ، غير أن الموضوعات التي تطرقها كتب الألفاظ تختلف عن تلك التي تطرقها كتب الصفات ، وان كانت بعض كتب الصفات كالمخصص قد جمعت بين طياتها موضوعات كتب الألفاظ أيضا ، فكتب الألفاظ في الأعم لا تهتم بموضوعات الصفات كخلق الابل ، والخيل ، والانسان ، غير أنها تورد الألفاظ التي تدل على أفعال هذه المخلوقات أو بعض ما يتعلق بها .

وبكلمة أخرى « تهتم بالعرض دون الجوهر » على حد تعبير ابن سيده ، كما فعل ابن السكيت حين اورد بابا فيه الألفاظ التي تدل على جماعة الابل .

وزيادة في التوضيح نورد هنا مقارنة مختصرة بين كتاب المخصص الذي يمثل كتب الصفات أصدق تمثيل وبين كتاب الألفاظ لابن السكيت الذي يعد أقدم كتاب وصل الينا يمثل هذه المدرسة التي ندرسها هاهنا .

وقد رأينا أن كتاب المخصص يتألف من سبعة عشر سفرا كل سفر يتعرض لباب من أبواب اللغة كخلق الابل ، وخلق الانسان ، والوحوش ، والنبات ، والشجر ، والأنواء ، والحشرات ، والأيام والليالي ، والجبال والأودية ، وغير ذلك • وهو يفصل القول في كل باب من هذه الابواب ويورد ما يتعلق بها من ألفاظ • فهو حين يتكلم عن الابل يذكر أسماء أعضائها عضوا عضوا ، واسماء اجزاء كل عضو وما يتعلق بكل ذلك من صفات وعيوب ثم يتكلم عن صفات الأبل بصورة عامة من حيث أصالتها وهجنتها وسرعتها ، وخفتها ، وصبرها ، وغضبها ، وغير ذلك فهو لا يدع صغيرة ولا كبيرة تخص الابل الا أوردها في مكانها وكذلك يفعل عند تعرضه لخلق الانسان • والخيل ، والحشرات ، ولم يكتف بذلك بل أورد في كتابه أبوابا تتعرض لبعض مشاكل اللغة أو لظاهرة من ظواهرها كالأضداد ، والقلب والابدال ؛ والمقصور والممدود ، وبعض أبواب النحو والصرف كالأفعال والمصادر ، والتصغير ، والجمع ، وحروف الاضافة ، وأبواب خاصة بالقسم • ولذلك جاء كتابه موسوعة لغوية ضخمة تكاد تجمع معظم ألفاظ اللغة المعروفة في زمانه مرتبة حسب الموضوعات •

أما كتاب الألفاظ لابن السكيت ، فلا نجد فيه هذا الاهتمام بخلق الابل ، أو خلق الانسان ، وغير ذلك من الموضوعات اللغوية ، وكل ما يهمه الفاظ المعاني ، فهو لا يتعرض فيما يتعلق بالابل الا الى ما يخص اسماء جماعاتها • وفيما يتعلق بالانسان لا يعني الا بالألفاظ التي تدل على صفة من صفاته كالأصل والكرم ، والكبر ، وحدة الفؤاد ، والذكاء ، والشجاعة ، والجبن وضعف القلب ، وغيرها من الصفات أو العيوب التي تصيب بعض أعضائه كالقروح ، والجروح ، والشجاج ، والهزال ، ونحو ذلك • وهو لا يكاد يخرج عن هذا القصد في جميع أبواب كتابه •

وقد نهج مؤلفو كتب الألفاظ على منوال ابن السكيت فأوردوا في كتبهم ألفاظ المعـــاني مرتبـــة علــى أبـــواب تتشـــابه أو تتفق في عناوينهـــا ، وقـــد رأينـــا أن هناك فروقا بـين كتب الألفاظ واختص كل منها ببعض الخصائص ، وقد أشرنا الـى أن الطابع العام لكتاب ابن السكيت هو عنايته بالغريب وذلك لأنه لم يقصد الا الى الجمع اللغوي ، أمـا الهمذاني فقد عنى بالسهل المستعمل مـن الألفاظ لأن الذي دفعه الى تأليف كتابه هو تعليم الناشئة وصبيان المكاتب . أما الثعالبي فقد كان الذي دفعه الى تصنيف كتابه جهل الخاصة فضلا عـن العامة كما أشار الى ذلك في مقدمة كتابه ولذلك جمع بـين المستعمـل والغريب . وهذا ما دفعه الى ايراد بعض الابواب التي تبدو غريبة علـى كتب الألفاظ كالأبواب التي تعرض فيها لبعض أعضاء خلق الأنسان .

الفصل الثالث

الاضداد ـ القلب والابدال

أ ـ كتاب الاضداد :

١ ـ مشكلة الاضداد .

٢ ـ كتب الاضداد .

ب ـ كتاب القلب والابدال :

١ تعريف القلب والابدال .
٢ ـ رأي علماء العربية فيهما .
٣ ـ كتب القلب والابدال .
٤ ـ عرض الكتاب .
٥ ـ أهميته .

الفصل الثالث

الاضداد ـ القلب والابدال

أ ـ كتاب الاضداد :

١ ـ مشكلة الأضداد :

وجود الاضداد في العربية يشكل مشكلة طالما تعرض لها العلماء قديما وحديثا بالأخذ والرد ، فمن مقرّ بها معترف بوجودها • ومن منكر مبطل لها • ذلك أن اطلاق لفظ واحد على معنيين متضادين ليس بالأمر الطبيعي في اللغة ، اذ أن اللفظة انما وضعت لتدل على مدلول معين فاذا وقعت على المتضادين لم تؤد المقصود من اطلاقها • ولكن أكثر أهل اللغة على أن الاضداد حقيقة لغوية لا سبيل الى انكارها ، وتعللوا لها بالعلل وذكروا لها من الأسباب ما سنجمله فيما بعد • ومن هؤلاء الذين أقروا بها ، وألفوا فيها الرسائل : قطرب ، والأصمعي ، وأبو عبيدة ، والتوزي [1] ، وابن السكيت ، وعسل بن ذكوان [2] ، وأبو حاتم السجستاني ، وأبو بكر الأنباري ، والصاغاني ، وابن الدهان ، وأما الذين أنكروها فمنهم ابن درستويه الذي ألف كتابه (أبطال

---

(١) من أكابر أئمة اللغة واسمه : « عبد الله بن محمد بن هارون » قرأ كتاب سيبويه على الجرمي ، كثير الرواية عن ابي عبيدة ، وقرأ أيضا على الأصمعي وصنف كتاب الخيل ، والأمثال والاضداد ، وتوفي سنة ٢٣٣ هـ (البغية ٢/٦١) •

(٢) روى عن المازني والرياشي ، وكان في أيام المبرد • صنف اقسام العربية ، والجواب المسكت • (البغية ٢/١٣٧) •

الأضداد[٣]) ، الا أنه اعترف بمجيء النادر منها ، حيث يقول : (وانما اللغة موضوعة للابانة عن المعاني ، فلو جاز للفظ واحد الدلالة على معنيين مختلفين أو احدهما ضد للآخر ، لما كان ذلك ابانة ، بل تعمية وتغطية ، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل[٤]) •

وممن أنكرها أيضا بعض شيوخ ابن سيده[٥] •

وقد استغل الشعوبيون الأضداد وعدوها منقصة تؤخذ على العرب وتزري بهم فكانوا يحتجون بأن الاسم منبيء عن المعنى الذي تحته ودال عليه وموضح تأويله ، فاذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى •

ورد عليهم بعض العلماء ومنهم أبو بكر الأنباري فقال في مقدمة كتابه (الأضداد[٦]) « أن ذلك يجوز لأن كلام العرب متصل يفسر أوله آخره وبالعكس ، وتمثل على ذلك بعدة أبيات على كلمة الجلل وهي من الأضداد ، وهذا لا يسري على الأضداد فحسب ، وانما على كل كلمة تحتمل أكثر من معنى ، كالزبرج للأثر ، والزبرج للسحاب الرقيق • والجميل للرجل الحسن ، والجميل للشحم المذاب •

ورد ابن فارس على منكري وجود الأضداد بأن الذي رواها هو الذي روى « أن العرب تسمى السيف مهندا ، والفرس طرفا » •

وأمعن بعض العلماء النظر في الأضداد وحاولوا أن يجدوا لهذه المشكلة اللغوية حلا ، وقد عزوا ذلك لعدة أسباب نجملها ، فيما يلي :

١ ـ أنها من قبيل التفاؤل كالمفازة للصحراء ، والسليم للديغ ، والريان للناهل والعطشان • وموضوع التفاؤل والتشاؤم أمر له أهميته

---

(٣) المزهر ١\٣٨٥

(٤) المصدر السابق ٣٨٥/١

(٥) المخصص ٢٥٩/١٣

(٦) مقدمة الأضداد ص ٢ . ويشير الى الشعوبيين بعبارة (أهل الزيغ) .

عند العرب ، ونستطيع أن نورد أمثلة كثيرة له تدل دلالة واضحة على أن للتفاؤل دوره في وجود بعضها كالتي ذكرت هنا . والذي يزور مصر ويختلط بشعبها يسمع من ذلك الشيء الكثير ، فهم يقولون (هو في عافية)ويقصدون أنه مريض ، وهم يتشاءمون من اللون الأسود ، وقد أدى هذا التشاؤم الى تجنب لفظه عند عامتهم ، فهم يطلقون على اللون الأسود اللون الأسمر ، فيقولون مثلا للثوب الأسود (أسمر) ، وهذا وان لم يكن من الأضداد فانه يدلنا على ما للتشاؤم من أثر في اللغة . وليس هذا في مصر فحسب ، بل أظنه شائعا في مختلف البلاد العربية باختلاف درجات التشاؤم .

٢ ــ للتهكم أو لاتقاء التلفظ بما يكره به أو بما يمجه الذوق أو بما يؤلم المخاطب كالعاقل للمعتوه أو الأحمق ، والخفيف للثقيل ، والبصير للأعمى .

٣ ــ وقد يجيء التضاد في الظاهر من انتقال اللفظ عن معناه الى آخر مجازى لنكته بلاغية أ ولعلاقة بينهما . وذلك كما في قوله تعالى : « نسو الله فنسيهم » ، فالفعل الثاني غير مستعمل في معناه الأصلي لأن الله لا يجوز عليه السهو وانما هو مستعمل في معنى الاهمال والترك المقصود على سبيل الاستعارة ، وقد حسن هذه الاستعارة ما تحققه من مشاكلة بين اللفظين وتجانس بين الجزاء والعمل .

ومن هذا القبيل لفظ « الكأس » الذي يطلق على الظرف وعلى المظروف أي على الاناء وما يملؤه . وقد يكثر استخدام الكلمة ضد مدلولها ، عن هذا الطريق فيتناسي فيها وجه المجاز ويصبح اطلاقها على ما يقابل مدلولها الأصلي ، في قوة استخدام اللفظ في حقيقته .

٤ ــ وقد يجيء التضاد في الظاهر من دلالة الكلمة في أصل وضعها على معنى عام يشترك فيه الضدان ، فتصلح كل منهما لذلك المعنى الجامع ، وهذا ما يسميه أحيانا علماء الأصول بالمشترك المعنوي (كالقرء)

للحيض والطهر لأن معناه الأصلي الوقت المعتاد ، و (الصريم) لليل والنهار لأن كل منهما ينصرم عن الاخر ، و (الزوج) للذكر والأنثى ، و (السرر) في اطلاقها على أوائل الشهر وأواخره لأن معنى السرار ما يصل بين الشهر السابق والشهر اللاحق ، و (الصارخ) في اطلاقه على المغيث والمستغيث ، وكلمة (جون) على الأبيض والأسود لأنها في الفارسية بمعنى لون (٧) ، ويقال أنها في السريانية بمعنى لون أيضا (٨) .

٥ ــ وقد يأتي التضاد من تلازم المعنيين في بعض الأفعال كالقطع فانك اذا وصلت شيئا بشيء فقد قطعت بينهما اي بعدهما ، ولذلك جاء البين من الاضداد ، وكثيرا ما ترى معنى القطع يجامع معنى الجمع ، ومن ثم جاءت أفعال كثيرة بمعنى القطع والجمع فمن باب الباء وحده جاء قطب أي قطع وجمع ، وشعب أي جمع وفرّق ، وصرب قطع وصرب اجتمع ، وجاء ايضا قرضبه قطعه ، وقرضب اللحم في البرمة جمعه ذلك أن جمع اللحم في البرمة لا يكون الا بتقطيعه (٩) .

٦ ــ وقد يجيء التضاد في الظاهر من اختلاف مؤدي المعنى الواحد باختلاف المواقع مثل كلمة فوق فقد ظن : انها استعملت ضد معناها الأصلي في قوله تعالى « ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » . أي فما دونها . والحق انها في هذا المثال وما اليه تدل على معناها الأصلي . اذ تفسير الآية ما يفوق الذبابة حقارة .

---

(٧) الالفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٤٩٥ .

(٨) هل العربية منطقية : مرمرجي دومنكي ١٤٤ ، فقه اللغة ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٩) سر الليال في القلب والابدال . ويرى الشدياق أن كل فعل في الغالب يستلزم القطع ، اما حقيقة او مجاز وبيان ذلك أن من بنى دارا فلابد له من قطع ما تبنى به الدار من الحجر والخشب ونحوهما ، ومن خاط ثوبا لزمه بالضرورة قطع الأجزاء التي يتركب منها الثوب ، ومن سافر فانه يقطع الارض مجازا ، وعلى ذلك قولهم جاب الارض وجزع الوادي وقص الاثر . صفحة : ٨ .

٧ ـ وقد يأتي التضاد من عوارض تصريفية كتشابه صيغة اسم الفاعل واسم المفعول من المضعف كالمرتد ومن صيغة افتعل اذا كان عين الفعل معتلا كممتاز ومزداد ومختار ومصطاد [١٠] •

وقد يأتي ذلك من اختلاف اللهجات [١١] كلفظ (وثب) فهو في لغة حمير بمعنى (قعد) وفي لغة نزار (طفر) • و (سدفة) فهي عند تميم (الظلمة) وعند قيس (الضوء) • و (سجد) بمعنى (قام) عند طيء وبمعنى(انحنى وتطامن الى الأرض) عند غيرها (لمق) بمعنى (كتب) عند بني عقيل وبمعنى (محى) عند سائر قيس •

٩ ـ ويرى بعض الباحثين الذين يذهبون الى أن أصل اللفظة في العربية ثنائي أن معنى التضاد أتى من اختلاف الأصلين ، مثل ذلك (هجد) بمعنى (نام) و (سهر) : فمن المحتمل أن تكون فى معنى النوم منحدرة من هدأ اذا سكن ، وفي معنى اسهر من جد اذا جهد ، لما في السهر من الاجتهاد في منع النوم • ومن ذلك أيضا أبض بمعنى سكن وتحرك فمن المحتمل ان تكون في معنى السكون منشعبة عن بضّ في بضا وباض •• بمعنى أقام وسكن ، وفي معنى التحرك منحدرة من أب الشيء اذا حركه [١٢] •

وأيا كانت العلل والأسباب المؤدية الى هذه الظاهرة اللغوية التي شغلت العلماء قديما وحديثا ، فلا سبيل الى أنكارها وتجشم الصعاب لابطالها ، فالتضاد واضح جلي في كثير من الألفاظ ، الا أن بعض العلماء بالغوا فيها وعدوا منها ما لا يمكن أن يدخل في هذا الباب •

---

(١٠) انظر الاضداد للسجستاني ص ١٢٠

(١١) انظر مقدمة الاضداد للأنباري ص : ٨

(١٢) الأب مرمرجي الدومنكي : هل العربية منطقية ابحاث ثنائية السنية ص ١٣٥ ـ ١٤٤ وكتاب المعجمية العربية ص ٢٢٩ •

٢ ــ كتب الأضداد :

لم تصل الينا من كتب الأضداد سوى سته : هي كتب الأصمعي ، وابن السكيت ، والسجستاني (ت ٢٤٨ هـ) • وأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٧ هـ) ، وابن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) ، والصاغاني (ت ٦٥٠ هـ)• ومن الملاحظ أن الأضداد كانت تتزايد من قرن الى قرن ، فلم تزد في الكتاب المنسوب للاصمعي على مائة وخمسة أضداد ، وبلغت عند السجستاني مائة وسبعين ضدا ، وعند ابن الأنباري ٣٥٧ ضدا ، وعند الصاغاني ٣٦٧ ضدا •

كتابا الأصمعي وابن السكيت :

طبع هذان الكتابان مع كتابي السجستاني والصاغاني بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩١٢ م بتحقيق المستشرق أوغست هفنر •

على أن الذي يقرأ هذين الكتابين لا بد أن يعتريه شك في أنهما كتابان مختلفان ، فالكتابان متطابقان ولايكادان يختلفان الا في بعض الألفاظ والعبارات التي زيدت على الكتاب الأول • أعني الكتاب المنسوب للأصمعي ، أو نقصت من كتاب ابن السكيت •

وأستطيع أن أجمل هذا التطابق في الأمور التالية :

١ ــ الأضداد التي وردت في الكتاب المنسوب للأصمعي هى نفس الأضداد الواردة في كتاب ابن السكيت باستثناء اثنى عشر لفظا وردت عند الأصمعي ولم ترد عند ابن السكيت ، وهي :

قهم ، ولفا ، ووجه ، وأكرى ، وقرع ، وغابر ، وطرب ، وذفر ، وبلو ، وصاقب ، وصرد ، وعرد • وباستثناء لفظ واحد ورد عند ابن السكيت ولم يرد في الكتاب المنسوب للأصمعي وهو : (قيص) • ومجموع الأضداد في الكتاب المنسوب للأصمعي مائة وخمسة ، وفي

كتاب ابن السكيت أربعة وتسعون •

٢ ـ يتفق الكتابان في طريقة عرض أو تقديم الأضداد ، فهما يرجعان الى المادة المجردة المشتق منها اللفظ ، على خلاف ما في كتب الأضداد الأخرى فـ (القرء) مثلا يأتي في مادة (قرأ) و (الضراء) في (ضرا) • وهكذا •

٣ ـ ويتفقان أيضا في ترتيب هذه الأضداد ، فالأضداد العشرة الأولى في الكتاب المنسوب للأصمعي وردت مرتبة هكذا :

قرأ ـ شعب ـ عسعس ـ أقوى ـ عفا ـ جلل ـ سجر ـ ضرا ـ رها ـ صرى وقد وردت بهذا الترتيب أيضا في كتاب ابن السكيت باستثناء العاشر الذي تأخر الى مابعد الثاني عشر • ثم يستمر الترتيب كذلك الى النهاية •

٤ ـ الشيوخ الذين يروى عنهم ابن السكيت هم نفس الشيوخ الذين يروي عنهم في الكتاب الأول ، وما ينسب الى هؤلاء الشيوخ يتفق لفظه في الكتابين •

٥ ـ والأهم من ذلك كله اتفاقهما بل تطابقهما في معالجة كل مادة من مواد الأضداد •

وسأعرض هنا ثلاثة نماذج لتتبين مدى التطابق بين الكتابين :

المادة الأولى في الكتابين هى مادة (قرأ) وقد وردت في كتاب الأصمعي هكذا :

« قال الأصمعي : القرء عند أهل الحجاز الطهر ، وعند أهل العراق الحيض ، وقال أبو عمرو بن العلاء يقال قد دفع فلان الى فلان جاريته تقرئها مهموزةمشددة يعني تحيض عندها وتطهر اذا أراد أن يستبرئها ، وقال انما القرء الوقت فقد يجوز أن يكون وقتا للطهر ووقتا للحيض ، وأقرأت الرياح هبت لوقتها ، والقارىء الوقت ، وقال مالك بن الحارث الهذلي :

كَرِهت العقر عَقر بني شُلَيل
اذا هبت لقارئها الرياح

وأنشد أبو عمرو هذا البيت أي هبت الرياح لوقتها في الشتاء ، وقال الأصمعي أقرأت الريح اذا جاءت لوقتها ، ويقال ذهبت عنك القراءة خفيفة يريد وقت المرض وذلك اذا صرت الى بلد غير البلد الذي أنت فيه فمكثت فيه خمس عشرة ليلة فقد ذهبت عنك قرأة البلد التي تحولت عنها ، وأهل الحجاز يقولون قرة بغير همز يعني أنك أن مرضت بعدها فليس ذلك من وباء تلك البلدة وقوله العَقر وأهل الحجاز يقولون عُقر الدار وأهل نجد عَقر الدار وأهل الحجاز يضمون العين والعَقر أصل الدار ومنه قيل العقار ، ورواها أبو عبيدة لقاريها بغير همز أي سكانها وشهادها ، يقال أهل القارية أي القرى . قال الأعشى :

مورثةٍ مالا وفي الحي رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا

أي لما ضاع من طهر نسائك لغيبتك عنهن ، فلم تغشهن لشغلك بالغزو فأبدلت من ذلك هذا المال وهذه الرفعة ، وقال أبو عبيدة : يقال أقرأت النجوم بالألف معناه غابت ، ومنه قرء المرأة في قول من زعم أنه طهرها لأنها خرجت من الحيض الى الطهر كما خرجت النجوم من المغيب ، ويقال هذه ناقة ما قرأت سلى قط بغير ألف أي ما حملت ملقوحا ولا غيبت في بطنها ولدا . قال عمرو بن كلثوم :

ذراعى عيطل أو ماء بكرٍ   هِجان اللون لم تقرأ جنينا

وقال أبو عمرو الشيباني : الاقراء أن تقرىء الحية وذلك أنها تصري سمها شهرا أي تجمع سمها فاذا وفى لها شهر أقرأت ولجت سمها

ولو أنها لدغت في اقرائها شيئا من الاشياء لم تطنه ولم يبل سليمها والاطناء أن لا يلبث حتى يموت • وقد اقرأ سمها اذا اجتمع » •

وقد ورد هذا كله في كتاب ابن السكيت ولم يختلف عما جاء في كتاب الأصمعي الا اختلافات يسيرة وهي :

حذف عبارة (هذه ناقة) من قوله (ويقال هذه ناقة ما قــرأت سلى قط) • وحذف كلمة (ملقوحا) من قوله (أي ما حملت ملقوحا) وحذف عبارة (والاطناء أن لا يلبث حتى يموت) من قوله (ولو أنهـا لدغت في اقرائها شيئا من الأشياء لـم تطنه والاطناء ان لا يلبث حتـى يموت ولم يبل سليمها) •

وزيادة (حين تؤذي) على قوله : (وأنشدنا أبو عمرو هذا البيت احتجاجا في القرء أنه الوقت يقول اذا هبت لوقتها في الشتاء) ــ وزيادة عبارة (لغيبة الدم) في قوله : (ومنه قرء المرأة في قول من زعم أنــه طهرها) • وعبارة (ويروي عيطل) بعد بيت عمرو بن كلثوم ، وزيادة كلمة (وسمعت) بين كلمة قال وأبي عمرو الشيباني في قوله : (قال أبو عمرو الشيباني والاقراء أن تقرىء الحية) وزيدت هذه العبارة : (قوله لم تطنه ، كقولك لم تشوه الا أن الاطناء لا يكـون الا في الحيـة ، والاشواء في كل شيء) • بعد قوله (لم يبل سليمها) •

والمادة الثانية هــي (شعب) وقــد وردت في الكتاب المنسوب للأصمعي هكذا :

« قال الأصمعي : شعبت الشيء اذا أصلحته وجمعته ، وشعبته اذا شققته وفرقته ، ومنه سميت المنية شعوب لأنها تفرق ، وأنشد :

خلى طفيل عليّ الهم فانشعبا

وأنشد أبو عبيدة لعلي بن الغدير الغنوي :

وإذا رأيت المرء يشعبُ أمرهُ   شعب العصا ويلج في العصيانِ
فاعمد لما تعلو فما لك بالذي   لا تستطيع من الأمور يدانِ

قوله تعلو أي لما تطيق وتقوى ، يقال هو عال لذلك الأمر ، أي ضابط له قاهر اه ، ويقال تشعبت اهواؤهم أي تفرقت . وقال جرير :

وقد شعبت يوم الرحوب سيوفنا
عواتق لم يثبت عليهن محملُ

أي فرقت ، ويقال قد أشعب الرجل اذا هلك أو فارق فراقا لا يرجع وقال شعب له شعبة من ماله أي أعطاه قطعة منه ، ويقال كان فلان في ألف فشعب الى بنى فلان في مائة يشعب اذا تفرق في مائة عنهم » .

وقد ورد ذلك كله عند ابن السكيت مع زيادة بعض العبارات وهي: (قوله يشعب أمره يفرقه) بعد بيت علي بن الغدير الغنوى مباشرة ، وقوله (وقطعت) بعد قوله (أي فرقت) الواردة بعد بيت جرير ، وزيدت لفظة (وشقة) على قوله (اعطه قطعة منه) .

وغيرت عبارة (قوله تعلو أي لما تطيق وتقوى) الى (قوله تعلو يعني تكلف من الأمر ما تطيقه وتقهره) .

وما عدا هذا فالشرحان متطابقان لفظا لفظا .

والمادة الثالثة (عسعس) ووردت في الكتاب المنسوب للأصمعي هكذا :

« وقال أبو عبيدة : يقال عسعس الليل اذا أقبل ، وعسعس أدبر وأنشد (لعلقمة بن قرط التيمى) :

مدّرعات الليل لما عسعسا

أي أقبل ، وقال بعضهم : عسعس اذا ولى ، قال علقمة التميمي :

حتى اذا الصبح له تنفسا   وانجاب عنها ليلها وعسعسا »

وقد ورد هذا كله عند ابن السكيت الا أنه حذف قوله (وعسعس أدبر الى نهاية الشاهد الأول .

وهكذا يتفق الكتابان في ترتيب المواد وفي عرضها ومعالجتها ولا يكادان يختلفان كما قلنا الا في أمور يسيرة ، ولولا خشية الاطالة لأوردت نماذج كثيرة على ذلك .

أثارت هذه الملاحظات في الشك ، وحدثتني نفسي أن الكتابين لا يمكن أن يكونا لمؤلفين مختلفين ، بل هما نسختان لكتاب واحد سقطت من احداهما أو زيدت عليها بعض الألفاظ والجمل . ودفعني ذلك الى دراستهما وامعان النظر فيهما وتوصلت الى أنهما لا يمكن أن يكونا للأصمعي ، وذلك للأسباب التالية :

١ ـ انه استشهد بشعر الكميت[١٣] ، ونحن نعلم أن الأصمعي كان يرفض الاستشهاد بشعره ؛ ومما نقل عنه أنه قال عن الكميت : انه جرمقاني من أهل الشام[١٤] .

٢ ـ هناك بعض العبارات ورد فيها اسم الأصمعي كقوله : (أنشد الأصمعي لامرىء القيس)[١٥] . وكثيرا ما كانت تتكرر عبارة (قال الأصمعي)[١٦] أثناء الشرح مما يدل على أن المؤلف شخص آخر غير الأصمعي .

٣ ـ وكثيرا ما يبدأ في شرح المواد برواية عن أبي عبيدة[١٧] أو أبي زيد[١٨] ، ونحن لا نعلم أن الأصمعي روى عنهما بهذه الكثرة .

٤ ـ وفي الكتاب رواية عن الأثرم ، والأثرم كما نعلم من تلامذة

---

(١٣) صفحة ١٥

(١٤) ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٤٧ وقيل انه قال انه جرمقاني من اهل الموصل . (انظر يوهان فك : العربية ص ٤٠)

(١٥) صفحة : ٢٢

(١٦) انظر الصفحات (٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٥) .

(١٧) انظر الصفحات ١١\٣٢\٤٣

(١٨) انظر الصفحات ٣٥\٣٩

الأصمعي ، فكيف يروى عنه الاصمعي ؟

٥ ـ واهم من هذا كله ان في الكتاب روايات كثيرة عن شيوخ مدرسة الكوفة ، كأبي عمرو الشيباني[١٩] ، والفراء[٢٠] ، وابن الأعرابي[٢١] مما يجعلنا نجزم بأن هذا الكتاب ليس للأصمعي البصري الذي كانت له مع بعض هؤلاء مناظرات ومحاورات ، ونحن نعلم أن أحدا من رجال مدرسة البصرة لم يرو عن الكوفيين غير أبي زيد[٢٢] •

وقد لاحظ المستشرق هفنر الذي نشر الكتاب هذا الاتفاق بين الكتابين فظن أن كتاب ابن السكيت انما هو رواية ثانية لكتاب الأصمعي[٢٣] •

واذا صح لدينا أنهما كتاب واحد أو نسختان لكتاب واحد وأنه ليس للأصمعي فهل هو لابن السكيت ؟ هذا ما أرجحه[٢٤] ، لأن الشيوخ الوارد ذكرهم هم نفس شيوخ ابن السكيت ، فقد عرفنا في فصل سابق انه تلمذ لأبي عمرو الشيباني وابن الأعرابي والفراء من الكوفيين والأثرم وغيره من البصريين ، ونحن نعلم أيضا أنه كان يحكى عن أبي زيد والأصمعي ، وأبي عبيدة وهذا واضح في كافة مؤلفاته التي بين أيدينا وخاصة في الاصلاح والألفاظ فقد روي عن الأصمعي فى الاصلاح وحده في مائة وخمسة وأربعين موضعا ، وعن أبى عبيدة ، في ثلاثة وستين موضعا وعن أبي زيد في اثنين وأربعين موضعا • ونلاحظ أيضا أن في

(١٩) انظر الصفحات ٦ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤٢ ، ٤٥

(٢٠) انظر الصفحات ٢٨\٥٢

(٢١) انظر الصفحات ١٨\٢٤

(٢٢) نزهة الالباء ص ١٧٥

(٢٣) صفحة ١٦٣

(٢٤) انتهيت من كتابة هذا البحث فى ربيع ١٩٦٦ وقد علمت باخره ان الدكتور \ رمضان عبد التواب توصل الى هذه الحقيقة ايضا .

الكتاب رواية عن الكلابي هي قوله : « سمعت الكلابي يقول : القهم الجائع[٢٥] » وهذا اللقب كثيرا مايروى عنه ابن السكيت في الاصلاح والألفاظ[٣٦] .

أما التغيير اليسير الذي وجدناه في الكتاب الثاني وما سقط منه من الجمل وبعض الشواهد فيمكن تعليله بأحد سببين :

الأول : أنه من فعل رواة الكتاب اذ كثيرا ما يلجأون الى زيادة بعض الشروح وحذف بعض الجمل وهذا شائع فى المخطوطات القديمة وقد يكون هذا التغيير من عمل النساخ .

والثاني وهو ما أرجحه ، أن ابن السكيت نفسه قد أعاد النظر في الكتاب ونقحه فحذف وزاد ، وليس هذا بغريب فابن السكيت من المولعين باعادة النظر في كتبهم وتنقيحها ، فعل ذلك بكتابه الاصلاح ،فقد روي أن ثعلبا دخل عليه يوما فوجده « يعمل اصلاح المنطق » فعاتبه ابن السكيت على تأليفه الفصيح وقال له : (رغبت عن كتابي يا أبا العباس[٣٧]) .

ومن الواضح أن كلمة (يعمل) هنا لا يقصد بها التأليف اذ أن ظاهر العبارة يدل على أن الكتاب قد تم تأليفه قبل ذلك والا فكيف يرغب عنه ثعلب ؟ . ومما يؤيد ذلك أن ابن السكيت لما اطلع على (الفصيح) قال : « جدع كتابي جدع الله أنفه[٢٨] » . ولعل المقصود بها أن ابن السكيت كان ينقح كتابه أو يختصره ، فالمعروف عنه انه اختصره مرتين على نحو ما ذكر الوزير المغربي[٢٩] .

---

(٢٥) ص : ١٦
(٢٦) انظر الاصلاح صفحات (٤٠\٥٥\٨٥)
(٢٧) انظر معجم الادباء ٢\٢٨٣
(٢٨) كشف الظنون ٤\٤٤٥
(٢٩) مختصر اصلاح المنطق ص ٩٨

وهذا لا يعني أن الأصمعي لم يؤلف كتابا في الاضداد فذلك ثابت في فهارس الكتب القديمة كفهرست ابن النديم ، وثابت أيضا في كتب التراجم ، الا ان الظاهر أنه قد فقد وبذلك يكون كتاب ابن السكيت أقدم كتاب وصل الينا في الاضداد .

وأسلوب ابن السكيت في تأليف هذا الكتاب وفي عرضه للمواد ومعالجتها لا يختلف عنه في بقية كتبه ، ولا تكاد مصادره تختلف هنا عن مصادره هناك ، فالشيوخ الذين يروى أو يحكى عنهم هنا هم أنفسهم الذين يروى عنهم هناك ، على أننا نلاحظ أنه لا يروى كثيرا عن فصحاء العرب في هذا الكتاب كما فعل في الاصلاح والألفاظ ، ولعل ذلك يرجع الى سعة ذينك الكتابين واشتمالهما على عدد كبير من الألفاظ على خلاف ما هو في الأضداد حيث المادة اللغوية محدودة ولا مجال للاتساع .

كتاب السجستاني :

أما أبو حاتم السجستاني (ت ٢٨٤ هـ) فقد بلغت الأضداد عنده مائة وخمسة وسبعين ضدا ، أي بزيادة سبعين ضدا على ابن السكيت . ويبدو أنه اعتمد على أبي عبيدة دون غيره ممن كتبوا في الأضداد فقلما نجده يروي عن غيره من الشيوخ . على انه لم يسلم دائما برواية أبي عبيدة فهو أحيانا يرد عليه كما فعل حين أورد قول أبي عبيدة في لفظة (عسعس) : « قال أبو عبيدة : والليل اذا عسعس أقبل ويقال أدبر ، وأنشد لعلقة بن قرط التيمي فجعله اقبالا :

مدّرعات الليل لمّا عسعسا
وادرعت منه بهيما حندسا

البهيم الأسود الذي لا يخالطه بياض ، والحندس الشديد السواد ،

قال زعموا أن ابن عباس رحمه الله قال عسعس آدبر والله أعلم ، قال أبو عبيدة وقال الزبرقان فى الادبار :

وماء قديم عهده ما يرى به | سوى الطير قدباكرن ورد المغلس
وردت بأفراس عتاق وفتية | فوارط في أعجاز ليل معسعس

فقد قال السجستاني : (وقد تقلد أبو عبيدة أمرا عظيما ولا أظن ها هنا معنى أكثر من الأسوداد ، عسعس اظلم واسود في جميع ماذكره[٣٠]) •

والسجستاني يرفض ابداء الرأي في ألفاظ القرآن ويأبى تفسيرها ، قال بعد أن أورد رأيه السابق في عسعس : (وكل شيء من ذا الباب في القرآن فتفسيره يتقى وما لم يكن في القرآن فهو أيسر خطبا على اننا نراه يستشهد أحيانا ببعض آيات القرآن الكريم[٣١] •

والسجستاني يأتي بالأضداد مبعثرة من غير ترتيب كما هي الحال عند ابن السكيت ولكنه يختلف عنه في ايراده اللفظ ذا المعنيين المتضادين من غير الرجوع الى مجرده ، الا اذا كان المجرد نفسه من الأضداد •

كتاب ابن الأنباري :

تزيد الأضداد عند أبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) فقد بلغت ثلاثمائة وسبعة وخمسين ضدا أي مايزيد على ضعف ماعند السجستاني ولاندري هل هذه الزيادات كلها من عنده أو أنه نقلها عمن ألفوا في الأضداد بعد ابن السكيت والسجستاني • وتتجلى في كتابه سعة الحفظ والافاضة في الرواية ، فجاءت شروحه غاية في الاتساع واكتظت بالاستطرادات والشواهد التي لاتمت الى فكرة الأضداد بصلة • بل

(٣٠) الأضداد صفحة : ٩٨
(٣١) نظر مادتي (اقوى) و (عفا) في صفحة : ٩٣

كثيرا ما يورد شاهدا على أحد المعنيين المتضادين ثم يستطرد في شرح الشاهد وايراد شواهد أخرى على شرحه ففي مادة (اخلفت) أتى بعشرة أبيات من الشعر ليس منها سوى بيت واحد على فكرة التضاد • وهو يكثر من الرواية عن شيوخ مدرسة الكوفة ، كثعلب ، وسلمة بن عاصم ، والفراء ، ويروى أحيانا عن ابن اسكيت ، ويحكي كثيرا عن شيوخ مدرسة البصرة كالأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد وغيرهم •

وخلاصة القول أن كتابه دليل قاطع على ماعرف عنه فى زمانه من الحفظ واتساع المعرفة •

كتابا ابن الدهان والصغاني :

يختلف التأليف في الأضداد عند ابن الدهان[٣٢] ، والصغاني[٣٣] تمام الأختلاف عما هو عليه عند ابن السكيت ، والسجستاني ، وابن الأنباري فعلى حين ألف هؤلاء الثلاثة كتبهم بطريقة لاتبعد بها كثيرا عن كتب الأدب لكثرة ما فيها من الروايات الشعرية واللغوية وربما الأخبار أحيانا ، نجدها عند ابن الدهان والصغاني أقرب الى طريقة التأليف المعجمي • فهما يكتفيان بايراد الضد وذكر معنييه المتضادين دون الاهتمام بأصل هذين المعنيين كما كان يفعل من قبلهما •

---

(٣٢) أبو محمد سعيد بن مبارك بن علي الدهان ، كان يلقب بسيبويه عصره . انتقل من بغداد الى الموصل وفيها فقد بصره بعد أن غرقت كتبه في بغداد ، وله كتب كثيرة أشهرها شرح الأيضاح لأبي علي الفارسي فى أربعين مجلدة وشرح اللمع لابن جنى . توفى سنة ٥٦٩ هجرية .

(٣٣) الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني أو الصاغاني . ولد بلاهور وانتقل الى بغداد وتنقل بينها وبين الهند واليمن وكان له المنتهى في اللغة ، وله كتب كثيرة اشهرها مجمع البحرين ، والعباب ، والتكملة على الصحاح ، وشرح صحيح البخاري ، وغير ذلك (البغية ١\٥١٩).

فمادة (الامين) عند ابن الدهان لم يزد فيها على قوله :
(المؤتمن والمؤتمن) • وكذلك مادة (المأتم) لم يزد فيها على قوله:

(النساء يجتمعن في الحزن وفي الفرح • وفيه نظر) وكذلك فعل الصغاني ، فمادة (القرء) عنده (الحيض والطهر) ومادة (شعب): (الجمع والتفريق) •

ويتفق الاثنان في ترتيب الأضداد على حروف المعجم ابتداء من الحرف الأول للمجرد الذي يشتق منه الضد ، ولكنهما يختلفان في أن ابن الدهان ترك الأضداد في باب الهمزة مبعثرة من غير ترتيب حسب حروفها الثواني والثوالث ، بينما تلافى الصغاني ذلك فرتبها ترتيبا دقيقا • على أن ابن الدهان لم يكن مقتنعا بأن كل ما أورده من الأضداد بل كثيرا ما كان يبدي شكه ويشير الى ذلك بعبارة (وفيه نظر)[٣٤] •

وبعد فهذه هي كتب الأضداد التي وصلت الينا ، وكتاب ابن السكيت كما قلنا أقدمها • فما أثره فيها ؟ وهل كان له من الأثر ما كان لكتابي الاصلاح والألفاظ ؟ الواقع أنه ليس كذلك ، فلم يكن كتابه هذا مبتكرا في مادته وتصنيفه ، بل سبقه اليه شيوخ من أئمة العربية كالأصمعي ، وأبي عبيده ، والفراء ، وأبي عمرو الشيباني ، وأراد ابن السكيت أن يدلي بدلوه في هذا الفن • وجاء كتابه لذلك جامعا لأرائهم وأقوالهم •

ومن هنا تأتي أهميته فهو وعاء أمين حفظ لنا أقوال هؤلاء الشيوخ في الأضداد •

---

(٣٤) انظر مادتي (المأتم ، واذ) فى صفحة ٦

ب ـ كتاب القلب والابدال :

١ ـ تعريف القلب والابدال :

القلب هو تغيير وضع حروف الكلمة بالتقديم والتأخير مع بقاء المعنى واحدا في الكلمتين (كاضمحل ، وامضحل) •

أما الابدال فهو قلب بعض حروف الكلمة الى حرف آخر مع بقاء المعنى واحدا أيضا كغبن الثوب وخبنه أي كفه •

وينبغي أن نفرق بين القلب اللغوي وبين ذلك النوع من الاشتقاق الذي يسميه ابن جنى بالاشتقاق الأكبر وهو (أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه)[٣٥] • وقد ضرب لذلك أمثلة كثيرة كتقليب لفظة (قول) وهي : (قول) ، وقلو ، ووقل ، وولق ، ولقو ، ولوق ، فانها تدل جميعا على معنى عام وهو الاسراع والخفة ، ومثلها تقاليب (كلم) وهي : كلم ، وكمل ، ومكل ، وملك ، ولكم ، ولمك ، وهي تدل على معنى عام أيضا وهو القوة والشدة[٣٦] •

ومن الباحثين من يخلط بينهما ، ومنهم أحمد فارس الشدياق ، في كتابه سر الليال في القلب والابدال ، وعبد الله أمين ، في الاشتقاق ويسميهما الاشتقاق الكبار ، ومن الواضح أن الفرق كبير بين النوعين ، أعني القلب اللغوي والاشتقاق الأكبر ، اذ من المشترط فى النوع الأول أن يبقى المعنى واحدا في الكلمتين لا يزيد ولا ينقص في احدهما عنه في الأخرى • أما في الاشتقاق الأكبر فان تقاليب الأصل الواحد لاتشترك الا في المعنى العام وتبقى لكل كلمة دلالتها الخاصة ، فان القول يدل على الخفة والسرعة لأن الفم واللسان يخفان له ، والقلو هو حمار الوحش

---

(٣٥) الخصائص ٢\١٣٤

(٣٦) المصدر السابق : الموضع نفسه .

وهو مشهور بخفته وسرعته ، ومنه قولهم : (قلوت البسر والسويق) وذلك لأن الشيء اذا قلى جف وخف وكان أسرع الى الحركة وألطف ، والوقل الوعل وتوقل فى الجبل اذا صعد فيه وذلك لايكون الا مع الحركة والاعتمال[٣٧] . وهكذا بقية تقاليب المادة .

وكذلك ينبغي أن نفرق بين الابدال اللغوي وبين ما يطلق عليه بعض الباحثين الاشتقاق من الأصل الثنائي باضافة حرف ثالث للتدرج بالمعنى وتنويعه (كقط ، وقطع ، وقطم ، وقطف) وممن خلط بينهما أحمد فارس الشدياق أيضا فبنى عليه كتابه المذكور آنفا[٣٨] .

٢ ـ رأي علماء العربية فيهما :

يبدو أن الخليل أول من قال بالقلب وتبعه في ذلك سيبويه فقد نقل عنه ذلك في مألك وملأك[٣٩] ، واطمأن واطأمن[٤٠] .

ونقل عنه أيضا أن كلمة (اليمى) في قول الشاعر :

مروان مروان أخو اليوم اليمى

مقلوبة عن اليوم ، وهو يرى أن شاك[٤١] السلاح أصله شائك وأن قسى مقلوب وأصله قووس[٤٢] .

---

(٣٧) الخصائص ١\٥ـ٨ .

(٣٨) ذكر الاستاذ \ السقا في مناقشته لهذا البحث ان أصحاب النظرية الثنائية من لغويي العرب يسمون تكملة الثنائي بحرف ثالث تفئيما ، اي توسعة للكلمة كما يفأم الثوب الضيق ولا يسمونه اشتقاقا .

(٣٩) الكتاب ٢\٣٧٩

(٤٠) المصدر السابق \ الموضع نفسه

(٤١) هكذا في الكتاب والظاهر أن المراد هنا (شاكى السلاح) لأن (شاك) وان كانت بنفس المعنى الا انها كما يبدو ليست مقلوبة لأنها من مادة (شكك) (انظر الصحاح مادة شكك) .

(٤٢) الكتاب ص ١٣٠

واختلف علماء العربية بعدهما فمن مقر له آخذ به ومن مبطل لم يقره • فممن أخذ به الفراء ، وهو يرى أن (جاه) مقلوب عن وجه[٤٣] ، وتابعه في ذلك أبو علي الفارسي[٤٤] ، وقد أقر به أيضا الأصمعي ، وأبو عبيد ، وابن دريد ، وابن فارس[٤٥] والظاهر أن ابا عمر الجرمي لم يكن يقر القلب ، فقد خالف سيبويه في أن (اطمأن) مقلوب وأن أصله (طأمن)[٤٦] •

وممن لم يقروه وعدوه اختلافا فى اللغات ابن درستويه فقد قال في شرح الفصيح كما نقل عنه السيوطي[٤٧] : « في البطيخ لغة أخرى طبيخ بتقديم الطاء وليست عندنا على القلب كما يزعم اللغويون وقد بينا الحجه في ذلك في كتاب ابطال القلب » •

ومذهب الخليل وسيبويه أن (جبذ) و (جذب) ونحوه ليس أحدهما مقلوبا عن الآخر (وكل واحد منهما على حدته لأن ذلك يطرد فيهما في كل معنى ويتصرف الفعل فيه ، وليس هذا بمنزلة ما لا يطرد مما اذا قلبت حروفه عما تكلموا به)[٤٨] • وقد وضح ابن جنى هذا المذهب فقال : « ان كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه ثم أريت أيهما الأصل ، وأيهما الفرع •

وسنذكر وجوه ذلك • فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم : جذب وجبذ ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه ، وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا ، نحو جذب يجذب جذبا فهو جاذب والمفعول

---

(٤٣) الخصائص ٢\٧٦

(٤٤) المصدر السابق \ الموضع نفسه

(٤٥) المزهر ١\٤٧٦

(٤٦) الخصائص ٢\٧٤

(٤٧) المزهر ١\٤٨١

(٤٨) الكتاب ٢\٣٧٩

مجذوب ، وجبذ يجبذ جبذا فهو جابذ والمفعول مجبوذ ، فان جعلت مع هذا أحدهما أصلا لصاحبه فسد ذلك ، لأنك لو فعلته لم يكن احدهما أسعد بهذه الحال من الآخر »[٤٩] وهو يرى أيضا أن اللفظين اذا كانا يتصرفان جميعا وكان أحدهما أكثر اتساعا في التصرف فهو الاصل والآخر مقلوب عنه وذلك كقوله أنى الشيء يأنى وآن يئين فان مقلوب عن أنى لان المصدر قد أتى من (أنى) وهو (الانى) ولم يات من آن وأما (الأين) فليس من هذا وانما هو التعب والاعياء[٥٠] • وهذا رأي عامة البصريين ، أما الكوفيون فقد ذهبوا الى أن في جبد وجذب وأشباههما قلبا كما ذكر ذلك ابن النحاس في شرح المعلقات[٥١] •

ويبدو أن مباحث الابدال جذبت انتباه الباحثين قديما وحديثا أكثر من القلب • وقد اختلفوا فيه وفي شروطه ، فممن أقره وصنف فيه الأصمعي ، وابن السكيت واسم كتابيهما القلب والابدال ، وابو الطيب اللغوي واسم كتابه (الابدال) وجرد له ابن سيده بابا في المخصص وأودع فيه ملاحظات قيمة • وكان يرى أن الابدال ينقسم الى قسمين : قياسي ، وغير قياسي ، فالقياسي ما كان في أحد الحروف الثلاثة عشر وهي:

الهمزة، والتاء، والجيم، والدال، والزاي، والصاد، والطاء، والميم، والنون ، والواو ، والهاء ، والياء ، والألف[٥٢] •

---

(٤٩) الخصائص ٢\٦٩\٧٠
(٥٠) الخصائص ٢\٦٩\٧٠
(٥١) المزهر ١\٤٨١
(٥٢) قال ابو حيان في شرح التسهيل قال شيخنا أبو الحسن بن الصائغ ، قلما تجد حرفا الا وقد جاء فيه البدل الا نادرا ، ولكن ابن مالك في ألفيته جعل الحروف التى تبدل من غيرها ابدالا مطردا شاملا تسعة احرف جمعها في قوله : (احرف الابدال هديت موطيا) وجعل ابدالها من غير هذه الاحرف شاذا او قليلا ، وابو علي في اماليه (١\١٨٦) يقول : ان حروف الابدال عند أهل النحو ١٢ حرفا ، وجعلها ابن سيده في مخصصه ١٣ وغيره ١٤ ، وتساهل صاحب التسهيل فجعل المطردة والشاذة ٢٢ حرفا والمعول على الراي الأول • (من مقدمة الابدال للأستاذ عز الدين التنوخي صفحة ٨) •

ومن الابدال القياسي المعروف في علم الصرف الذي يحدث في صيغة افتعل عندما تكون الفاء صادا أو زايا وغيرهما فتنقلب التاء طاءا أو دالا ، ومنه الاعلال كقلب الواو ياء أو ألفا وقلب الياء ألفا وغير ذلك ، ومن الابدال عنده نطق أصوات بعض الحروف أصواتا تضارعها كما في كلمة مصدر حيث تنطق الصاد قريبة من الزاي • وقد اختلف العلماء في ذلك فلم ير قطرب أنه قياسي وخالفه أبو علي الفارسي (٥٣) •

وأما ما دون ذلك أي ما كان في غير هذه الحروف الثلاثة عشر فانه غير قياسي • والظاهر أن ابن جنى اشترط في الابدال تقارب الحرفين في المخرج وهذا واضح من عنوان الباب الذي تكلم فيه عن الابدال وهو : (باب في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه) • على أن الأصمعي وابن السكيت وأبا الطيب اللغوي لم يعدوا التقارب بين مخارج الحروف شرطا في الابدال ، ولذلك أوردوا في كتبهم من هذا شيئا كثيرا كما سنرى •

ومذهب ابن جنى في أي اللفظين اللذين يقع فيهما الابدال هو الأصل كمذهبه في القلب ، وهو أن اللفظتين اذا كانتا متصرفتين متساويتين في التصرف فهما أصلان ، ومن ذلك : هتنت السماء وهتلت هما أصلان لأنه يقال : هتنت تهتن تهتانا ، وهتلت تهتل تهتالا ، وسحائب هتن ، وهتل • وأما قولهم رجل خامن وخامل فالنون فيه بدل من اللام لأنه أكثر وفعله عليه التصرف فهم يقولون خمل يخمل خمولا (٥٤) •

قلنا أن بعض علماء العربية يرون أن الابدال لايقع الا بين الحرفين المتحدين أو المتقاربين في المخرج ، وممن ذهب هذا المذهب من المحدثين الاستاذ / عز الدين التنوخي (٥٥) • وهو رأي على جانب كبير من

---

(٥٣) المخصص ١٣\٢٧٣ •
(٥٤) الخصائص ٢\٨٣ ، ٨٤
(٥٥) انظر تقديمه لكتاب الابدال ص ٩ ، وانظر البحوث والمحاضرات لمجمع اللغة العربية ص ٢٠٣

الصواب ، على أني أرى أن الأخذ به ونفي الابدال عن الحروف التي لا تتقارب أو تتحد في المخرج قد يوقعنا في شيء من التعسف • فقد يحدث الابدال في حرف فيبدل به حرف آخر يتحد أو يتقارب معه في المخرج ، ثم ينقلب هذا الثاني الى حرف آخر ليس بينه وبين الأول تقارب أو اتحاد في المخرج ، واظن أن هذا حدث فعلا في بعض اللهجات العامية في عصرنا هذا ، ومن ذلك ماحدث في لهجة أهل الموصل في العراق حيث أبدل الراء واوا في مثل (فرصة) و (خرقة) فينطقونهما (قوصة ، وخوقة)[٥٦] • ذلك أن الراء عند أهل الموصل وأهل تكريت في العراق فحمت حتى انقلبت غينا[٥٧] ، فلما جاءت ساكنة بعد القاف والخاء المضمومتين قلبوها واوا لصعوبة نطق الغين بعد القاف والخاء ونحن لو لم نعرف أن الراء قد انقلبت غينا في أكثر كلام أهل الموصل لما استطعنا أن نعرف سبب انقلابها واوا في مثل هاتين الكلمتين ، ومثل هذا كثير •

وكثيرا ما يرى الدارس حين يبحث في آراء القدماء والمحدثين في مشكلة الابدال اختلافا كبيرا كحالهم في كافة مشكلات اللغة ، وهنا نجد أن الباحثين يخلطون بين ما هو لغة خاصة بقبيلة أو مجموعة من القبائل لاختلاف أصوات بعض الحروف عندها ، وبين ما هو شائع عند العرب كلهم أو جلهم ، على أن بعض الكتب اللغوية قد سجلت لنا معلومات قيمة

---

(٥٦) تنطق الواو في هاتين الكلمتين كما تنطق الواو في كلمة يوم باللهجة الدارجة •

(٥٧) الظاهر ان الراء انقلبت غينا في بعض اللهجات العربية القديمة فجاء تسغبل الدرع أي تسربله ومرث الدواء ومغثه والراية والغاية والرواية والغواية • وقد رد الاستاذ \ عز الدين التنوخي (مقدمة الابدال ص ٣٠) ذلك الى لثغة اب القبيلة لعيب في أعضاء نطقه • واكبر الظن انه راجع الى تطور نطق الراء فمن العرب من تفخمه ومنهم من تخففه واظن ان تفخيم الراء يؤدي الى الغين • وقد حدث هذا ايضا عند غير العرب كبعض الفرنسيين والالمان وتخفيف الراء يؤدي الى اللام • وقد وردت كلمات كثيرة بالراء واللام (انظر القلب والابدال لابن السكيت ص ٥٠\٥٣) •

نستطيع أن نستنير بها في دراستنا لتطور الاصوات اللغوية وما وصلت اليه في لهجاتنا العامية اليوم .

والذي أراه انه لا سبيل الى تفهم هذا التطور ومعرفة أصول اللهجات العربية الحديثة الا اذا درسنا الأصوات اللغوية عند مختلف القبائل العربية . واتجاه هذه القبائل في هجرتها الى الأمصار العربية قبل الإسلام وبعده ، ثم دراسة التفاعل اللغوى بين سكان هذه الأقطار من جهة وبين القبائل العربية التى هاجرت اليها من جهة أخرى . وفي ظنى أن معظم الأصوات اللغوية التي نراها في لهجاتنا العامية وليست فى الفصحى التي تتعلمها لها أصول في لهجات القبائل العربية القديمة .

فنحن نجد أن صوت القاف في أكثر اللهجات العامية في عصرنا هذا ينطق بين القاف والكاف ، وقد ذكر ابن فارس في رواية عن ابن دريد أن بني تميم تنطق القاف بهذا الصوت (٥٨) .

وبنو تميم تقلب الجيم ياء فتقول صهرى وصهارى أي صهريج وصهاريج وقال بعضهم شيرة للشجرة (٥٩) . وهذه لهجة بعض سكان الأرياف في جنوبي العراق والكويت حيث يقلبون الجيم ياء فيقولون ديابة للدجاجة .

وبعض سكان صعيد مصر يقلبون الجيم دالا فيقولون فى «جرجا» اسم مدينة هناك « دردا » .

ولو استطاع بعض الباحثين أن يتفرغ لهذا فانه سيوضح لنا بدون شك أصول هذه الأصوات التي نراها في لهجاتنا كالصوت الذي آل اليه القاف في لهجات شمال مصر وبلاد الشام حيث ينطقون همزة .

---

(٥٨) الصاحبي صفحة ٢٥

(٥٩) ابن السكيت : القلب والابدال ص ٢٩

٣ ـ كتب القلب والابدال :

اهتم علماء العربية في القرن الثالث والرابع الهجريين بظاهرة القلب والابدال فافردوا لها أبوابا من موسوعاتهم اللغوية دونوا فيها ما سمعوه وما نقلوه عن شيوخهم من الألفاظ التى وقع فيها القلب والابدال • ومن هؤلاء العلماء أبو عبيد في الغريب المصنف ، وابن دريد في الجمهرة وغيرهما • ومنهم من جرد لها تصانيف خاصة ومن هؤلاء الاصمعي وابن السكيت واسم كتاب كل منهما (القلب والابدال) ، والف في الابدال أيضا أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٩ هـ) واسم كتابه (الابدال المعاقبة والنظائر)[٦٠] وأبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) وكتابه (الابدال) •

أما كتاب ابن السكيت فقد طبع ضمن المجموعة اللغوية التي نشرها أوغست هفنر باسم (الكنز اللغوى) وطبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٠٣ •

٤ ـ عرض الكتاب :

يشتمل المطبوع من هذا الكتاب على أبواب الابدال وبابي الحروف الزائدة والظاهر أن أجزاءا أخرى سقطت منه وهي الاجزاء الخاصة بالقلب كما يدل عليه عنوانه وكما يظهر من بعض الكتب التي نقلت منه • قال الجوهري في الصحاح مادة لجز : (لجز مقلوب لزج قاله ابن السكيت في كتاب القلب والابدال) • وأنشد لابن مقبل :

---

(٦٠) وعد عزالدين التنوخي بتحقيقه ونشره عندما نشر كتاب الابدال لأبي الطيب اللغوي . المقدمة .

يعلون بالمـــرد قـوش الـورد ضاحيـة
علـى سعابيب مـاء الضالـة اللجـــز (٦١)

ويظهر ذلك من قـول السيوطي في تعرضه للكتب التي الفت في القلب قال : (وقد الف ابن السكيت في هـذا النوع كتابا ينقـل عنه صاحب الصحاح) (٦٢) .

صنف ابن السكيت الابدال بحسب الحروف المبدلة وجعله علـى أبواب ، كل باب يشمل الألفاظ التي يبدل أحد حروفها بحرف اخـر ، وعدة هذه الأبواب تسعة وثلاثون بابا ضمن الأخير منهـا ألفاظا مختلفة وسماه : (باب ابدال من حروف مختلفة) .

بدا بباب (النون واللام) : كهتن وهتل (٦٣) ، وكتن وكتل (٦٤) ، ونعاعة ولعاعة (٦٥) .

ويليه باب (الباء والميم) : كبخر ومخر (٦٦) ، وبـا اسمك ومـا اسمك ، وأربد وأرمد (٦٧) .

ثم باب (الميم والنون) : كالأيـم والأين (٦٨) ، وغيـم وغـين ، وآجم وآجن .

---

(٦١) لا توجد هذه العبارة : اعنى (لجز) مقلوب (لزج) فى الجزء المطبـوع من الكتاب أما البيت فقد ورد شاهدا على مادة سعابيب ص ٣٩ الا انه هناك ينتهي ب (اللجن) وشرحها بعد ذلك بانها المتازج مما يدل على ان هذه العبارة مع رواية اخرى للبيت قد سـقطت مـع الجزء الخاص بالقلب .

(٦٢) المزهر ١\٤٦٦

(٦٣) هتن المطر : قطر .

(٦٤) الكتن : الدرن والوسخ ، واثر الدخان في البيت

(٦٥) اللعاعة : الكلأ الخفيف رعى او لم يرع .

(٦٦) بنات بخر ومخر سحائب ياتين قبل الصيف منتصبات رقاق .

(٦٧) أربد وارمد : وهو لون الى الغبرة ، وقيل ارمد من الرماد واربـــد اغبر منـــه .

(٦٨) الايم والاين الحية .

وباب (العين والهمزة) : كآديته وعاديته ، وكثأ وكثع[٦٩] ، وزعاف وزؤاف .

وباب (العين والحاء) : كعفضاج وحفضاج[٧٠] ، وبحثروا وبعثروا ، وحهد وعهد .

وباب (الهاء والهمزة) : كالهير والاير[٧١] ، وأرق وهرق ، واياك وهياك .

وباب (الهاء والحاء) : كمدح ومده ، وكدح وكده ، وقحل وقهل .

وباب (الجيم والياء) : كصهريج وصهري[٧٢] ، وشيرة وشجره ، وجد ومد[٧٣] .

وباب (الخاء والجيم) : كخلع وجلع ، لم يذكر غيرها . وباب (الحاء والجيم) : كحاس وجاس ، وأحم وأجم[٧٤] ، ومحارف ومجارف .

وباب (الخاء والحاء) : كفاخ وفاح ، ومخسول[٧٥] ومحسول ، وخش وحش .

وباب (الغين والخاء) : كغطريف وخطريف[٧٦] ، وزغر وزخر[٧٧] ، وغط وخط[٧٨] .

---

(٦٩) كثأ اللبن اذا ارتفع فوق الماء وصفا الماء من تحته ، أو علا دسمه وخثورته رأسه .
(٧٠) العفضاج : الضخم السمين الرخو .
(٧١) الهير والاير : الريح الشمال .
(٧٢) الصهريج : جمعه صهاريج وهي كالحياض يجمع فيها الماء .
(٧٣) من قولهم لا افعله يد الدهر : اي أبدا .
(٧٤) أجم الأمر واحم : اي حان وقته .
(٧٥) المخسول والمحسول : المرذول .
(٧٦) عنق غطريف وخطريف أي واسع .
(٧٧) زغر الماء وزخر اذا مد .
(٧٨) غط وخط : من الغطيط وهو صوت النائم .

وباب (الهاء والخاء) : كاطرهم واطرخم (٧٩) ، وبخ بخ وبه بـه ، وصخد وصهـد (٨٠) .

وباب (العين والغين) : كعلث وغلث(٨١) ، ووعاه ووغاه ، ووعـل ووغـل (٨٢) .

وباب (الفاء والثاء) : كجدف وجـدث ، وحفالة وحثالة ، واغتف واغتـث (٨٣) .

وباب (الفاء والكاف) : كحسيفـة وحسيكـة (٨٤) ، وحسافـل وحساكل ، وسلفان وسلكان (٨٥) .

وباب (القاف والكاف) : كدمق ودمك (٨٦) ،وامتق وامتك (٨٧) ، وقاتـع وكاتـع .

وباب (الكاف والجيم) : كارتك وارتج ، وسك وسج ، وسيهك وسيهـج (٨٨) .

وباب (السين والثاء) : كالـوطس والـوطث (٨٩) . وفاسـج وفاثج (٩٠) ، وساخ وثاخ (٩١) .

---

(٧٩) اطرخم واطرهم : اشرف وعلا .
(٨٠) صخدته الشمس وصهدته اذا اشتد وقعها عليه .
(٨١) علث وغلث يخلط طعامه ومنها الفليث والعليث الخبز من شعير وحنطة.
(٨٢) يقال مالك عن هذا وعل أو وغل اي ملجأ .
(٨٣) اغتثت الخيل واعتفت اذا أصابت شيء من الربيع .
(٨٤) الحسيفة والحسيكة : الضغن والعداوة .
(٨٥) سلفان وسلكان : أولاد الجمل .
(٨٦) دمق ودمك : دفع في صدره .
(٨٧) امتق ما في ضرع أمه وامتكه اذا شربه .
(٨٨) سيهك وسيهج : الريح الشديدة
(٨٩) الوطس والوطث : الضرب الشديد بالخف .
(٩٠) ناقة فاثج وفاسج : الفتية العشراء
(٩١) ساخت رجله فى الأرض وثاخت دخلت .

وباب (الثاء والذال) : كنبيذة ونبيثة ، وحذحاذ وحثحاث[92] • وقذم وقثم[93] •

وباب (السين والشين) : كجاحس وجاحش[94] ، وسرداح وشرداح[95] ، وجرس وجرش[96] •

وباب (السين والتاء) : كسوس وتوس[97] ، وناس ونات ، وأكياس وأكيات •

وباب (السين والصاد) : كسفق وصفق ، وسخن وصخن ، وأشخس وأشخص •

وباب (السين والزاى) : كشأس وشأز[98] ، وشاسب وشازب[99] ، وخزقة وخسقة •

وباب (الزاي والصاد) : كزمزمة[100] ، وصمصمة ، ونشز ونشص ، وفز وفص •

وباب (التاء والطاء) : كالأقتار والأقطار ، والغلط والغلت ، وطبن وتبن •

وباب (اللام والدال) : كالمعكول والمعكود ، ومعل ومعد[101] ، لم يذكر غيرهما •

وباب (الطاء والدال) : كقطني وقدني ، ومد ومط ، وفقط وفقد •

---

(٩٢) يقال قرب حذحاذ وحثحاث اذا كان سريعا ، والقرب : السير نحو الماء وبينك وبينه ليلة .

(٩٣) يقال قذم له من ماله وقثم : اي اقتطع له قطعة واسعة .

(٩٤) جاحشته وجاحسته اذا زاحمته .

(٩٥) ويقال ناقة سرداح وشرداح في جسمها وعظمها .

(٩٦) جرس وجرش من الليل طائفة منه .

(٩٧) يقال الكرم من توسه ومن سوسه اي من اصله وخليقته .

(٩٨) مكان شاس وشاز صلب غليظ .

(٩٩) الشاسب والشازب : الضامر .

(١٠٠) الزمزمة والصمصمة الجماعة .

(١٠١) معله ومعده : اختلسه .

وباب (الصاد والطاء) : كأملص وأملط ، واعتاط واعتاص [١٠٢] ، ولم يذكر غيرهما .

وباب (الطاء والجيم) : كبط وبج ، وأطم وأجم [١٠٣] ، ولم يذكر غيرهما .

وباب (الصاد والضاد) : كمصص ومضمض ، وضئضيء وصئص [١٠٤] وصاف وضاف .

وباب (اللام والراء) : كالمجلف والمجرف ، والتلاتل والتراتر [١٠٥] ، وأملط وأمرط .

وباب (الدال والتاء) : كالسدى والستى ، ودولة وتولة [١٠٦] ، ومده ومته .

وباب (الدال والذال) : كمدوف وعذوف [١٠٧] ، وأدرعف وأذرعف [١٠٨] ، ودحادح وذحاذح [١٠٩] .

وباب (الهمزة والياء) : كالمعى ويلمعى ، والأرفان واليرقان ، وأندد ويلندد [١١٠] .

وباب (الواو والهمزة) : كأرخ وورخ ، وأكف ووكف [١١١] ، وأبه ووبه .

---

(١٠٢) اعتاطت الناقة واعتاصت رحمها اذا لم تحمل اعواما .
(١٠٣) أطم واجم : كل بيت مربع مسطح .
(١٠٤) الضئضىء والصئصىء : الأصل
(١٠٥) الترترة والتلتلة : تحريك السكران وزعزعته واستنكاهه حتى توجد منه ريح ليعلم ما شرب .
(١٠٦) الدولة والتولة : الداهية .
(١٠٧) ماذاق عدوفا وعذوفا : اي ماذاق شيئا .
(١٠٨) ادرعفت الخيل واذرعفت : اذا أسرعت .
(١٠٩) الدحادح والذحاذح : القصار .
(١١٠) ألندد ويلندد للشديد الخصومة .
(١١١) اكف الدابة ووكفها : شد عليها الوكاف .

وباب (الزاى والذال) : كزبر وذبر [١١٢] . ولم يذكر غيرها .

وباب (حروف المضاعف التي تقلب ياء) : كتظنيت أصله تظننت ، وتقضي أصله تقضض ، وملب من ألبب .

(وباب الواو تقلب تاء وهما في أول الحرف) : كتكلان ووكلان ، وتخم ووخم ، وتقوى ووقوى .

والباب الأخير من الكتاب أفرده كما قلنا للابدال من حروف مختلفة وأورد فيه هذه الألفاظ : عبابيد وعباديد [١١٣] وقاب وقاد [١١٤] . وتريع وتريه [١١٥] ، وهاث وعاث ، وبط وبج ، ونبض ونبذ ، ومرث ومرذ [١١٦] ، وأرمد وأرقد [١١٧] . وهودج وفودج ، وزحاليف وزحاليق [١١٨] ، ووقيذ ووقيظ [١١٩] ، ومختد ومحفد ، ومغص ومأص ، وعكرة وعكدة ، واستوثج واستوثن [١٢٠] ، وهذف وهجف [١٢١] ، واطروري وأظروري [١٢٢] ، ودب ودج ، وجرن ومرن ، وأوشاج وأمشاج ، وتفكه وتفكن ، وشاكل وشاكه ، وسفح وسفك ، وقرطاط وقرطان [١٢٣] ، والصلد والصلب ، وملق وولق ، وساكن وساكر ، والزون والزور ، والمغطمطة ، والمغطغطة [١٢٤] ، وملتك وملتخ [١٢٥] ،

---

(١١٢) زبرت الكتاب وذبرته : كتبته .

(١١٣) عبابيد وعباديد : متفرقون ، وهى من الطرق المختلفة .

(١١٤) قاب رمح وقاد : أي قدر .

(١١٥) تريع وتريه : السحاب اذا جاء وذهب

(١١٦) مرث الخبز ومرذه لينه .

(١١٧) ارمد وارقد : اذا مضى على وجهه .

(١١٨) زحاليف وزحاليق : آثار تزلج الصبيان من فوق الى اسفل .

(١١٩) تركته وقيذا ووقيظا اي ضعيفا .

(١٢٠) استوثج واستوثن اذا اكثر .

(١٢١) الهذف والهجف : الجافي

(١٢٢) اطروري واظروري : انتفخ بطنه .

(١٢٣) القرطاط والقرطان : البردعة .

(١٢٤) المغطمطة والمغطغطة : القدر الشديدة الغليان .

(١٢٥) سكران ملتك وملتخ وهو اليابس من السكر .

واندك واندلح وانساح ، وتاك وفاك[١٢٦] ، وقحر وقحم[١٢٧] ، وغبن وخبن وكبن .

وقبل الباب الأخير بابان أفردهما لما يزاد من الحروف ، الأول : في زيادة الميم آخرا كفسحم[١٢٨] ، وزرقم ، وشدقم . وغشمشم .

والثاني لما تزاد فيه النون : كرعشن[١٢٩] ، وضيفن[١٠] ، وخلبن[١٢١] .

ومن الواضح أن هذين البابين لا يمتان للابدال بصلة .

وهكذا لم يرتب أبوابه على منهج خاص أي لم يأت بها مرتبة حسب التسلسل الهجائي المعروف ولا حسب ترتيب المخارج ، بل أتى بها كيفما اتفق ، وكذلك فعل فى ترتيبه لمواد كل باب . وبينما نراه يفرد بابا لمادة واحدة كباب (الخاء والجيم) حيث لم يورد فيه سوى خلع وجلع ، أو لمادتين كباب (اللام والدال) حيث لم يورد فيه غير المعكوك والمعكود ، والمعل والمعد ، نراه يجمع مواد من أبواب مختلفة في باب واحد وهو الباب الأخير .

ومنهجه في هذا الكتاب لا يختلف عن منهجه في سائر كتبه اللغوية .

وهو كما يبدو لا يشترط في الابدال اتحاد الحرفين في المخرج أو تقاربهما فيه . فقد أفرد أبوابا للميم والنون ، والدال والذال ، والسين والشين ، وكل اثنين من هذه الحروف متباعدان في المخرج .

وابن السكيت هنا ينقل كثيرا عن الشيوخ الذين سبقوه سواء من سمع منهم أو من لم يسمع كالأصمعي ، وأبي عمرو الشيباني وأبى زيد ، واللحيانى ، وابن الأعرابي ، واستشهد كثيرا كعادته بالشعر وبلغ

---

(١٢٦) شيخ تاك وفاك : اذا كان كبيرا فانيا

(١٢٧) القحر والقحم مثل تاك وفاك

(١٢٨) الفسحم : الواسع الصدر

(١٢٩) رعشن : الذي يرتعش

(١٣٠) ضيفن : الذي يأتي مع الضيف

(١٣١) امراة خلبن : اي الخرقاء .

عدد الشواهد ٢٨٧ شاهدا والشعراء الذين استشهد بشعرهم هم •

أبو جهيمة الذهلى ، أبو ذؤيب الهذلي ، أبو زبيد الطائي ، ابو زرعة التيمى ، أبو محمد الاسدى ، أبو محمد الحذلمى ، ابو محمد الفقعسي ، أبو النجم العجلى ، الأخيل (١٣٢) ، الأعلم الهذلي ، الأغلب بن جعشم العجلى ، امرؤ القيس ، مهلهل التغلبى ، اوس بن حجر • تميم بن مقبل ثابت قطنة العتكى ، ثعلبة بن صعير المازنى ، جبيهاء الأشجعى ، جران العود (النميري) ، الحطيئة ، جرير ، جندل بن المثنى الطهوى ، حاتم ابن عبد الله الطائي ، حطائط بن يعفر النهشلى ، حميد بن ثور الهلالى ، حنظلة بن مصبح ، دريد بن الصمة ، ذو الرمة ، ربيعة بن جشم ، ربيعة ابن مقروم الضبى ، رماح بن ميادة البرى ، رؤبة بن العجاج ، زهير ، زياد الاعجم ، زينب بنت أوس ، ساعدة بن جؤية الهذلي ، سهم ابن حنظلة الغنوى ، الشماخ بن ضرار (الغنوى) ، طرفة ، الطرماح ، طفيل الغنوي ، أبو كبير الهذلى ، عبد الله بن الحصين الراعي ، عبيدة الغنوي، العجاج • العجير السلولى ، عدى بن الغدير الغنوى (عطاء بن أسيد) الزفيان (السعدى) عطارد بن قران الحنظلى ، علباء بن أرقم ، علي ابن حسان الكلابى ، عمرو بن أحمر الباهلى ، عمرو بن ربيعة المستوغر ، عمرو بن شأس الاسدى ، عوف بن الجزع التيمي ، الفرزدق ، الحادرة ، القلاخ بن حزن ، قيس بن الخطيم ، كثير (أبو صخر) الكميت ، كناز الجرمى ، لبيد ، مالك بن خالد الخناعى الهذلى، متمم بن نويرة اليربوعى، المنخل الهذلى ، ابن شيبان النميري ، مدرك بن حصن الاسدى، مرداس، المضرب بن كعب ، المعلى بن جمال العبدى ، معن بن أوس المزنى ، الميدان الفقعسي (ميمون بن قيس) الأعشى ، النابغة الذبياني ، نافع

---

(١٣٢) ذكر المرزباني في معجم الشعراء (ص ٥٠) انه الاخيل الطائي ابو المقدام الشاعر المشهور وقال ان ابن الكلبي ذكره في انساب طيء ولم يذكر له شعرا ، وقال المرزباني ايضا انه لم يجد له في اشعار الطائيين ذكرا .

ابن لقيط الاسدى ، نافع بن نفيع (الفقعسي) النعمان بن فضلة العدوى، النمر بن تولب (العكلى) ، نويفع بن نفيع الفقعسي ، هميان بن قحافة السعدي ، يزيد بن خذاق (الشنى) .

هذا فضلا عن شعراء آخرين لم يذكر اسماءهم واكتفي بالاشارة الى أنسابهم كالتغلبي - والأنصارية - والتميمي - والهذلي .

أهميتـــه :

لم تقم حول كتاب ابن السكيت دراسات خاصة الا أن الكتب التي ألفت فى موضوعه فيما بعد أخذت منــه أكثر مادته كما فعل أبــو الطيب اللغوى في كتابه الذى نحا فيه منحاه كما ذكر أبــو العلاء المعري [١٣٣] . واعتمدت كتب المعاجم عليه ونقلوا منه كما فعل الجوهرى وغيره . الا أن لكتاب ابن السكيت ومن قبله كتاب الأصمعى أهمية أخرى أقوى وأعظم فهو في رأينا مع غيره مما ألف في هذا الباب كان اللبنة الأولى في دراسة بعض خصائص العربية الهامة تلك الخصائص التى جذبت انتباه علمــاء القرن الرابع الهجـري كأبى على الفارسي وابــن جنى ، وابــن فارس ، وغيرهم ممن كان لهم الفضل الكبير في دراسة العربية .

ومن تلك الخصائص التي عرفها القرن الرابع الهجرى والتي كان لكتاب ابن السكيت وغيره أكبر الأثر فيها ، تلك النظرية التى قال بهـا أبو علي الفارسي : ومن بعده ابن جنى وهى ما يسميه ابن جنى بالاشتقاق الأكبر ، ونظرية تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني وغيرها مـــن النظريات الهامة في هذا المجـال .

وأكبر الظن أن النقاش الذي احتدم بين اللغويين وفقهاء العربيـة حول حقيقة القلب والابدال وعلاقة الألفاظ التي يقع فيها القلب والابدال قد قاد هؤلاء العلماء شيئا فشيئا الى استكشاف تلك الصلة الخفية بيـن

---

(١٣٣) رسالة الغفران ص : ٥١٢ .

مجاميع من الالفاظ تنتمي كل مجموعة منها الى معنى أساسي تتفق فيه وتختلف في التفاصيل ، وقد سمى المحدثون هذه النظرية نظرية الأصل الثنائي للفظة العربية ، وذهب بعضهم الى أن معظم الألفاظ العربية ذو أصل ثنائي ثم أضيف حرف ثالث ، تصديرا أو حشوا او تذييلا ، لتنويع المعنى او التدرج به • وقد ضربوا على ذلك أمثلة كثيرة كمجموعة الألفاظ التي تدل على القطع ، قالوا أن القاف والطاء يدلان على القطع بصورة عامة ، ثم أضيف الى هذين الحرفين حرف ثالث ربما كان ذيلا لهما كقطع وقطف وربما كان حشوا كقشط •

وأمثلة ذلك أكثر من أن تحصي وهذه النظرية فطن اليها ابن فارس وإن لم يذهب بها الى ما ذهب اليه المحدثون فقد ذهب الى أن المضعف الثنائي كشق ومد وأشباههما أصول لمعان واحدة • أما ابن جنى فقد وضح ذلك في كلامه على (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى) •

ونظرية التصاقب هذه تكاد تكون اجمالا لتلك المناقشات والمناظرات التى قامت حول القلب والابدال وغيرهما من المباحث اللغوية، وقد أجملها ابن جنى في أربعة أضرب •

الأول : اقتراب الأصلين الثلاثيين ، كضياط [١٣٤] وضيطار ، ولوقة وألوقة [١٣٥] ،ورخو ورخود [١٣٦] ، وينجوج وألنجوج (١٣٧) •

والثاني اقتراب الأصلين ، ثلاثيا أحدهما ، ورباعيا صاحبه ، أو رباعيا أحدهما وخماسيا صاحبه ، كدمث ودمثر ، وسبط [١٣٨] وسبطر ، ولؤلؤ ولآل ، والضبغطى ، والضبغطرى [١٣٩] ، ومنه قوله :

---

(١٣٤) الضياط : الرجل الغليظ . والضيطار : الضخم الذي لا غناء عنده .
(١٣٥) اللوقة والالوقة : الزبد ، ويقال الزبد والرطب .
(١٣٦) الرخو : الهش .
(١٣٧) اليلنجوج : عود يتبخر به
(١٣٨) سبط في الجسم حسن القد والاستواء واسد سبطر طويل الوثب وجمال سبطرات طوال على وجه الارض .
(١٣٩) الضبغطى : شيء يفزع به الصبيان .

ومنها التقديم والتأخير فى تقليب الأصول نحو (كلم) و (كمل) و (مكل) ونحو ذلك •

والرابع : أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني من ذلك قول الله سبحانه : « « آلم تر » أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » اي تزعجهم وتقلقهم • فهذا معنى تهزهم هزا ، والهمزة أخت الياء• فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين • وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك [١٤٠] •

وضرب أمثلة أخرى كثيرة على هذا الضرب من التصاقب كالأسف والعسف قال فيهما : (والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها ، والهمزة أقوى من العين ، كما أن أسف النفس ، أغلظ من « التردد » بالعسف فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين) •

ومن التصاقب أيضا في رأيه القرمة هي الفقرة تحز على أنف البعير• وقريب منه قلمت أظفارى ، لأن هذا انتقاص للظفر ، وذلك انتقاص للجلد ، فالراء أخت اللام والعملان متقاربان • ومثله أيضا تركيب (علم) في العلامة والعلم • وقالوا مع ذلك : بيضة عرماء وقطيع أعرم ، اذا كان فيهما سواد وبياض [١٤١] • ومنه العلب : الأثر ، والعلم : الشق في الشفة العليا • فذاك من (علب) وهذا من (علم) والباء أخت الميم [١٤٢] •

وانما قصدنا بايرادنا هذا الى أن القلب والابدال كان لهما أثر كبير في ظهور تلك النظريات قديما وحديثا ، وكان هذان المبحثان هما اللذين فتحا الباب على مصراعيه أمام فقهاء العربية ليدخلوا الى معرفة خصائص

---

(١٤٠) انظر الخصائص ٢\١٤٥ وما بعدها .

(١٤١) الخصائص ٢\١٤٧

(١٤٢) المصدر السابق صفحة ١٤٨

هذه اللغة الكريمة وليكشفوا أسرارها الدفينة • ويبدو أن كتاب ابن السكيت كان عليه المعول في هذه الدراسات فقد عزم ابن جني على شرحه وهو يولف كتابه الخصائص (١٤٣) • وهذا يدلنا على انهم كانوا يفضلونه على كتاب الأصمعي ، ولا غرو فان ابن السكيت حرص في معظم كتبه على الجمع بين اقوال الشيوخ الذين سبقوه وقد نقل في هذا الكتاب كثيرا من كتاب الاصمعي ، وربما استوعبه جميعا •

أثره في كتاب أبي الطيب اللغوى :

الف ابو الطيب اللغوى (١٤٤) كتابه الابدال ونحا به نحو كتاب ابن السكيت كما قال ابو العلاء المعري •

فقد انتهج فيه نفس منهج ابن السكيت الا انه توخى الدقة فقسمه الى ابواب كل باب يختص بحرف من حروف المعجم وسار فيه حسب الترتيب الهجائي المعروف بدا بباب ابدال الهمزة فالباء فالتاء فالثاء فالجيم الى اخره وانتهى بباب أبدال الياء •

وقسم كل باب من هذه الأبواب الى فصول يشمل كل فصل الألفاظ التي يبدل بها الحرف بحرف آخر ، ورتب الفصول أيضا ترتيبا معجميا ، ففي باب التاء وردت هذه الفصول :

التاء والثاء ، التاء والخاء ، التاء والدال ، التاء والذال ، التاء والراء ، التاء والزاي ، التاء والسين ، التاء والصاد ، التاء والطاء ، التاء والعين ، التاء والفاء ، التاء والقاف ، التاء والكاف ، التاء واللام ، التاء والميم ، التاء والنون ، التاء والواو ، التاء والياء •

ولكنه أهمل ترتيب الألفاظ ضمن كل فصل وجاء بها كيفما اتفق ،

---

(١٤٣) المصدر السابق صفحة ٨٨

(١٤٤) هو عبد الواحد بن على ولد في عسكر مكرم وعاش في حلب وكان أحد أئمة العربية في عصره وله كتب كثيرة اشهرها مراتب النحويين وشجر الدر والابدال وقتل اثناء هجوم الروم على حلب سنة ٣٥١ هـ .

ولم يهتم أبو الطيب بتحديد أى اللفظين اللذين يقع فيهما الابدال هو الأصل ، ولذلك أورد كل مجموعة من الألفاظ يتبادل فيهما حرفان في موضع واحد من الكتاب ولم يكررها في أبواب أخرى • فقد جاء بالألفاظ التي يقع فيها ابدال التاء والثاء في فصل التاء ولم يكررها أو لم يأت بغيرها فى باب الثاء •

ومن الواضح أن هذا لا يعني أن الكلمة التي فيها التاء الأصل للتي فيها الثاء وان حرص على تعداد أبدال كل حرف في مقدمة كل باب •

وقد أدى ذلك الى تناقص الفصول كلما تقدمنا في أبواب الكتاب ففى باب أبدال التاء لا نجد فصلى الهمزة والتاء ، والباء والتاء ، لأنهما وردا في بابى الهمزة والباء ، ولذلك لم نجد في باب أبدال الهاء سوى فصلين هما : الهاء والياء ، والهاء والألف ، وفي باب أبدال الياء سوى فصل واحد هو : الياء والألف •

زاد أبو الطيب كثيرا على ما أورده ابن السكيت من الألفاظ التى وقع فيها الابدال ، ويتفق معه في أنه لا يشترط تقارب المخارج أو اتحادها فى الحروف التي يقع فيها الابدال • وبينما نجد الأخير يحرص كل الحرص على رد كل قول لقائله وكل لفظ الى راويه ، كما عهدناه في كتبه الأخرى ، نجد أبا الطيب لا يأبه لذلك ولا يتخذه شرطا لتأليفه • على أن هذا لا يعني أن كتابه خلا من ذكر اللغويين والرواة الذين سبقوه ، بل كثيرا ما كان يذكرهم ويروى عنهم الا أنه لم يبلغ في ذلك مبلغ ابن السكيت •

وخلاصة القول في كتاب ابي الطيب أنه أخذ مادة ابن السكيت وقسمها الى أبواب وفصول وتوخى في ذلك الترتيب المعجمى وأضاف اليها ألفاظا كثيرة وتوسع في ذلك حتى بلغت مادته أضعاف ما أتى به ابن السكيت •

القلب والابدال للشدياق :

أفاد أحمد فارس الشدياق مما كتبه القدماء في القلب والابدال وما استنبطوه من خصائص العربية من الاشتقاق الأكبر وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى ، وغير ذلك من الخصائص وبنى على ذلك كتابه الذى سماه (سر الليال فى القلب والابدال) • وبين أيدينا الآن الجزء الأول منه وينتهى بمادة (ي ح) ومقلوبها (ح ي) •

وكتاب الشدياق مبنى على نظرية الأصل الثنائي للفظة العربية فقد قسمه الى أبواب • بدأ بما ثانية باء وأوله (أب) ولكنه لم يأت بعدها بـ (بب) كما يقتضي ذلك الترتيب الألف بائى ، وانما أعقبها بما يجانس الهمزة وهو (حب) ثم ما يجانس الحاء (خب) ثم ما يجانس الخاء (غب) ثم ما يجانس الغين (هب) ثم يرجع بعد ذلك الى (بب) ويسير على الترتيب الألف بائى فيأتى (تب) و ثب و (جب) و (دب) و (ذب) و (رب) و (زب) و (سب) ••• الخ •

وبعد كل مادة من هذه المواد يأتى بمقلوبها الا (أب) لانها لا تأتى الا مع حرف ثالث ، فبعد (حب) يأتى بمقلوبها (بح) وبعد (خب) بخ وهكذا •

وحين يتسلسل في ذكر هذه المواد لا يعيد منها ما سبق أن ذكره • فعندما يتعرض لما ثانيه تاء مثلا يبدأ بـ (أت) ولكن لا يورد هنا (بت) ومقلوبها لأنه ورد فيما ثانيه باء •

وفي معالجته لكل باب من هذه الأبواب يبدأ بذكر معاني الأصل الثنائي أو المضعف ثم يأتي الى الأجوف الواوى ثم اليائي ويحاول أن يربط بينه وبين الأصل الثنائي من حيث المعنى العام • ثم بعد ذلك يأخذ في سرد الثلاثي مما زيد على الثنائي بحرف من آخره ويتسلسل بالمزيد ابتداء مما كان آخره همزة ثم الباء ثم الثاء ثم الجيم •• الخ • مثال ذلك

مادة (أب) بعد أن شرح معناها أورد الأجوف الواوى منها وهو (أوب) ثم الأجوف اليائى (أيب) ثم خلص الى ما زيد بحرف ثالث من الآخر فجاء بالمواد :

أبت ، أبث ، أبج ، أبد ، .... الخ .

وهو يحاول في شرح كل من هذه المواد أن يرجعها الى المعنى العام لمادة (أب) .

وهكذا يسير على هذا المنهج في عرضه لكل ثنائي (كحب) و(بح).

واعتمد الشدياق في معالجته للأبواب على الفيروزابادي في القاموس المحيط ، وهو يشير اليه بعبارة (قال المصنف) ، وكثيرا ما انتقده ورد عليه (١٤٥) .

ومن الملاحظ أن مذهب الشدياق في القلب والابدال ليس هو مذهب القدماء كابن السكيت وأبى الطيب ، اذ لا يمكن أن تعد الألفاظ من باب القلب والابدال الا اذا اتحدت في المعنى . أما تقليبها واتفاقها في المعنى العام ثم اختلافها بعد ذلك في التفاصيل ، فليس من باب القلب كما ذكرنا وانما هو من باب الاشتقاق الأكبر . وكذلك الألفاظ التي تختلف في حرف واحد لا تعد من باب الابدال الا اذا توفر فيها الشرط نفسه ، وهو اتحادها فى المعنى ، أما اذا لم يكن الأمر كذلك فهي ليس من الابدال في شيء ، ولكن يمكن ارجاعها الى نظرية ابن جني في التصاقب أو الى نظرية الأصل الثنائى عند المحدثين .

---

(١٤٥) انظر الصفحات : (١-٢٣-٤٤-٥٠-١٣٥) .

الفصل الرابع

مصادر ابن السكيت ، ومنهجه اللغوي

ومنزلته بين العلماء

١ ـ مصادر الكوفيين .
٢ ـ منهجهم .
٣ ـ المدرسة البغدادية .
٤ ـ مصادر ابن السكيت .
٥ ـ منهجه اللغوي وطريقته في التأليف .
٦ ـ مصطلحه اللغوي والنحوي .
٧ ـ أصوله وضوابطه .
٨ ـ منزلته العلمية .

الفصل الرابع

مصادر ابن السكيت ، ومنهجه اللغوي

ومنزلته بين العلماء

١ ـ مصادر الكوفيين :

ليس غرضنا فى هذه اللمحة التي نكتبها عن مصادر الكوفيين ومنهجهم التوسع في الكلام عنها والتفصيل في شرحها ، فهذا ليس مجاله هاهنا ، وبخاصة لأن بعض الدارسين قد تفرغوا لهذا الأمر ، وأولوه بحثا وتنقيبا ، واستطاعوا أن يضعوا أيديهم على أهم ما تمتاز به هذه المدرسة من خصائص ، وما تختلف به عن غريمتها مدرسة البصرة من أنها توسعت في مصادرها ، فقبلت من كلام العرب ما لم يقبله البصريون، واعتمدت على النقل والرواية والقراءات أكثر من اعتماد البصريين عليها[1] ، وانما نكتفي باجمال كل ذلك لنستطيع أن نتبين الى أي مدى التزم ابن السكيت بهذه المصادر والى أي حد تقيد بهذه المناهج . على أنه من الواضح ان جل الذين تناولوا مصادر المدرستين ومناهجها ، ان لم يكونوا كلهم ، انما عنوا بذلك مصادر المدرستين ومناهجهما ، في دراسة النحو العربي ، ولم يلتفتوا الى ما يتعلق منها باللغة وروايتها ودراستها الا بالقدر الذي يتصل بدراسة النحو . ولذلك فسنقتصر

---

(١) انظر ماكتبه الدكتور \ مهدي المخزومي في (مدرسة الكوفة) ، والدكتور \ احمد مكي الأنصاري في (ابو زكريا الفراء) .

اهتمامنا هنا على المصادر والمناهج في رواية اللغة مع الاشارة الى ما يتعلق منها بدراسة النحو •

وتتلخص مصادر الكوفيين في رواية اللغة وتدوينها فيما يلي :

١ ــ القرآن الكريم : وغني عن البيان انه أصدق مصدر ، وأوثق مرجع رجع اليه اللغويون والنحويون على السواء ، بصريين كانوا أم كوفيين ، استنبطوا منه القواعد ، واستخرجوا منه الفصيح من اللفظ العربي • وغنى عن البيان أيضا أن القرآن كان أساس الدراسات اللغوية والنحوية ، وتفسيره وتوضيح مشكله كان هو الدافع الأول الذي دفع اللغويين والنحاة وغيرهم من علماء العربية الى جمع أشعار العرب وأدبهم ومشافهة الأعراب ، وتدوين الفصيح من كلامهم كي يستعينوا به على فهم هذا الكتاب العظيم الذي هو دستور حياتهم ، والمصدر الأساسي لتنظيم عباداتهم ومعاملاتهم •

٢ ــ تلك الثروة اللغوية التي نقلها أئمة اللغة البصريون ، من أمثال: الخليل ، والأصمعي ، وأبي زيد ، وأبي عبيدة ، وغيرهم ، فقد عرف عن الكوفيين أنهم كانوا ينقلون أو يروون عن شيوخ مدرسة البصرة ، بل كان بعضهم تلاميذ لبعض أئمة البصرة ، فالكسائي تلميذ للخليل ، والفراء للأخفش ويونس ، وصاحبنا ابن السكيت لأبي نصر صاحب الأصمعي والأثرم ، وكان عامة الكوفيين يحكون عن البصريين •

٣ ــ ولم يكتف الكوفيون بالأخذ عن أئمة مدرسة البصرة والرواية عنهم ، بل تخطوا ذلك ، واتصلوا بالأعراب الذين أخذ عنهم البصريون ، كأعراب البوادي الضاربين في كبد الصحراء من قبائل : قيس ، وتميم ، وأسد ، ثم هزيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين الذين لم يخالطوا الأمم الأخرى ، والذين كانوا على بداوتهم لم تمسسهم الحضارة •

٤ ــ لغات أخرى أبى البصريون الاستشهاد بها ، وهي لهجات عرب الأرياف الذين وثقوا بهم ، كأعراب سواد الكوفة ، من تميم وأسد ،

وأعراب سواد بغداد من الحطمية ، الذين غلط البصريون لغتهم ولحنوها» وكان البصريون يرفضون الأخذ من هؤلاء لاعتقادهم أن الفساد دب في لغاتهم باختلاطهم بالأمم الأخرى ، قال الفارابي في كتاب (الألفاظ والحروف) فيما نقل عنه السيوطي : « الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي من قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب ، والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم • وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فانه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام ، لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة ، وغسان واياد ، لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرؤن بالعبرانية ، ولا من تغلب واليمن ، فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان ، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف ، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم[٢] •

فقد ضيق البصريون على أنفسهم دائرة القبائل التي أخذوا عنها اللغة وحصروها في كبد الصحراء • أما الكوفيون فقد تجاوزوا ذلك ونقلوا عن قبائل أخرى كما أشرنا ، ولذلك قال الرياشي حينما ذكر له (اصلاح المنطق) وهو جالس في سوق الوراقين بالبصرة : « انما أخذنا اللغة من حرشة الضباب وأكله اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة من أهل

(٢) المزهر ١\٢١١\٢١٢

السواد أكلة الكوامخ والشواريز ، وكلام يشبه هذا[٣] » • فقد شكك البصريون في رواية الكوفيين عن الأعراب الذين لم ينقلوا عنهم واتهموهم بأنهم أفسدوا اللغة حينما نقلوا عن هؤلاء ، ومن قبل اتهم البصريون الكسائي بأنه أفسد ما أخذه عن شيوخ البصرة حينما رجع الى بغداد فاتصل بأعراب الحطمية وأخذ عنهم[٤] •

٥ ـ الأمثال والشعر العربي جاهليه واسلاميه ومحدثه حتى ابراهيم بن هرمة الذي توفى في النصف الثاني من القرن الثاني ، وقد اعتمد الكوفيون والبصريون جميعا على الشعر اعتمادا كبيرا ، وعولوا عليه كثيرا فى تغيير قواعدهم ، ويرى بعض الدارسين المحدثين أن ذلك من الأخطاء المنهجية التي وقع فيها القدماء فلم ينتبهوا الى أن للشعر لغته وأساليبه وضروراته بحيث لايمكن الاعتماد عليه كلية في تقعيد القواعد واستنباط القوانين ، بل يجب مراعاة اتساق ماجاء من ذلك في الشعر مع ما روى من الكلام المنثور[٥] •

٦ ـ أما القراءات فقد كانت مصدرا هاما من مصادر الدراسة النحوية عند الكوفيين ؛ ولكن البصريين لم يعتدوا بها ، وحاولوا اخضاعها لأصولهم ، وربما خطأوا بعض القراءات السبعية المعترف بها • ذلك أنهم كانوا يقيسونها على الأعم في اللغة ناسين أن أحدا من القراء لا يفعل ذلك ، وانما يقرأ حسب الأثبت في النقل والرواية ، فالقراءة سنة كما قالوا • الا أن القراءات لا تفيد شيئا في تدوين اللغة وروايتها الا بالقدر الذي تمس فيه اللفظ والنطق ، فاذا استثنينا الأصوات اللغوية فان أكثر ما اختلفت فيه القراءات يتصل بالنحو ، كقراءة ابن عامر مقرىء أهل الشام في قوله تعالى : « وكذلك زين لكثير من

---

(٣) الفهرست صفحة : ٥٨

(٤) اخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي صفحة ٤٤

(٥) انظر كتاب (من اسرار العربية) للدكتور \ ابراهيم أنيس ص ٢٤٨ ، ومدرسة الكوفة ص ٣٨٢ .

المشركين قتل أولادهم شركائهم » بنصب (أولادهم) وخفض (شركائهم). وقراءة حمزة قوله تعالى : « اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » . بخفض (الارحام) . وقراءة ابن عامر أيضا : ولا تتبعان بالنون الخفيفة.

ومما يتعلق بالصرف من القراءات قراءة نافع قوله تعالى : « ولقد مكناكم فى الارض ، وجعلنا لكم فيها معائش قليلا ما تشكرون » بهمز ياء معايش .

ومما يتعلق باللغة من القراءات ، قراءة عبد الرحمن السلمي قوله تعالى : « يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين » بتشديد «يخربون» بينما أجمع كافة القراء السبعة على تخفيفها . وقد تناول الفراء هذه الآية ، وخرج القراءتين ، وصوبهما ، فقال : « كأن يخربون : يهدمون ، ويخربون بالتخفيف : يخربون منها : يتركونها ، ألا ترى أنهم كانوا ينقبون الدار فيعطلونها فهذا معنى « يخربون » والذين قالوا : « يخربون » ذهبوا الى التهديم الذي كان المسلمون يفعلونه ، وكل صواب ، والاجتماع من قراءة القراء أحب الىّ ، ومن ذلك أيضا قراءة الكسائي قوله تعالى : « لم يطمثهن » بضم الميم وكسرها لأن القراء على كسرها ، وأن أصحاب على بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود يقرؤن لم يطمثهن بضم الميم ، وقد كان الكسائي يجمع بين القراءتين لئلا يخرج من هذين الأثرين . وقد قبل الكوفيون كل هذه القراءات واعتمدوها وقاسوا عليها ، أما البصريون فذهبوا في تأويلها كل مذهب وحاولوا اخضاعها لأصولهم حتى اذا عجزوا عن ذلك رفضوها وخطأوا قراءها .

٧ ـ واذا لم يعتمد على الحديث في دراسة النحو لجواز روايته على المعنى ولأن كثيرا من حملته ليسوا عربا فلا يستبعد أن يقع في كلامهم اللحن ، فلم يكن الأمر كذلك بالنسبة للغة اذ لا مجال لابطال الاستشهاد به في روايتها ، اذ أنه وان جازت روايته على المعنى فلم يكن ذلك الا بلفظ عربي . لذلك نجد بعض أئمة الكوفيين لايهملون الحديث

ويستفيدون منه في تثبيت رواياتهم •فعل ذلك الفراء على نحو ما أثبت الدكتور / احمد مكي الأنصارى[٦] ، وفعل ذلك أيضا ابن السكيت كما سنرى •

٢ ـ منهج الكوفيين :

كان للقراءات واشتغال الكوفيين بها واهتمامهم بعلوم القرآن بصورة عامة ـ لكثرة القراء والصحابة الذين اتخذوا من الكوفة موطنا ـ أثر كبير في رسم خطوط منهجهم • فالقراء • كما قلنا لاينظرون الى الأقيس في اللغة بل الى الأثبت فى النقل والرواية لأن القراءة سنة ينقلها الخلف عن السلف، • ولذلك اعتدّ الكوفيون بالقراءات ، وصوبوها ، وقاسوا عليها ، على حين أخضعها البصريون لأصولهم ، وذهبوا في تأويل ما خالف أصولهم منها كل مذهب ، وربما ضعفوا بعض القراءات واتهموا أصحابها بالجهل بأصول العربية ، كما فعلوا حين ردوا قراءة عبد الله بن عامر مقرىء أهل الشام حين قرأ قوله تعالى : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » بنصب (أولادهم) وخفض (شركائهم) وقالوا ان ابن عامر لم يكن يدري ما العربية وانه رأى همزة شركائهم مكتوبة على الياء في مصاحف أهل الشام فقرأها مخفوضة • وكان من أثر هذه القراءات على الكوفيين أن اعتدوا بالمنقول والمسموع من كلام العرب وان كان يخالف الأكثر والأعم ، فقاسوا عليه وبوبوا له • هذا من جهة •

ومن جهة أخرى فقد كانت الكوفة ثغر الصحراء ، فيها تجمعت الارستقراطية العربية ، اذ انتقل اليها كثير من سادة القبائل ورجالاتها ، وتعددت فيها العصبيات القبلية ، فكان ذلك حافزا لرواج سوق الشعر فيها ، والشعر كما نعلم ديوان العرب وفيه مفاخرهم • ولذلك اهتمت كل

---

(٦) أبو زكريا الفراء ص ٤٦٢ .

قبيله بجمع اشعارها • وروايتها ، ونتو ج هذا العمل بما قام به ابو عمرو الشيباني ، حين جمع أشعار هذه القبائل ، شعر كل قبيله في كتاب • أما البصرة فقد كانت ثغرا بحريا ، وممرا تجاريا تمر منه تجاره العراق والشام الى الهند وجنوبي آسيا ، فازدهر فيها العمران ، وتجمعت فيها أقوام عدة ذات ثقافات متنوعة ، ومن هنا كانت عقلية البصرة عقلية متطورة متجددة • أما الكوفة فكانت تمثل الجانب المحافظ بحكم أنها موطن الأرستقراطية العربية(٧) • فنقطة الخلاف الأساسية بين منهج الكوفيين والبصريين هي نظرة كل من المدرستين الى القياس وفهمها له • فعلى حين قصر البصريون القياس على الأكثر والأعم وطرحوا الشاذ ، اعتد الكوفيين به وقاسوا عليه •

وبذلك يمكن تلخيص منهج الكوفيين فيما يلي :

١ ـ أنهم يقيسون على المثال الواحد ويعتدون بالشاذ ، على خلاف البصريين ، فقد قصروا القياس على الأعم والأفشى في اللغة •

٢ ـ وضع الكوفيون نصب أعينهم فهم اللغة وتذوقها دون التأثر بقواعد الفلسفة والمنطق التي سيطرت على فهم البصريين لها • وهذا لا يعني أن الكوفيين لم يتأثروا البتة بقواعد المنطق ، ولم يتفلسفوا في دراستهم اللغة • اذ أن هذا يخالف الحقيقة ، فكثير من الكوفيين كان لهم اتصال بهذه العلوم وأصحابها ، كالفراء ، بل ان الكسائي نفسه تأثر بالنحو البصري الذي تغلب عليه قواعد المنطق والفلسفة ، وانما المقصود من ذلك أن الكوفيين لم يخضعوا في دراسة اللغة ووضع قواعدها لسلطان المنطق والفلسفة •

٣ ـ الأمثلة عند الكوفيين ليست قواعد جامدة لايمكن الخروج عليها ولذلك قبلوا الشاذ والنادر ، على خلاف البصريين حين أخضعوها

---

(٧) انظر حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني للهجرة للدكتور \ يوسف خليف صفحة ٢٤٦ (مخطوطة) .

لأصولهم ، وعندما يتعذر ذلك يؤولونها ويسرفون فى تأويلها ، والا ردّوها الى الشاذ والنادر الذي يحفظ في مذهبهم ولا يقاس عليه .

وهكذا يكون فهم القياس هو نقطة الاختلاف الاساسية بين منهج الكوفيين والبصريين ، فالبصريون كما قلنا يقيسون على الأعم والأفشى ، ويحاولون أن يوفقوا بين مقاييسهم وقواعد المنطق ، فأخضعوا اللغة للعقل ومنطقه ناسين أنها ليست الا أداة له ولا تخضع بالضرورة لقواعده .

٢ ـ المدرسة البغدادية :

من المعلوم أن مدرسة البصرة سبقت مدرسة الكوفة في الاشتغال بعلوم اللغة العربية ، فقد حتمت ذلك بيئة البصرة واختلاط العرب فيها بالأمم الأخرى كالفرس والهنود ، وكون البصرة ثغر العراق وممر تجارته البحرية ، مما أدى الى التأثر السريع بحضارة هذه الأمم فشاعت فلسفة الهند وعلوم الفرس بين أهل البصرة ، فترك ذلك أثرا كبيرا في نشأة العلوم المختلفة فيها . ولعل كثرة الموالي وأبناء الأمم الأخرى التي لا تنطق بالعربية في هذه المدينة أدى الى ظهور اللحن فيها قبل الكوفة ، فنشأت الحاجة الى استقراء اللغة ووضع قواعدها أضف الى ذلك أن غير العرب كانوا أكثر اهتماما بدراسة اللغة ووضع قواعدها لحاجتهم الى تعلم لغة غريبة عليهم ، في حين أن العرب يتلقونها من أفواه آبائهم وأمهاتهم وأبناء جلدتهم فلا حاجة بهم في بادىء الأمر الى تلك القواعد والأصول .

أما المدرسة البغدادية ، فقد نشأت في وقت متأخر بعد أن رحل اليها علماء هذين المصرين وطال احتكاكهم بها ، وتلمذ لهم جيل جديد من العلماء والدارسين الذين جمعوا بين أهم خصائص المدرستين . فالمدرسة البغدادية اذن تقوم على أساس الانتخاب من مدرستى الكوفة والبصرة .

ولكن متى نشأت هذه المدرسة ؟ وعلى يد من ؟

سؤالان لابد من طرحهما ، ولا مناص من الاجابة عنهما • أما القدماء كابن النديم فيقولون أنها نشأت بظهور الجيل الثاني بعد الكسائي ، والفراء ، من الكوفيين ، وأبي زيد ، والأصمعي ، وأبي عبيدة من البصريين •

فالجيل الأول الذي تلمذ لهؤلاء الشيوخ احتفظ بانتمائه الى احدى هاتين المدرستين • ولكن سرعان مانشأ بعده جيل آخر جمع بين المذهبين وكان على رأسه ابن قتيبة ، وأبو حنيفة الدينوري •

على ان بعض الباحثين المحدثين أثار الشكوك حول هذه الحقيقة التي ذكرها ابن النديم وغيره ثم زعم أن المدرسة البغدادية نشأت على يدى هذا الشيخ العظيم • وبنى رأيه هذا على أنه اجتمعت في الفراء خصائص المدرستين ، فهو ينزع أحيانا نحو الكوفيين فيتحاشى التقدير أحيانا ، ويتجلى ذلك فى أعراب (أحد) من قوله تعالى : (وان أحد من المشركين استجارك فأجره) ، ويقيس أحيانا على الشاهد الواحد مثل قونهم (مافعلت خمسة عشرك) بالاضافة ، فقد اتخذه أساسا حين أجاز اعراب العدد المركب اذا اضيف ، وجعله قياسا مطردا ، ويبتعد عن منهج الفلاسفة والمتكلمين أحيانا ، وذلك حينما قال بترافع المبتدأ والخبر لأن الترافع يؤدي عندهم الى الدور ، والدور محال • وينزع أحيانا نحو البصريين فيلجأ الى التقدير حين قدر مبتدأ لاحاجة للكلام به عندما عرب قوله تعالى : (انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا ، عربا أترابا ، لأصحاب اليمين) فقال : « وقوله لأصحاب اليمين أي هذا لأصحاب اليمين » ولايقيس على الشاهد الواحد ، بل لا يعتد بالسماع ، ولو تعدد في كثير من الأحيان برغم أنه هو الذي سمعه بنفسه ، وهو ينتهج منهج الفلاسفة والمتكلمين ، فيعتد بالقياس ، فكان يقيس جمعا على جمع ولا يشترط السماع ، كما رأيناه « يقيس فُعَلاء (بضم ففتح) في

مثل هذا (أي مثل جَوْزة ، وثَوْبة) ، وغيره يقول أنه سماعي » ، وكان يميل الى الضبط والتقعيد ، وأخيرا تخطئه العرب وبعض القراءات السبعية •

فقد قال في كتاب المعانى : « وربما غلط الشاعر فيذهب الى المعنى فيقول : أأنت ضاربنى (بالنون) ، يتوهم أنه أراد هل تضربنى ، فيكون ذلك على غير صحة ، قال الشاعر :

وما أدرى وظني كل ظن — أمسلمني الى قوم شراح

يريد شراحيل ، ولم يقل أمسلمى وهو وجه الكلام •

وقال آخر :

هم القائلون الخير والفاعلونه — اذا ماخشوا من محدث الأمر معظما

ولم يقل الفاعلوه وهو وجه الكلام • أما في تخطئة القراء فقد ضرب له بعض الأمثلة مما خطأ فيه بعض القراءات غير السبعية ، أما في القراءات السبعية فلم يجد له قولا في تخطئتها فى كتابه المعاني وانما وجد ذلك في (خزانة الأدب) فقد نسب فيها الى الفراء أنه خطأ قراءة حمزة قوله تعالى : (ما أنتم بمصرخي) بخفض الياء •

تلك هي الحجج التى دفعت الدكتور الأنصاري الى القول بأن الفراء خرج عن المدرسة الكوفية ، وأسس مذهبا جديدا ، هو المذهب البغدادي الذي يقوم على أساس انتخابي ، وقد ذكرناها هنا باختصار[٨] •

---

(٨) انظر ذلك بالتفصيل فى كتابه (أبو زكريا الفراء) ص ٣٧٧ وما بعدها •

وهو قول خطير ، لانستطيع ان نغضي عنه ، ونحن ندرس ابن السكيت ، لأن القول بأن الفراء مؤسس مدرسه بعداد يودي الى القول بأن ابن السكيت نفسه وغيره من تلامذة الفراء كانوا ايضا بغداديين ، بل اننا نصل بعد ذلك الى النتيجة التي وصل اليها بعض المستشرقين من أمثال (فايل) في مقدمة الأنصاف ، ومترجم (ثعلب) في دائرة المعارف الاسلامية ، وغيرهما ممن ذهبوا الى انكار وجود مدرسة الكوفة البتة ، ذلك آن الفراء كان قدوة لمن جاء بعده ممن عرف بانتمائه لمدرسه الكوفة، وخاصة ثعلب الذي عرف عنه أنه درس كتب الفراء وحفظها ، وخاصة كتاب الحدود ولما يتجاوز السادسة عشرة سنة من عمره ، وكانت اراؤه — أعني آراء الفراء — عمدة ثعلب في معظم ماذهب اليه ومن العريب ان الدكتور الأنصاري رفض ما ذهب اليه (فايل) ومن تابعه من المستشرقين رفضا باتا .

واذا لم يكن الفراء كوفيا على رأي الدكتور الأنصاري واذا لم يكن أبو جعفر الرواسي ومن فى طبقته كوفيين على رأي الدكتور مهدي المخزومي[٩] ، فمن الذي يبقى بعد ذلك في هذه المدرسة ؟ .

على أننا لو فحصنا ما زعمه الدكتور / الأنصاري من أن الفراء كانت تبدو عليه النزعة البصرية لوجدنا أن الكسائي نفسه يشاركه في كثير منها ، فقد كانت آراء الكسائي نقلة كبيرة من مجرد الاعتماد على الرواية والنقل ، الى القياس والضبط والتقعيد ، ويروون له هذا البيت الذي يدل على أخذه بالقياس واعتماده عليه :

انما النحو قياس يتبع ‍ ‍ ‍ وبه فى كل علم ينتفع[١٠]

---

(٩) يرى الدكتور المخزومي انمدرسة الكوفة تبدأ بالكسائي والفراء ، وان من في طبقة معاذ الهراء وأبي جعفر الرؤاسي ليسوا كوفيين بالمعنى الصحيح . (مدرسة الكوفة ص ٩٥ وما بعدها)

(١٠) تاريخ بغداد ١١\١٢

فهل يعني ذلك أن الكسائي كان هو الآخر مؤسسا للمدرسة البغدادية ؟

لقد درس الكسائي ، وغيره من الكوفيين على شيوخ مدرسة البصرة ، فقد اتصل هو بالخليل ، واتصل الفراء بيونس ، والأخفش الأوسط •

فهل يعني هذا أنهما خرجا عن كوفيتهما ؟

الواقع أن أكثر رجال مدرسة الكوفة جمعوا بين تلمذتهم لشيوخهم الكوفيين ، وتلمذتهم لشيوخ بصريين ، وهذا معلوم لدى القدماء أنفسهم •

ونقف الآن عند مظاهر النزعة البصرية التي زعم الدكتور الأنصاري أنه وجدها عند الفراء •

أما أن الفراء لجأ الى التقدير والتأويل فهذا واضح من المثال الذي أورده الدكتور / الأنصاري ، ولكن من قال أن الكوفيين امتنعوا عن التقدير والتأويل البتة ؟ غاية ما في الأمر ان الكوفيين لم يتخذوا من التقدير والتأويل عمادا لتقعيد قواعدهم ، والقياس عليها وليس اتفاق الفراء في مثال أو مثالين مع البصريين دليلا على أنه يؤسس مذهبا جديدا • والا فالأجدر بنا أن نعد يونس بن حبيب مثلا رأسا لمدرسة الكوفة ، لأن كثيرا من آرائه يوافق آراءهم • فقد ذكره أبو البركات الأنباري في خمس مسائل من ثمان ورد فيها اسمه الى جانب الكوفيين ، واذا تجاوزنا يونس بن حبيب وغيره ، فان كثيرا من شيوخ مدرسة البصرة المتعصبين لها وجدت لهم آراء تتفق مع آراء الكوفيين ، فهذا المبرد الذي لا يستطيع أحد أن يشك في بصريته يوافق الكوفيين على أن (كما) قد تأتي بمعنى (كيما) فتنصب الفعل المضارع بعدها[11] •

---

(11) الانصاف ص ٣٤٣

فهل يستطيع مدع أن يدعي آن في المبرد نزعة كوفية ؟

وما قلناه عن أخذ الفراء بالتقدير والتأويل يصدق على الأمور الأخرى ، كعزوفه عن القياس على الشاهد الواحد •

أما اتهاجه منهج الفلاسفة والمتكلمين ، ففي رأيي أن ذلك كان طبيعيا من رجل اتصل بالمعتزلة في شخص شيخهم ثمامة ، فروح العصر كانت تفرض عليه ذلك فقد وجد نفسه في بلاط المأمون الذي قرب المعتزلة ، وفتح الباب على مصراعيه للمتكلمين والمتفلسفين •

أما ان الفراء كان قياسا فلم يكن وحيدا في ذلك بين الكوفيين ، بل شاركه فيه كثير من الكوفيين ، ولم يكن وحده أيضا ميالا الى الضبط والتقعيد ، ولا أظن أن أحدا ادعى ان الكوفيين لم يضعوا الضوابط والقواعد التي تضبط بها اللغة والا لما كان هناك نحو كوفي ، اذ كيف يفهم ان للكوفيين نحوا بغير ضوابط أو قواعد ؟

أما التهجم على القراءات السبع فما أظن أن الفراء فعل ذلك ، واذا كان قد رد بعض القراءات غير السبعية فهذا لا يعني أنه لا يعتد بالقراءات • أما أنه خطأ حمزة فهذا ما لا يمكن قبوله لأنه غير وارد في مكانه من كتاب المعاني ، كما أثبت الدكتور الانصاري نفسه ، فالاعتماد على ما أورده صاحب (الخزانة) وحده لا يكفي ، وخاصة اذا علمنا أن بين صاحب (الخزانة) وبين الفراء زمنا شاسعا يزيد على تسعة قرون • فلا سبيل الى الأخذ بقوله • وكيف يفعل الفراء ذلك وهو الذي أبى على نفسه تخطئة الكتاب ، فقد عقب على قول عائشة حين ذكرت أن بعض الحروف في القرآن كقوله تعالى : (ان هذان لساحران من خطأ الكتاب فقال : (ولست أشتهي أن أخالف الكتاب[١٢]) • وقد أثبت الدكتور الأنصاري نفسه هذا[١٣] • أفيمكن لمن لا يأخذ بقول زوج النبي لأنه يتورع تخطئة الكتاب ، أن يخطىء أحد القراء السبعة ؟

---

(١٢) معاني القرآن ورقة ١١٢

(١٣) انظر ص ٨٥

وبعد ، فهل يصح بعد هذا أن نظن أن الفراء جنح عن مدرسة الكوفة وأسس مذهبا هو المذهب البغدادي ؟

يبدو أن مفهوم المدرسة لدى بعض الباحثين لا يتخذ مدلوله الصحيح فهم يظنون أنها مجموعة من القوالب لا يمكن لأحد أفرادها ان يخرج عنها • هذا المفهوم لو طبقناه على أفراد مدرسة الكوفة فلن يثبت لدينا بعد أن هناك مدرسة اسمها مدرسة الكوفة • بل اننا نخرج بنفس النتيجة لو طبقناه على شيوخ مدرسة البصرة •

واذا انتفى لدينا ان الفراء نزع الى تأسيس مدرسة جديدة ، فما هو موقفه بين الكوفيين ؟ وأسارع فأجيب انه كان نقطة انتقال كبيرة في تاريخ هذه المدرسة ، ولولاه لما استطاعت هذه المدرسة ان تقف على أرجلها ، ولذلك نجد من جاء بعده من الكوفيين يعتدون بآرائه ، ويلتزمون بها ، وهذا واضح عند ثعلب • وأنا لا أشك أيضا في أن ابن السكيت وغيره ممن هم في طبقته كانوا كوفيين ، على أني أسارع فأقول أنهم كانوا يحملون بذور المدرسة البغدادية التي بدت واضحة في الجيل الذي تلاهم • فهذا طبيعي في جيل عاش في بيئة تختلف كل الاختلاف عن بيئتي الكوفة والبصرة ، وتلمذ لشيوخ المدرستين • وهكذا فقد كان ظهور المدرسة البغدادية عند ابن قتيبة ، وأبي حنيفة الدينوري شيئا طبيعيا لا نستطيع نكرانه •

ولنعد الآن الى صاحبنا ابن السكيت ، لندرس مصادره ومنهجه على ضوء دراستنا لمصادر الكوفيين ، ومناهجهم ، ولنرى الى أي مدى ينطبق ذلك عليه •

٤ ـ مصادر ابن السكيت :

استفاد ابن السكيت الى حد بعيد من المصادر التي اعتمد عليها الكوفيون بصورة عامة ، فنهل من القرآن الكريم ، ومن الأعراب الفصحاء ، ومما رواه البصريون ومن الشعر والأمثال التي رويت عن الجاهليين والاسلاميين ، واستفاد أيضا من القراءات والحديث • ويتجلى ذلك في كتبه اللغوية الأربعة التي وصلت الينا وهي : (الاصلاح ، والألفاظ ، والاضداد ، والقلب والابدال) • ولنتبين ذلك بالتفصيل ، فندرس مصادره واحدا بعد الآخر مطبقين كل ذلك على ما جاء في كتبه :

أولا ــ القرآن الكريم : كان القرآن الكريم كما قلنا المعتمد الأول للكوفيين في تدوين اللغة وجمعها ، وكان الحافز الأساسي الذى دفع الى دراستها ، واستنباط قواعدها • وقد استفاد ابن السكيت كغيره من الكوفيين والبصريين ، من القرآن • وضمن غريبه في كتبه ، بل خصص له مصنفا شرح فيه الغريب من ألفاظه وفيما يلي بعض النماذج التي تبين لنا كيف استفاد ابن السكيت من هذا المصدر :

أ ــ قال في (الباب الأول) من (اصلاح المنطق) : الوَقر : الثقل في الأذن، من قول الله تبارك وتعالى : (وفي آذاننا وقر) ثم قال والوِقر الثقل يحمل على رأس أو على ظهر ، من قوله تبارك وتعالى : (فالحاملات وقرا) وقال في نفس الباب ، والشق : نصف الشيء ، والشِق أيضا : المشقة • قال الله تبارك وتعالى (الابشق الأنفس) وقال أيضا : الذِبح : ما ذبح ، قال الله عز وجل : (وفديناه بِذبح عظيم) • وقال : الريع : المرتفع من الأرض ، من قوله تعالى : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) • وقال : القِطع : الطائفة من الليل ، من قول الله تعالى : (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ، وقال في الباب الثالث وهو باب (فَعْل وفَعَل باختلاف معنى):

النفَش : أن تنتشر الابل بالليل فترعى • وقد أنفشتها اذا أرسلتها بالليل ترعى بلا راع ، وهي ابل نَفاش • قال الله عز وجل : (اذ نفشت فيه غنم القوم) • وقال : السلق : شدة الصوت • قال الله جل ثناؤه : (سلقوكم بألسنة حداد) ، وقال أيضا : الحرْد : القصد ، يقال حرد حرده اذا قصد قصده ، قال الله عز وجل : (وغدوا على حرد قادرين) •

وقال في باب (ما يتكلم فيه بأفعلت مما يتكلم فيه العامة بفعلت) : ويقال قد أقرن له اذا أطاقه ، قال الله عزوجل : (وما كنا له مقرنين) • وقال في هذا الباب أيضا : ويقال : قد أحصره المرض ، اذا منعه من السفر ، أو من حاجة يريدها ، قال الله عز وجل : (فان احصرتم) • وقال أيضا : أكننت الشيء اذا سترته • قال الله عز وجل : (أو أكننتم في أنفسكم) وقد كننته اذا صنته • قال الله عز وجل : (كأنهن بيض مكنون) • وقال أيضا : وقد حسبت الشيء أحسبه حسابا وحسبانا وحسبة • قال الله عز وجل : (والشمس والقمر بحسبان) أي بحساب •

ونجتزيء بهذه النماذج مما استشهد به ابن السكيت بالقرآن الكريم في اصلاح المنطق ، فلا سبيل الى ايراد كل شواهده القرآنية هاهنا لأنها كثيرة جدا •

ب ـ ويبدو ابن السكيت أقل استشهادا بالقرآن في كتاب الألفاظ منه في الاصلاح ولعل ذلك راجع الى أنه يعنى في كتاب الألفاظ بالغريب أكثر من غيره ومما استشهد به في هذا الكتاب من القرآن الكريم في باب (صفة الليل) قوله تعالى : (بالغدو والآصال) أورده ابن السكيت على أن (أصيل) يجمع على أفعال •

وقال في باب الاضطرار والاكراه على الشيء : ويقال « اجاءك » في مكان « أشاءك » وقد أحرجه اليه احراجا • قال الله عز وجل : (فاجاءها المخاض الى جذع نخلة) أي الجأها • وقال في باب (قطع الأمر) : قال

الله عز ذكره : (فقضاهن سبع سماوات في يومين) أي فرغ من خلقهن• وقال الله (فاقض ما انت قاض) أي اصنع ما أنت صانع • وقال في باب (الاتفاق والصلح) الرَتق الجمع بين الشيئين قال الله عز ذكره : (أو لم ير الذين كفروا آن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) • وقال في باب (الطعام الذي تعالجه الاعراب) : والبس : الخلط ، ومنه قول الله تعالى : (وبست الجبال بسا) أي دققت •

جـ ـ وفي كتاب (الأضداد استشهد بالقرآن الكريم على أحد المعنيين المتضادين أو على كليهما • فمن ذلك قوله في مادة (أقوى) : المقوى الذى لا زاد معه ، ولا مال عنده وكذلك الدار التي قد أقوت من أهلها ، قال الله تبارك وتعالى (ومتاعا للمقوين) •

وقال في مادة (سجر) : المسجور المملوء ، والمسجور الفارغ ، قال الله عز وجل (واذا البحار سجرت) أي فرغ بعضها ، وقال في مادة (قسط) : وقسط جار وقسط عدل ، وأقسط بالألف عدل لا غير ، قال الله عز وجل : (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين وقال : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) أي الجائرون ، وفي مادة (خفى) : ورد قوله : وأخفيت الشيء كتمته ، وأخفيته أظهرته • وفي القرآن : (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أي أظهرها • وقال فى مادة (رجا) : ويقال : ما رجوت فلانا أي ما أملته ، وما رجوته أي ما خفته ، قال الله عز وجل : (ما لكم لا ترجون لله وقارا) أي لا تخافون لله عظمة • وقال في مادة (شرى) : ويقال : شريت الشيء بعته ، وشريت الشيء اشتريته ، قال الله عز وجل : (ومن الناس من يشرى نفسه) أي يبيعها • والاستشهاد بالقرآن الكريم في هذا الكتاب كثير أيضا ، وهو وارد في معظم مواد الأضداد • ونجتزيء بما أوردناه ففيه البيان •

د ـ ويقل استشهاده بالقرآن الكريم أيضا في كتاب (القلب والابدال) ولعل ذلك راجع الى طبيعة المادة التي أوردها في هذا الكتاب

فقد اورد فيه المترادف من الألفاظ مما يختلف في أحد حروفه ، وقلما يرد مثل هذا في القرآن الكريم • ومن تلك الاستشهادات القرآنية القليلة التي وردت في هذا الكتاب ، قوله في باب الخاء والحاء » : ويقال : هو ينحوف مالي ويتخوفه اي يتنقصه ، ويأخذ من أطرافه ، قال الله عز وجل : (آو يأخذهم على تخوف) أي تنقص • وفي باب (الصاد والضاد): قوله : يقال ما ينوص لحاجة وما يقدر على أن ينوص أي يتحرك لشيء • ومنه قوله تعالى : (ولات حين مناص) •

وقال في باب (حروف المضاعف التي تقلب الى الياء) : قال : وقول الله عز وجل (وقد خاب من دساها) انما هو دسيت ، قال : وسمعت أبا عمرو الشيباني يقول : قوله تعالى : (لم يتسن) أي لم يتغير ، وهو من قوله تعالى : (من حمأ مسنون) أي متغير ، وقال ليس قوله عز وجل (من ماء غير آسن) أي غير متغير منه •

ثانيا : واستقى ابن السكيت في كتبه من تلك الثروة اللغوية الضخمة التي رواها أئمة اللغة البصريون والكوفيون • وهذه الثروة اللغوية التي نقلها ابن السكيت عن الشيوخ الذين سبقوه هي أكبر مصادره على الاطلاق واليك البيان :

أ ـ يحكى ابن السكيت كما عرف عنه لدى القدماء عن البصرين ، ممن لم يأخذ عنهم كالأصمعي ، وأبى عبيدة ، وأبى زيد ، ويونس بن حبيب •

١ ـ أما الأصمعي فيحكى عنه بكثرة ، ويفوق ما رواه عنه ، ما رواه عن الشيوخ الآخرين كوفيين كانوا أم بصرين ، ففى (الاصلاح) وحده ورد اسمه في مائة وخمس عشرة صفحة من عدد صفحات الكتاب وهي ٤٣٤ ، ولا يضاهيه فى هذا أحد ممن روى عنهم في هذا الكتاب • ويبدو أن كتب الأصمعى كانت عمدته في بعض تصانيفه • فكتاب الألفاظ زاخر أيضا بمارواه عنه وكتابا الأضداد والقلب والابدال بنيا على كتابيه كما يبدو ولايكاد باب من أبواب القلب والابدال يخلو مما ذكره

الأصمعي ، ونحن نعلم أن ابن السكيت تتلمذ لصاحب الأصمعي أبي نصر وتلميذه الاثـرم •

٢ ـ ويلي الأصمعي أبو عبيدة في كثرة ما يروى عنه ابن السكيت ، فهو كالأصمعي لا يكاد يخلـو باب من أبواب اصـلاح المنطق والألفاظ والقلب والابدال من رواياته وقد اعتمد ابن السكيت أيضا على كتابه في الأضداد ، فهو يروى عنه كثيرا ويسند اليه مواد بأكملها • وورد اسمه في احدى وسبعين صفحة من (اصلاح المنطق) • وطريق ابن السكيت الى أبي عبيدة أبو نصر والأثـرم أيضـا •

٣ ـ ويليهما أبو زيد فقد ورد اسمه في اثنتين واربعين صفحة مـن (اصلاح المنطق) • ولايكاد يخلو باب من ابواب اصلاح المنطق وكذلك الألفاظ ، والقلب والابدال من رواياته ، ويتردد اسمه في كثير مـن مواد الأضـداد •

٤ ـ ثم يأتى بعد هؤلاء الثلاثة يونس بن حبيب ، فقـد ذكر فى احدى وعشرين صفحة مـن الاصلاح ، ويونس بن حبيب هـو أحد البصريين المقربين الى الكوفيين ، أخذ عنه الكسائي والفراء ، ولـه آراء في النحو توافق آراء الكوفيين كما أشرنا سابقا •

ويحكى ابن السكيت عن بصريين آخرين كأبي عمرو بـن العلاء ، ويروى أحيانا عن الأثـرم •

ب ـ ويروي أو يحكى عـن شيوخ مدرسة الكوفة كأبي عمـرو الشيبانى ، والكسائي ، والفراء واللحيانى ، وابن الاعرابي •

١ ـ أما أبو عمرو الشيباني فقد تلمذ له ابن السكيت منذ صغره حتى مات ، وقد ذكره في (اصلاح المنطق) في مائـة وعشـر صفحات ، ويتردد اسمه كثيرا في كتبه الأخرى ، فلا يكاد يخلو باب مـن أبواب

الألفاظ ، والقلب والابدال ، والأضداد من رواية له ، وكثيرا ما يشير اليه ابن السكيت بكنيته فيقول : قال لى ، أو سمعت أو حدثني أبو عمرو •

٢ ــ ويأتي الفراء بعد أبي عمرو ، فقد ورد ذكره في ثمان وتسعين صفحة من (الاصلاح) • والفراء عمدة ابن السكيت في المسائل النحوية واللغوية ، فاذا تعرض ابن السكيت لمسألة نحوية فى (الاصلاح) أو غيره من كتبه فانما ينقل في الأغلب عن الفراء ، وربما أشار الى ذلك صراحة ، وربما لم يشر ولكننا نستطيع أن نقول أنها للفراء ، وخاصة في استعماله لمصطلحه النحوي ، واليك بعض الأمثلة :

أ ــ نقل رأي الفراء في كسر الحاء وقلب الواو ياء في حير ، من قول الشاعر :

أزمان عيناء سرور السرور
عيناء حوراء من العين الحير

فقال : « قال الفراء : انما قيل الحير لمكان العين ، كما قالوا : « انى لآتية بالغدايا والعشايا » ، والغداة لا يجمع (على) غدايا [١٤] » •

ب ــ ونقل رأيه في كسر ميم مِفعل فى بعض الكلمات استثقالا الضمة قال : « قال الفراء : وقد استثقلت العرب الضمة في حروف فكسرت ميمها وأصلها الضم من ذلك : مِصحف ، ومِخدع ، ومِطرف ، ومِغزل ، ومِجسد ، لأنها في المعنى مأخوذة من أصحف : جمعت فيه الصحف ، وأطرف : جعل في طرفيه العلمان ، وأجسد : ألصق بالجسد ، وكذلك المغزل انما هو أدير وفتل [١٥] » •

جـ ــ ونقل عنه بعض ضوابطه ، من ذلك ما جاء في باب (مَفعَل ومَفعِل) قال :

---

(١٤) الاصلاح ص ٣٧
(١٥) المصدر السابق ص ١٢٠

« قال الفراء : كل ما كان على فَعَل يفعَل فالمفعـــل منـه اذا أردت الاسم مكسور ، واذا أردت المصدر فهو المفعَل بفتح العين ، نحو المدب والمدب ، والمفر والمفر . فاذا كان مفعل مفتوح العين آثرت العرب فيه مفعَل بفتح العين ، اسما كان أو مصدرا . وربما كسروا العـين في مفعل اذا أرادوا به الاسم ، وليس بالكثير ، فاذا كان مفعل مضموم مثل دخل يدخل ، وخرج يخرج ، آثرت العرب فى الاسم والمصدر فتح العين ، قالوا : دخل يدخل مدخلا وهذا مدخله ، وخرج يخرج مخرجا ، وهـذا مخرجه ، الا أحرفا من الأسماء ألزموها كسر العين ، من ذلك المسجد ، المطلع والمغرب ، والمشرق ، والمسقط ، والمفرق ، والمجزر ، والمسكن ، والمرفق ، من رفق يرفق ، والمنبت ، والمنسك ، من نسك ينسك ، فجعلوا الكسر علامة للاسم ، وربما فتحه بعض العرب في الاسـم ، وقـد روى مـسكن ومسكن قال وسمعت المسجد والمسجد ، والمطلع والمطلع ، والفتح في هذا كله جائز وان لم نسمعه . وما كان من ذوات الواو والياء مـــن دعوت ، وقضيت فالمفعل منه مفتوح اســـا كان أو مصدرا ، الا مأقى العين ، فان العرب كسرت هذا الحرف . قال : وذكر لى أن بعض العرب تقول : مأوى الابل ، فهذان نادران . وما كان فاء الفعل منه واوا فـان المفعل منه مكسور اسما كان أو مصدرا ، الا أحرفا جاءت نوادر ، قالوا : ادخلوا موحد موحد ، وفلان بـن مورق ، وموكل : اسـم موضع أو رجـــل[16] .

د ــ وأورد تعليل الفراء لورود كلمة (مشيب) بدلا من مشـوب في البيت الآتى :

---

(١٦) الاصلاح ص ١٢١ ــ ١٢٢

سيكفيك صرب القوم لحم معرض
ومـاء قـدور في القصـاع مشيـب[17]

فقال : « قال الفراء : انما قال « مشيب » لأنه بناه على ما لم يسم فاعله على قولك شيب ، كما قال الآخر :

فلسـت بالجـافي ولا المجفـى

بناه على جفى[18]» .

هـ ــ وفي مادة (همد) من الأضداد أورد هذه الأبيات لرؤبة :

مـا كـان الا طلـق الأهمـاد
وجـذبنـا بالأغـرب الجيـاد

علـى ركيـات بنـى زيـاد
حتـى تحاجزن عـن الـزّواد

تحاجـز الـرى ولـم تكـاد

فعلق على قوله لم تكاد ، فذكر أولاً رأى الأصمعي فقال : « قال الأصمعي : أراد ولم تكادى أيتها الابل » ، ثم عقب عليه بقـول الفراء وكأنه اختاره فقال :

(١٧) يريد مشوبا . والصرب : اللبن الحامض . يقال جاء بصربة تزري الوجه ، والمصروب : الوطب الذي يجمع فيه فضلات اللبن اذا شرب القوم فتحمض فيه .
(١٨) الاصلاح ص ١٤٣

« انما هو ولم تكد فلما حرك الدال عادت الألف لأنها انما سقطت لسكونها مع سكون الدال فلما تحركت الدال عادت الألف[١٩]» •

و ــ وفى باب (حروف المضاعف التي تقلب الى الياء) : من كتاب القلب والابدال نقل رأي الفراء في حكاية الكسائي من قول العرب (جاء ساتا وجاء ساتيا يريد سادسا) ، قال الفراء : « ومما قلب تشديده الى الياء حكى الكسائي عن العرب جاء ساتا وجاء ساتيا يريد سادسا ، فلما ثقلت تشديده بدلت بالياء وكانت خلفا من التاء وأخرجت الدال لأنها من الأصل ، قالوا جاء سادسهم وساتهم وساديتهن للمرأة[٢٠]» •

٣ ــ ويلي الفراء في الأهمية عند ابن السكيت الكسائي ، فقد ورد اسمه في ثلاث وخمسين صفحة من (اصلاح المنطق) ، ويرد كثيرا في الألفاظ والأضداد ، والقلب والابدال • وطريق ابن السكيت الى الكسائي أبوه ، والفراء ، واللحياني ، وابن الاعرابى ، وغيرهم من شيوخ مدرسة الكوفة • ويرجع اليه والى الفراء أحيانا بالاستشهاد بالقراءات •

٤ ــ ابن الأعرابي : وهو أحد الشيوخ الذين تلمذ لهم كما عرفنا ، وورد اسمه في تسع وأربعين صفحة من (الاصلاح) ، ويتردد اسمه كثيرا أيضا في كتبه الأخرى •

٥ ــ أما اللحياني فيبدو أن ابن السكيت كان أقل رواية عنه من غيره من شيوخ مدرسة الكوفة ، فلم يرد ذكره الا فى ست صفحات من (الاصلاح) على أنه ذكره هنا وهناك في كتبه الأخرى •

ثالثا ــ واتصل ابن السكيت بالأعراب وأخذ عنهم ، وروى عن فصحائهم • وقد رأينا أنه دخل البادية شأنه في ذلك شأن كبار أئمة اللغة الذين شدوا الرحال ، فدخلوا البوادى ليأخذوا اللغة مشافهة من أصحابها • ويتجلى ذلك في تلك المرويات الكثيرة التى نشرها في كتبه ، وأخذها من فصحاء العرب • والفصحاء عنده قسمان :

---

(١٩) الأضداد ص ٢٨

(٢٠) القلب والابدال ص ٥٩

قسم حكى عنهم نقلا عن شيوخه ، وعن أئمة اللغة الآخرين ،وهؤلاء هم الفصحاء الذين سبقوه • ومنهم أفار بن لقيط الذى نقل قوله عن أبى عبيدة[٢١]، وأبو ثروان العكلى [٢٢] ، وأبو الجراح [٢٣]نقلا عن الفراء ، وأبو مرة الكلابي عن أبي زيد ، وجبر بن حبيب عن الأصمعي[٢٤] ، وأبو حزام العكلي عن أبي عمرو[٢٥]•

والقسم الثاني : هم الفصحاء الذين سمعهم كأبي مهدى[٢٦]، ومنتجع بن نبهان الكلابى[٢٧]، وأبي تمام ، وغنية الكلابية ، وقرية الأسدية ، وأبي صاعد الكلابى• وأورد ابن النديم بعض أسماء الفصحاء، وذكر أنه نقلها من خط يعقوب ، وهؤلاء هم :

أبو الهيثم الأعرابي ، ومرثد بن محبا ، والعدبس الكناني ، وأبو زكريا الأحمر ، وأبو أدهم الكلابي ، وأبو الصعق العدوى ، وأبو قرة الكلابي ، وأبو الحدرجان ، وأبو الحصين الهجي ، ومكوزة أبو العمر، وابن المحلق ابن حشم وابن سداد بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر[٢٨]•

ومن الملاحظ أنه لا يورد أحيانا أسماء هؤلاء الفصحاء كاملة ويكتفى بايراد نسبتهم الى قبائلهم : كالكلابي ، والفزارى ، والنميري ، والعقيلى ، والطائي ، والغنوي ، والأسدي ، والبكري ، والتميمي ، والعدوي • وكأنه يشير بذلك الى لغات هذه القبائل •

رابعا ــ والشعر العربي جاهليه واسلاميه ، وكذلك الأمثال من أهم مصادر ابن السكيت ، وكتبه تزخر بالشواهد من الشعر والأمثال •

---

(٢١) الألفاظ ص ٦٤
(٢٢) الاصلاح ص ١٣٣ ، ٢١٣
(٢٣) المصدر السابق ص ٩ و ١٣٣ و ٢١٥
(٢٤) المصدر السابق ص ٣٨٤
(٢٥) المصدر السابق ص ١٩١
(٢٦) المصدر السابق ص ١٢٦ و ١٥١ و ٢٠١ و ٣٥١ و ٣٥٦ و ٣٨٨
(٢٧) المصدر السابق ص ٢٠١ و ٢٠٢
(٢٨) الفهرست ص ٤٧

أ ـ استشهد بشعر شعراء الجاهلية والاسلام حتى ابن هرمة الذي مات في النصف الثاني من القرن الثاني . وهـو يحرص فى الغالب علـى ذكر اسم الشاعر أو الراجز ، بيد أن قسما غير قليل مما أورده مـن الشعر والرجز تركه من غير تسمية قائلة ، وقـد تولى شراحه ومختصروه تلافى ذلك فحاولوا نسبة كل شاهد الى قائله ، ومع ذلك بقى عدد غـير قليل ليس معروفا قائله . وعندما يستشهد بالشعر فاما أن يكون ذلك نقلا عن سابقيه وهو الأكثر ، واما ابتداعا من عنده .

١ ـ في (الاصلاح) ثمانمائة وسبعة وأربعون شاهدا شعريا ،منها مائتان وسبعة وخمسون من الأرجاز . وبلغ عدد الشعراء الذين استشهد بشعرهم في هذا الكتاب مائة وثلاثة وأربعين شاعرا وهـم : الأبرص . الأحمر . والأحوص بن جعفر بن كلاب . والأخطل . وأبو محمـد الأسدى . والمرار الأسدى . ومنظور بن مرثد الأسدى . ونافع بن لقيط الأسدى . والنظار الأسدى . والأسود بن يعفـر . والأعشي . وأعشي باهلة . والأغلب . وامرؤ القيس . وأمية بن أبي الصلت . وأمية بن أبى عائذ الهذلي . وأوس بن حجر . ومالك بن زغبة الباهلي . وبرج الطائي . وبشر بن أبي خازم . والبعيث . وتأبط شـرا . والتغلبـي (الأخنس ابن شهاب) . وثعلبة بن صعير المازنى . وجامع بـن مرخية . وجبيهاء الأشجعي . وجران العود . وجرير . والجميح . وجندل بـن المثنـى الطهوى . وجندل بن الراعى . والجهنى . والجهنية . وحاتم . والحارث ابن حلزة . وحارثة بن بدر الغداني . وأبو حزام العكلى . والحطيئة . وحميد الأرقط . وحميد بن ثور . وحنظلة بن شـرقي . والحويدرة . وخداش بن زهير . وخفاف بن ندبة . وابن دارة . ودريد بن الصمة . وأبو دواد الأيادي وذو الاصبع العدوانى . وذو الرمـة . والراعـي . ورؤبة بن العجاج . وأبو زبيد الطائي . وزهير بن جناب الكلبى . وزهير

بن أبى سلمى • وساعدة بن جؤية • وسحيم بن وثيل الرياحى • وسلامة ابن جندل والسموأل بن عاديا • وسويد ابن أبي كاهل • وسويد ابن كراع العكلى • والشماخ • والشنفرى • وصخر الغى • وأبو صخر الهذلي • وأبو صدقة الدبيرى • والطائي • وطرفة • والطرماح • وطفيل الغنوى • وعامر بن الطفيل • وعباس بن مرداس • وعبد الله بن الزبعرى • وعبد الله بن همام السلولى • وعبدة بن الطبيب • والعبدى • وعبيد ابن الأبرص • وعتى بن مالك العقيلى • والعجاج • والعجير السلولى • وعدى ابن زيد • وعذافر • وعروة بن آذينة • وعروة بن الورد • والعقيلي • وعلقمة بن عبدة • وعمرو بن الأحمر الباهلي • وعمر بن شأس • وعمرو ابن قميئة • وعمرو بن كلثوم • وعنترة • وعوف بن الأحوص • وغيلان ابن حريث • والفرزدق • والقطامي • والقناني • وقيس بن خطيم الأوسي • وأبو قيس بن رفاعة • وابن قيس الرقيات • وقيس بن زهير • وأبو كبير الهذلي • وكثير • وكعب بن زهير • والكميت • والكناز الجرمى • ولبيد • وابن لجأ • وليلى الأخيلية • والمتلمس • والمتنخل الهذلى • والمثقب • والمخبل السعدى • والمرار العدوى • والمرار (الفقعسي) • ومرقش • ومزرد • والمسيب بن علس • ومضرس الأسدى • ومعفر بن حمار البارقى • وأبو معدان الباهلي • والمفضل النكرى • وابن مقبل • ومليح • والمنخل اليشكرى • وابن ميادة • والنابغة الجعدي • والنابغة الذبياني وأبو النجم • وأبو نخيلة • والنمير ابن تولب • ونهشل بن حرى • وهدبة • وأسامة بن الحارث الهذلي • وأبو شهاب الهذلى • وعبد مناف بن ربع الهذلى • وأبو قلابة الهذلى • وابن هرمة • والهلالى • والهمداني (الاجدع بن مالك) • والوالبي • وأبو وجزة السعدى • واليشكرى • وهذا الحشد الكبير من أسماء الشعراء يدل على أن ابن السكيت استشهد بشعر أكثر شعراء الجاهلية والاسلام • ولا غرابة فقد رأينا في احصائنا لآثاره أنه شرح دواوين كثير من شعراء الجاهلية والاسلام •

٢ ـ وفي (الألفاظ) ألف وأربعة وستون شاهدا شعريا ، لما يزيد على ثلاثمائة وثلاثة من الشعراء منهم مائة وثمانون شاعرا لم يستشهد بهم في الاصلاح . وهم :

أباق الدبيري . وابن الأسلت . وابن رعلاء الغساني . وابن علفة (محمد) . وابن غالب . وابن وادع العوفي . وابو اسيدة الدبيري . وابو بدر السلمى . وأبو جندب الهذلي . وأبو جهيمة الذهلي . وابو حبيب الشيباني . وأبو حرب الأعلم . وأبو حية البجلي . وأبو الزحف . وأبو العيال . وأبو الغريب النصري . وأبو قائف الأسدي . وأبو القمقام الأسدي . وأبو كاهل اليشكري . وأبو المثلم . وأبو محجن الثقفي . وأبو محرز المحاربي . وأبو محمد الفقعسي . وأبو المساور العبسي . وأجلح بن قاسط الضبابي . والأسدي (جساس بن القطيب) والأسعر الجعفي . والأشعر الرقبان . وأعشى حمدان . والأعلم الهذلي . والأعور ابن براء الكلابي . والأفوه الأودي . وامرؤ القيس بن عابس . وأم الورد العجلانية . واياس الخيبري . وبجاد الخيبري . والبختري الجعدي . والبراء بن ربعي الاسدي . والبريق الهذلي . وبشير الفريري . وبنت عتيبه بن الحارث بن شهاب اليربوعي . والبولاني . وثابت بن حمران الجهني . وثابت بن قطنة العتكي . وثعلبة بن اوس الكلابي . وجزء بن رياح الباهلي . وجرية بن الأشيم . وجرى الكاهلي وجرية بن أوس الهجيمي . وجميل . وجميل بن مرثد المعني . وجؤية بن عائذ النصري . والحادرة . والحارث بن زهير العبسي . وحبيب بن اليمان . والحذلمي . وحذيفة بن أنس الهذلي . وحسان بن ثابت الأنصاري . والحصين بن القعقاع . والحطيم القيسي . والحكم الخضري . وحكيم بن معية . وخالد بن علقمة الدرامي . وخذام الأسدي . وخراشة بن عمرو العبسي . والخضري . والخضرمي . والخطيم الضبابي . والخنساء . والدبيري . ودراج الضبابي . ودكين بن رجاء

السعدى • والدهناء • وذو الخرق الطهوى • وراشد بن كثير بن حنظلة• وربيع بن زياد العبسي • وربيعة بن مقروم الضبى • ورياح الدبيرى • وريسان بن عنتره • وريطة بن عاصية • وزفر بن خيار المحاربى • ورتيب الدبيرى • وزهير بن مسعود الضبى • وزياد الطماحى • وزياد الملقطى • وساعدة بن العجلان الهذلى• وسبرة بن عمرو الأسدى • وصهم بن حنظلة الغنوى • وسويد بن صامت • وشبيب بن البرصاء • وشريح بن بجير ابن أسعد التغلبى• وشقصة الفزارى• وشوال بن نعيم • وصنان بن النار اليشكرى • وضابىء بن الحارث البرجمى • والضحاك العامرى •وطريف ابن تميم العنبري • وطليحة • وعاصم بن ثابت الأنصاري • والعامري • وعبادة السلمى • وعبد الله بن ربعى الأسدى • وعبد الله بن ربعى الحذلى • وعبد الله بن سلم الأزدى • وعبد الله بن سمعان التغلبى • وعبد هند بن زيد التغلبى • وعبيد المرى • وعتيبة بن مرداس • والعرجى وعطاء الدبيري • وعطارد بن قران الحنظلى • وعفير بن المتمرس العكلى• والعمانى • وعمر بن أبى ربيعة • وعمر بن لجأ • وعمرو بن أذينة • وعمرو بن الاطنابة • وعمرو بن حسان • وعمرو بن خصاف الهجيمى • وعمرو بن معد يكرب • وعمير بن الجعد • وعنترة بن الأخرس • وعوف ابن الخرع التيمى • وعويج النبهاني • وعياض بن درة الطائي • وعياض الهذلى • وعيلان بن شجاع النهشلى • وغالب بن زغبة • والغطمش الضبي • وغنى بن مالك• والفضل بن العباس اللهبى • والقتال الكلابى• والقطران • وقعنب بن أم صاحب • والقلاخ بن حزن• وقلاخ بن حبابة • وقيس بن جعدة • وقيس بن ذريح • والكاهلى • وكثير بن الغريزة النهشلى • وكثير بن مزرد • وكعب بن مالك • ولقيط بن زرارة • ولقيط بن يعمر الأيادى • ومالك بن حريم الهمدانى • ومالك بن خالد الخناعى • ومالك بن خالد الهذلى • ومالك بن نويرة • ومامة الأيادى (أبو كعب) • ومتمم بن نويرة • والمثلم الطائي • والمخبل • ومدرك ابن حصن الأسدى • ومرداس الدبيرى • ومزاحم العقيلى • ومسكين

الدارمي . ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب . ومعبد بن شعبة . ومعدان بن عبيد الطائي . والمعلوط بن بدل القريعى . والمعنى . ومفروق بن عمرو الشيباني . ومغلس بن لقيط الأسدي . ومقدام بن جساس الدبيري . ومليح الهذلى . والممزق العبدى . والمهلهل . وميدان الفقعسي . ونافع بن ملقط الأسدي . ونابغة بني شيبان . ونبيه بن الحجاج . ونصيب . ونقادة الأسدي . وهدبة بن الخشرم . وهميان بن قحافة . ويزيد بن الطثرية .

وهنا يلاحظ كثرة الشعراء المغمورين ، أو غير المشهورين . ولعل ذلك راجع الى أن ابن السكيت عنى في هذا الكتاب بالغريب عناية خاصة ، ثم بالمترادف ، وهو راجع كما نعلم الى تعدد لغات القبائل ، اذ لا يمكن استقصاؤه في شعر المشاهير من الشعراء الذين اتخذوا للشعر لغة موحدة ، أما هؤلاء الشعراء المغمورون فهم في أغلب الظن من شعراء القبائل . ولا غرابة في ذلك ، فابن السكيت تلميذ أبى عمرو الشيبانى الذى جمع شعر ثمانين قبيلة من قبائل العرب ، فهو اذن من المطلعين على شعر القبائل ، العارفين به .

٣ ــ فى (الأضداد) مائة وسبعة وسبعون شاهدا من الشعر لما يزيد على ستين شاعرا ، منهم اثنا عشر شاعرا لم يذكروا في (الاصلاح) أو (الألفاظ) ، وهم :

ابن مفرغ . وأبىّ (أخو عدى بن زيد) . وأبو العباس النميري . وأبو المختار الكلابى . والزبرقان . وزهير بن على الجماعى . وسوار ابن المضرب السعدى . وعلى بن الغدير الغنوى . ومالك بن الحارث الهذلي . ومربع بن وعوعة الكلابي . ومعن بن أوس (المزني) والمعلى ابن جمال العبدى .

٤ ـ أما (القلب والابدال) فقد أورد فيه مائتيـن وسبعة وثمانين شاهدا من الشعر لما يزيد على سبعة وثمانين شاعرا ، منهم عشرون شاعرا لم يدرروا في الكتب الثلاثة السابقة ، وهم :

أبو زرعة التيمي ٠ والأخيل ٠ والأنصارية ٠ والتميمي ٠ وحطائط ابن يعفر النهشلي ٠ وحنظلة بن مصبح ٠ وزياد الأعجم ٠ وزينب بنت أوس ٠ وعبيدة الغنوى ٠ وعدى بن الغدير الغنوى ٠ و (عطاء بن أسيد الزفيان (السعدى) ٠ وعلباء بن أرقم ٠ وعلى بن حسان الكلابى ٠ وعمرو بن ربيعة المستوغر ٠ وابن شيبان النميري ٠ والمضرب بن كعب ٠ ونافع بن نفيع الفقعسي ٠ والنعمان بن فضلة العدوى ٠ ويزيد بن حذاق ٠ وربيعة بن جشم ٠

ففي هـذه الكتب الأربعة التى وصلت الينا من كتب ابن السكيت اللغوية التي نيفت على الأربعين ٠ بلغ مجموع الشعراء الذين استشهد بهم ثلاثمائة وستة وخمسين شاعرا ، فضلا عن عشرات من الشواهد لم يعرف قائلوها ٠ وهذه العناية الكبيرة بالشعر ، وهذا الاعتداد بالنوادر الشعرية من خصائص الكوفيين ، فقد عرف عنهم أنهم كانوا يعتدون بالشاهد الواحد ويقيسون عليه ، وأنه خير لهم أن يتركوا القياس ، ولا يهملوا بيتا واحدا مما روى من الشعر ٠

ولكن من أين جاء ابن السكيت بهذه الثروة الشعرية الضخمة ؟

من الواضح أن ذلك يعود الى تلمذته لاثنين من أئمة الرواية ، وهما : أبو عمرو الشيباني ، وابن الاعرابى ٠ أما أبو عمرو الشيبانى فقد كان راوية حفاظة ، قيل انه كان يحفظ عشرة أضعاف ما كان يحفظه أبو عبيدة راوية أهل البصرة(٢٩) ٠

وأبو عمرو هذا جمع أشعار القبائل شعر كل قبيلة في كتاب ، وهذا

---

(٢٩) البغية ١\٤٣٩

العمل بعد الأول من نوعه ، أو هو ـ كما قال الدكتور يوسف خليف ـ العمل العلمى المنظم الأول ، الذى لو وصل الينا لأفادنا فائدة كبيرة في معرفة لغات العرب وأشعارهم[٣٠]. وقد عرفنا أن ابن السكيت أخذ منه وهو صغير حتى مماته .

وأما ابن الأعرابى فهو خليفة أبى عمرو وتلميذ المفضل الضبى وابن زوجه ، قال عنه ثعلب : « ولم ير أحد في علم الشعر واللغة كان أغزر منه[٣١] » وعنه أخذ ابن السكيت اللغة والشعر . وفي ذلك يقول ثعلب : « لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت[٣٢] » .

عن هذين الشيخين أخذ ابن السكيت رواية الشعر واللغة ، فضلا عن غيرهما من شيوخ مدرستى البصرة والكوفة .

ب ـ وكان المثل العربى مصدرا هاما من مصادر ابن السكيت ولكنه لم يصل فى أهميته الى ما وصل اليه الشعر . ونحن نجد في كتبه وخاصة فى (الاصلاح) و (الألفاظ) عناية كبيرة بالمثل ويكفي أن نشير هنا الى أن في الألفاظ وحده مائتين وثلاثة وأربعين مثلا ، منها واحد وستون مثلا لم يذكرها الميدانى في مجمع الأمثال[٣٣] .

وفي (الاصلاح) أبواب كاملة بناها على الأمثال[٣٤]. ونحن نعلم أن ابن السكيت قد أفرد مصنفا خاصا بالأمثال .

خامسا ـ القراءات : قلنا ان القراءات أكثرها أفاد منها الكوفيون في النحو ، أما اللغة فالافادة منها أقل من ذلك ، ومع ذلك فاننا نجد ابن

---

(٣٠) انظر القسم الثالث من الفصل الخاص بالحياة العقلية في الكوفة من كتاب (حياة الشعر فى الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري) للدكتور \ يوسف خليف . (مخطوط)

(٣١) البغية : ١\١٠٥

(٣٢) وفيات الأعيان : ٥\٤٤١

(٣٣) انظر فهرست الأمثال ص ٨٧٤ من كتاب (كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ) .

(٣٤) انظر الصفحات ٣٨٣ وما بعدها من كتاب (اصلاح المنطق) .

السكيت يعنى بها ، ويستشهد في كثير من الأحيان بما عرفه منها • وطريقه الى القراءات الفراء ، ثم الكسائي ، وهذه بعض الأمثلة :

أ ــ في (الاصلاح) فى باب (فَعْل وفُعْل وفِعْل باتفاق معنى) قال : « فال الفراء : يقال هو الوَجد من المقدرة ، والوُجد والوِجد • ويقرأ : (من وَجدِكم) و (وُجدِكم) و (وِجدِكم)[٣٥]•

وفي باب (فَعْل وفُعْل باتفاق معنى) استعان بالقراءات على أن القَرح بفتح القاف أو ضمها « قال (الفراء) : وقرىء (ان يمسسكم قرح) و (قَرح) أكثر القراء على فتح القاف • قال : وقرأ أصحاب عبد الله : (قُرح) قال : وكأن القُرح : ألم الجراحات أي وجعها ، وكأن القَرح : الجراحات بأعيانها[٣٦]•

وفي باب (الفُعَال والفَعَال بمعنى واحد) قال : « وهو فُواق الناقة وفَواقها ، وهو ما بين الحلبتين ، يقال : لا تنتظره فُواق ناقة ، وفَواق ناقة • وقرأت القراء : (ما لها من فُواق) و (فَواق) • وأما الفُواق الذى يأخذ الرجل فمضموم لا غير[٣٧]» •

وفي باب (ما يقال بالواو والياء من ذوات الثلاثة) قال : « وفي القرآن : (لا يلتكم من أعمالكم شيئا) ، أي لا ينقصكم • وقرىء : (يألتكم) من ألت يألت ، تقديرها أبق يأبق • وقوم يقولون فى هذا المعنى : لاته يليته[٣٨]» •

ب ــ ولا يعنى كثيرا في كتاب (الألفاظ) بالقراءات لقلة استشهاده بالقرآن نفسه فى هذا الكتاب ، كما أشرنا سابقا • ومن الاستشهادات القليلة بالقراءات في هذا الكتاب قوله في باب (الندام والشراب) « ورجل نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله من السكر ، قال الله عز وجل :

---

(٣٥) الاصلاح ص ٨٦
(٣٦) المصدر السابق ص ٩٠
(٣٧) الاصلاح ص ١٠٧
(٣٨) المصدر السابق ص ١٣٦

(لا يصدعون عنها ولا ينزِفون) أي لا تذهب عقولهم . وقرئت (ينْزفون) أي لا ينفذ شرابهم[٣٩] » .

ويبدو أن ابن السكيت يعتد بالقراءات أيا كان مصدرها ، حتى لو كانت من قارىء غير مشهور ، أو من فصيح لا يعد من القراء ، كأبى حزام العكلى .

قال في باب (التندم) : وقد تفكن تفكنا ، وتفكه تفكها ، قال الله عز ذكره : (فظلتم تفكهون) أي تتندمون . قال : سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : كان أبو حزام العكلى يقرأها (فظلتم تفكنون) . ويقول : تفكهون من الفاكهة[٤٠].

جـ ــ واستعان بالقراءات على اثبات معنى الوصل لمادة (بين) من (الأضداد) ، قال : « والبين : الوصل ، قال الله عز وجل : (لقد تقطع بينكم) ، وقال الفراء : كان مجاهد يقرأها لقد تقطع بينكم يريد وصلكم، وقرأها حمزة مرفوعة على هذا المعنى[٤١] » .

د ــ وفي باب (الفاء والثاء) من (القلب والابدال) استدل بقراءة عبد الله بن عامر على أن الفاء في (فوم) تبدل ثاء ، قال : « قال : الفراء يقال الفوم والثوم للحنطة ، ومنه قوله عز وجل : (وفومها وعدسها) وهى في قراءة عبد الله (وثومها وعدسها[٤٢] »

سادسا ــ قلنا أن بعض الكوفيين اتخذ من الحديث مصدرا للمادة اللغوية يستشهد به حيثما أمكن ، كما فعل الفراء ، وتابعه فى ذلك ابن السكيت . وفيما يلى بعض الأمثلة من كتبه :

أ ــ قال في باب (فَعَل وفِعَل باختلاف معنى) من (اصلاح المنطق) :

---

(٣٩) كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ ص ٢٢٧
(٤٠) كنز الحفاظ فى تهذيب الألفاظ ص ٥٣٩
(٤١) الأضداد ص ٢٠٥
(٤٢) القلب والابدال ص ٣٥ و ٣٦

« والسَبَر مصدر سبرت الجرح أسبره سبرا • ويقال : انه لحسن السِبِر اذا كان حسن السحناء ، والسحنة : الهيئة ، والجمع أسبار ، وجاء في الحديث : (يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره) ، أي هيئته[٤٣] » •

وفي باب (فَعْل وفَعَل باختلاف معنى) قال : والفَلَح : السحور • وجاء في الحديث : (صلينا مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى خشينا أن يفوتنا الفَلَح)[٤٤] » •

وفي باب (فَعْل وفَعَل باختلاف معنى) قال :« والكَفر : القرية ، وجاء في الحديث : (يخرجكم الروم منها كفرا كفرا)[٤٥] » •

وفى باب (ما يقال بالياء والواو من ذوات الثلاثة) قال : « الفراء : يقال تبوغ الرجل بصاحبه ، فقلبه ، وتبوغ الدم بصاحبه فقتله • وقد جاء في الحديث : (اذا تبيغ الدم بصاحبه فيلحتجم) يعنى اذا هاج فكاد يقهره[٤٦] » • وقال في باب (ومما يضعه الناس في غير موضعه) : « ويقال قد بَدُن الرجل يبْدن بَدْنا وبدانة ، اذا ضخم ، فهو بادن ، وقد بدّن تبدينا اذا أسن وكبر • وهو رجل بَدَن ، اذا كان كبيرا ••• وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (انى قد بدنت فلا تبادرونى بالركوع والسجود)[٤٧] » •

ب ــ ويبدو أن حظ كتاب (الألفاظ) من الحديث الشريف قليل كحظه من القرآن الكريم ، ولكنه لا يخلو من بعض الأحاديث التى استشهد بها في بعض المواضع • من ذلك قوله في باب (المقارنة فى الشيء والخلاقة) : « يقال : أنه ليخلق أن يفعل كذا وكذا ، وقد خلق خلاقة ،

---

(٤٣) الاصلاح ص ٨٦
(٤٤) الاصلاح ص ٨٠
(٤٥) المصدر السابق ص ١٢٧
(٤٦) المصدر السابق ص ١٣٦
(٤٧) المصدر السابق ص ٣٣٠

ومخلقة منه كذا وكذا . وهو بين الخلافه ... ومئنة منه أن يفعل كذا وكذا .

وجاء في الحديث : (قصر الخطبة وطول الصلاة مئنة من فقه الرجل)[48].

وقوله في باب (الفتور والابطاء) : « وهو رجل نأنأ اذا كان ضعيفا . وفي الحديث : (خير الناس من مات في النأناة) أي ف أول الاسلام وضعفه قبل أن يكثر أهله ويقع الاختلاف[49].

وقوله في باب (اللحم) : « ويقال أطعمه مزعة من لحم ، ونتفة من لحم أي شيئا قليلا . وجاء في الحديث : (ليأتين يوم القيامة أقوام وما على وجه أحدهم مزعة من لحم قد أحفاها السؤال)[50] » .

وقال في باب (الدعوات) : « كل طعام صنعه الرجل فدعا عليه اخوانه فهو مأدَبة ومأدُبة. وأدب فلان فهو آدب. وجاء في الحديث :(أن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبة الله) أي الذى دعا اليه عباده[51] »

جـ ـ وكان استشهاده بالحديث فى كتاب الأضداد أقل منه في الاصلاح والألفاظ ، فلم يستشهد به في أكثر من أربعة مواضع ، فقال في مادة (صرى) : يقال صرى ما بينهما اذا قطعه ، وجاء في الحديث : (ما يصرينى منك) أي ما يقطع مسألتك عنى[52] » .

وفي مادة (خفى) « ويقال : خفى البرق يخفى اذا ظهر ولمع ، وجاء في الحديث : (ليس على مختف قطع)وهو النباش وانما سمى مختفيا لأنه يختفى الكفن أي يظهره [53] » .

---

(48) كنز الحفاظ ص 511
(49) كنز الحفاظ ص 512
(50) المصدر السابق ص 609
(51) المصدر السابق ص 614
(52) الأضداد ص 172
(53) المصدر السابق ص 179

وفي مادة (مولى) استشهد على معناها بمعنى ولى ، فقال « جاء في الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:(من كنت مولاه فعلى مولاه) أي وليه ، وقوله (مزينة وجهينة وأسلم وغفار موالى الله ورسوله)[٥٤]»

وفي مادة (باع) قال : « ويروى في الحديث عن حذيفة أنه قال حين حضرته الوفاة : (بيعوا لى كفنا) أي اشتروا [٥٥]» .

د ـ وكذلك فعل في (القلب والابدال) فقال في (باب اللام والنون) :

« ويقال : رأيت في أرض بنى فلان لعاعة حسنة ونعاعة حسنة وهو بقل ناعم في أول ما يبدو رقيق لم يغلظ ، وجاء فى الحديث : (انما الدنيا لعاعة) [٥٦] .

وفي باب (الباء والميم) « ويقال : قد أرمى على الخمسين أي زاد عليها ، وجاء في الحديث : (انى أخاف عليكم الرماء أي الربا) .وفي نفس الباب يقال للرجل حين ينبت شعره يسود ويستوى قد أسبد وهو التسبيد ، وجاء في الحديث : (التسبيد في الحرورية فاش)[٥٧]»

وفى باب (الخاء والحاء) : « ويقال اللهم سبح عنه الحمى أي خففها ، ويقال لما يسقط من ريش الطائر السبيخ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة حين دعت على سارق سرقها (لا تسبخى عنه) أي لا تخففى عنه اثمه [٥٨] »

وهكذا أفاد ابن السكيت من مصادر الكوفيين خير افادة ،واستغلها أحسن استغلال ، وتتفاوت عنايته بهذه المصادر من كتاب الى آخر بحسب ما يسعفه موضوع الكتاب ، على أننا نلاحظ كما قلنا عنايته الفائقة

---

(٥٤) الاضداد ص ١٨٠

(٥٥) المصدر السابق ص ١٨٤

(٥٦) القلب والابدال ص ٥

(٥٧) المصدر السابق ص ١٠ و ١٢

(٥٨) المصدر السابق ص ٣١

بالشعر ، ولا غرابة في ذلك كما أشرنا ، فابن السكيت كوفي بكل ما في الكلمة من معنى ، ونحن نعلم أن مدرسة الكوفة مدرسة نقل ورواية ، عنيت منذ نشأتها برواية الشعر وجمعه ، وأيضا تصنيفه حسب القبائل •

٥ ـ منهج ابن السكيت اللغوي وطريقته فى التاليف :

علم ابن السكيت كما رأيناه في كتبه اللغوية الأربعة وفي شروحه لدواوين الشعراء الثلاثة قائم على الرواية والسماع ، أيا كان مصدرهما•

وهنا تتجلى نزعته الكوفية فهذه النقول الجمة عن أئمة المدرستين ، وتلك الروايات الواسعة وهذا الاعتداد بالقراءات أيا كان مصدرهما وذلك الاستشهاد بالحديث والنوادر كل أولئك أدلة قاطعة لا يستطيع أحد نكرانها أو دفعها ، وهي تدل على ان ابن السكيت كان كوفي النزعة•

وفي هذا أيضا ملامح منهجه اعتداد بالرواية والنقل وبالقراءات واعتزاز بها ، وتغليبها على المقاييس المنطقية •

وحسبنا ما أوردناه من أمثله منذ قليل ، ففيه الكفاية ، وفيه الدليل القاطع على هذا المنهج الكوفي في اللغة الذي نهج عليه ابن السكيت •

ويتجلى كل ذلك في طريقته في التأليف التي نجملها فيما يلى ، دون التعرض الى ما يمتاز به كل كتاب فقد درسنا ذلك في مواضعه من البحث، فنجتزيء بما أوردناه هناك من نماذج ، ونكتفي بذكر أهم الخصائص العامة :

١ ـ رأينا أن ابن السكيت بدا في (اصلاح المنطق) ـ وهو من أوائل كتبه كما رأينا ـ مضطربا ، وخاصة فى الفصول المتأخرة من الكتاب • فعلى حين رأيناه ملتزما بالتبويب نوعا ما في الجزء الأول ،رأيناه يضطرب أشد الاضطراب في الجزء الثانى ، فيضم مواد الى مواد وليس بينها أي ارتباط ، ويجزيء بعض ما حقه أن يكون في باب واحد على أبواب عدة ، ويفرقها هنا وهناك على غير هدى •وهذاما دعا خلفه ـ الذين

وجدوا في هذا الكتاب ثروة لغوية عظيمة ـ الى تهذيبه ، واختصاره • على أننا رأيناه يتخلص في كتبه الأخرى وخاصة في (الألفاظ) و (القلب والابدال) ـ اللذين نظن انهما من أواخر كتبه ـ من هذا الاضطراب في التبويب • فجاء هذان الكتابان منظمين تنظيما علميا أدق •

٢ ـ وفي معالجته المواد رأيناه كثير الاضطراب أيضا في (اصلاح المنطق فيكثر من الاستشهاد ، ويستطرد في ذلك الى حد يخل بالمعنى ، وهذا ما نقده عليه أيضا من جاءوا بعده ممن عنوا باصلاح المنطق ، كأبي العلاء المعرى ، والوزير المغربى ، والتبريزي • الا أننا وجدناه في كتبه المتأخرة يميل أيضا الى التخلص من هذا العيب ، ولكنه لم يتخلص منه تماما •

٣ ـ وابن السكيت مولع بالاستشهاد ، فهو يبحث عن الشاهد في القرآن فان لم يجد ففى الشعر والأمثال والقراءات والحديث وكلام العرب • ولذلك جاءت كتبه زاخرة بالشواهد ، وخاصة الشعرية منها كما رأينا • على أن هذا الشغف بالاستشهاد وان كان في بعض الأحيان مخلا بالشرح • ، مستطردا به ، فاننا نرى فيه فضيلة لا تنسي ، فابن السكيت وغيره ممن جاءوا قبله أو بعده وعنوا عنايته بالشواهد ، حفظوا لنا ثروة لغوية وادبية جمة ، ربما استعنا بها اليوم في ما دعا اليه بحق بعض العلماء الأفاضل من وجوب اعادة استقراء هذه الثروة ، واستنباط قواعد وأصول جديدة لنحو العربية •

هذا فضلا عن أن الاكثار من الشواهد والتفرع فيها جعل كتب هذه الطبقة أقرب الى كتب الأدب ، حيث يجد القارىء متعة لا يجدها في كتب اللغة المتأخرة التى جردت من الاستشهادات ، فكانت جافة مملة •

٤ ـ ولا نجد عند ابن السكيت عناية بترتيب الأبواب وفق نهج معين ، فهو يأتى بها كيفما اتفق • وما يقال عن الأبواب يقال أيضا عن مادة كل باب ، فهو لا يعنى بترتيب المواد أو الألفاظ ترتيبا معجميا على نحو ما فعل مختصروه فيما بعد •

٥ ـ وأهم ما يمتاز به ابن السكيت في التأليف هذا الحرص الشديد على نسبة كل قول الى صاحبه ، وكل رواية الى راويها ، وتلك هي الأمانة العلمية التي رأيناه يحرص عليها كل الحرص في جميع كتبه . وبذلك حفظ لنا بعض الكنوز التى عفا عليها الدهر ، فقد رأينا ان كتابي الأضداد ، والقلب والابدال للأصمعى لم يصلا الينا ، وكذلك ما رواه أبو عبيدة ، وأبو زيد ، وأبو عمرو الشيبانى ،وابن الأعرابى ، والكسائى، والفراء ، وغيرهم ، في هاتين المشكلتين من مشاكل اللغة ، أو فى غير ذلك مما صنفوه في أبواب اللغة الأخرى . الا أننا نستطيع أن نتتبع أقوال هؤلاء العلماء العظام في كتبه ، فنقف على ثروة عظيمة قد تفيدنا في الدراسة التاريخية والعلمية لمشاكل اللغة ومظاهرها .

٦ ـ مصطلحه اللغوي والنحوي :

مصطلح ابن السكيت هو مصطلح الكوفيين عامة ، والفراء بخاصة . وقد أشرنا سابقا الى أن ابن السكيت يلوذ به كلما احتاج الأمر الى تعليل وتأويل ، وكذلك كان يفعل عندما يحتاج الى مصطلح نحوي أو لغوي . ولا حاجة بنا الى الاستقصاء ، طالما أن ابن السكيت لم يأت بجديد في هذا المجال ، وحسبنا بعض الأمثلة :

١ ـ ألقاب الاعراب : استعمل ابن السكيت مصطلحات الضم والنصب والفتح والكسر ، كما استعملها الفراء ، ومن سبقوه من الكوفيين والبصريين ، قال في باب (مُفْعَل ومِفْعَل) من (الاصلاح) : « قال الفراء : وقد استثقلت العرب الضمة في حروف فكسرت ميمها ، وأصلها الضم . ومن ذلك مصحف ومخدع[٥٩] » واستعمل الفتح كما استعمله الفراء لحركة الحرف في صلب الكلمة ، قال فى باب (مَفْعِل ومَفْعَل) : « قال الفراء : كل ما كان على فَعَل يَفْعِل ، فالفعل منه

---

(٥٩) الاصلاح ص ١٢٠

اذا أردت الاسم مكسور ، واذا أردت المصدر فهو المفعل بفتح العين نحو المدب والمدب ، والمفر والمفر . فاذا كان مفعل مفتوح العين آثرت العرب فيه مفعل اسما كان أو مصدرا[٦٠] » وأما النصب فللاعراب قال ، بعد أن أورد بيت الشاعر :

تصيح بنا حنيفة حين جئنا　　　وأي الأرض تذهب للصياح

نصب « أي » بتذهب وألقى الصفة[٦١] » ومثل الفتح الضم ، قال تعقيبا على قول الشاعر :

أنوراً سرع ماذا يافروق　　　وحبل الوصل منتكث حذيق

وقوله : « سرْع ماذا أراد سرُع ماذا ، فخفف ، كما يقال عظم البطن بطنك ، وعَظْمَ البطن بطنك ، بتخفيف الضمة . ويقال عُظْم البطن بطنك ، يخففون ضمة الظاء وينقلونها الى العين[٦٢] .

واذا كان يستعمل الضم والكسر لغير الاعراب فانه يستعمل الرفع والخفض للاعراب ، قال : « والعدد منصوب ما بين أحد عشر الى تسعة عشر في الرفع والنصب والخفض[٦٣] » والنصب عنده هو البناء على الفتح بدليل قوله السابق وقوله بعد ذلك : « الا اثنى عشر فانه يعرب لأنه على هجاءين ، وانما نصب لأن الأصل أحد وعشرة ، فأسقطت الواو وصيرا جميعا اسما واحدا ، كما تقول : هو جاري بيت بيت ، منصوب

---

(٦٠) المصدر السابق ص ١٢١
(٦١) المصدر السابق ص ٨٧
(٦٢) الاصلاح ص ٣٥
(٦٣) المصدر السابق ص ٢٩٩

غير منون ، والأصل بيت لبيت ، أو بيت الى بيت[٦٤] . والتخفيف عنده السكون ، ومنه ما جاء في باب (ما يفتح أوله وثانيه ، ومن العرب من يخفف ثانيه) وقال فيه : « وتقول هو الشمع للذي يصطبح به ، بتحريك الشين والميم ، وربما خفف ، كما يخفف الشعر والنهر[٦٥] .

والتخفيف عنده أيضا ضد التشديد ، ومنه باب (ما يخفف) في (الاصلاح) وقال فيه : « تقول : اذا قرأ الامام فاتحة الكتاب : أمين ، فتقصر الألف ، وتخفف الميم ، وآمين مطولة الألف مخففة الميم ، لغة بني عامر ، ولا تقل آمّين بتشديد الميم[٦٦] » .

٢ ـ الصفة عنده ترادف حرف الجر : كما في تعقيبه على البيت المذكور آنفا ، اذ أن معنى قوله : (وألقى الصفة) أي حذف حرف الجر ، فالفعل (تذهب) يتعدى بالى ، وهو من اصطلاحات الفراء[٦٧] . وتال أيضا في تعليله لبناء بيت بيت تقول : « هو جارى بيت بيت ، منصوب غير منون ، والأصل بيت لبيت ، فألقيت الصفة ، وصيرا جميعا اسما واحدا . وكذلك : لقيته كفة كفة ، فاذا جاؤا باللام أعربوا ونونوا ، قالوا لقيته : كفة لكفة[٦٨] .

٣ ـ الفعل الواقع وغير الواقع عنده هما الفعلان المتعدى واللازم : قال الفراء « ماكان على فعلت من ذوات التضعيف غير واقع ، فان يفعل منه مكسور العين ، مثل عففت أعف ، وخففت أخف ، وشححت أشح . وما كان على فعلت من ذوات التضعيف واقعا ، مثل رددت ، وعددت ، ومددت ، فان يفعل منه مضموم[٦٩] » .

---

(٦٤) المصدر السابق ص ٢٩٩
(٦٥) المصدر السابق ص ١٧٢
(٦٦) المصدر السابق ص ١٧٩
(٦٧) انظر (أبو زكريا الفراء) صفحة ٤٤٥
(٦٨) الاصلاح صفحة ٢٩٩
(٦٩) المصدر السابق صفحة ٢١٥

٤ ــ المستقبل عنده هو المضارع : قال : « واعلم أن كل فعل كان ماضيه على فعل مكسور العين ، فان مستقبله يأتى بفتح العين ، نحو علم ، يعلم ، وكبر يكبر ، وعجل يعجل[٧٠] » .

٥ ــ الجحد عنده هو يساوى النفي : في (الاصلاح) نجد هذين البابين : باب (مايتكلم فيه بالجحد) وباب (مالا يتكلم فيه الا بجحد) ، وأورد فيهما أقوالا قائمة على النفي ، كقولهم : « يقال ماله صامت ولا ناطق ، وماله دار ولا عقار . وكقولهم : جاءت وما عليها خر بصيصة ، أي شيء من الحلى ، وما في النحى عبقة ، أي شيء من سمن[٧١] » .

وفي الألفاظ : باب : ماينطق به بجحد ، اورد فيه اقوالا كتلك التي أوردها في الاصلاح[٧٢] . على انه يستعمل مصطلح (نفى) أيضا ، ففي (الألفاظ) باب بعنوان (باب النفي في الطعام) اورد فيه اقوالا مثل : « ماذقت آكالا ولا لماجا ، وما ذقت لماقا ، ولا شجاجا ، ولا ذواقا[٧٣] » .

٦ ــ المفسر عنده يساوي التمييز : قال في (الاصلاح) : « والمفسر منصوب ، فاذا صرت الى العشرين وسائر العقود استوى المذكر والمؤنث ، فقلت : عشرون رجلا ، وعشرون امرأة ، والمفسر منصوب في ذلك كله . فاذا بلغت المائة كان المفسر مخفوضا ، فقلت : مائة رجل ، ومائة امرأة ، فيستوي في ذلك المذكر والمؤنث ، وكذلك في الألف[٧٤] » .

٧ ــ الهاء عنده هي تاء التأنيث : كما في قوله : (وتسقط الهاء من النيف فيما بين ثلاث عشرة ، الى تسع عشرة ، وتثبتها في العشرة وفي الواحد[٧٥]) .

---

(٧٠) الاصلاح صفحة ٢١٦

(٧١) المصدر السابق صفحة ٢٨٣ وما بعدها .

(٧٢) كنز الحفاظ صفحة ٤٩٠ .

(٧٣) كنز الحفاظ ٢٧١

(٧٤) الاصلاح ٢٩٩

(٧٥) المصدر السابق ، الموضع نفسه .

٨ ـ المصروف وغير المصروف عنده هما المنصرف وغير المنصرف . وهو مصطلح بصرى استعمله الفراء الى جانب مصطلح الكوفيين (مايجري ومالا يجرى)[٧٦] : قال ابن السكيت : « ويقال دخلوا احاد أحاد (غير مصروف لأنه معدول عن جهته عدل واحد الى أحاد) . وكذلك ادخلوا مثنى مثنى . ومثلث مثلث (غير مصروف لأنه معدول عن جهته[٧٧]) .

٩ ـ التصغير : وهو عنده يرادف « التحقير » وهو المصطلح الذي كان شائعا في عصره ، يقول « ويقال أتيته أصيلالا وأصيلانا . قال الأصمعي : وهو تصغير أصيل على غير القياس ، كما صغروا عشيه عشيشية . وكما قالوا لقيته عند مغيربان الشمس ، جمعوا أصيلا على أصلان كما قالوا بعير وبعران . ثم صغروا أصلانا فقالوا أصيلان[٧٨] » .

١٠ ـ مالم يسم فاعله هو المبنى للمجهول : وهو اصطلاح استعمله الكوفيون بعامة ، والفراء بخاصة ، وأورده ابن السكيت كما رأينا فى تعليله لورود كلمة مشيب بمعنى مشوب فى البيت الذي أوردناه عند كلامنا على اعتماد ابن السكيت على الفراء ، في تعليلاته النحوية واللغوية .

١١ ـ القلب والابدال : الذي يقرأ كتابه في القلب والابدال يظن أن ابن السكيت يخلط بين المصطلحين ولا يفرق بينهما ، وقد ذكرت ي مكانه أن ما وصل الينا من هذا الكتاب ، لا يمثل الا القسم الخاص

---

(٧٦) انظر ابو زكريا الفراء صفحة ٤٥٣
(٧٧) كنز الحفاظ صفحة ٥٩٠.
(٧٨) المصدر السابق صفحة ٤٠٧

بالابدال . وأضيف هنا أن المصطلحين لهما مدلولان مختلفان عنده . ولا غرابة فهما معروفان عند الخليل ، والكسائي وسيبويه ، وربما قبل هؤلاء . ومما يدل على أنه يفرق بين المصطلحين قوله في (الاصلاح) معقبا على بيت الشاعر :

لقد صبرت حنيفة صبر قوم كرام تحت أظلال النواحي

فقال : « قال الكسائي : أراد النوائح فقلب[79] ، وقوله في (الألفاظ) : ويقال هو رجل شاكي السلاح ، وشاك السلاح ، أي سلاحه ذو شوكة . وأصله « شائك » فقلب[80] ، وقوله في (الألفاظ) أيضا في معرض كلامه على العدد ومشتقاته : « ومن قال (ساتا) بناه على لفظ ستة . ومن قال (ساديا) أبدل من السين ياء[81] » .

هذه هي المصطلحات اللغوية والنحوية التي استعملها ابن السكيت في كتبه التي وصلت الينا ، ومن الواضح أنه تابع فيها شيوخه ، وخاصة الفراء ، ومن الواضح أيضا أن بعض هذه الاصطلاحات يستعمله الكوفيون والبصريون على السواء وبعضها خاص بالكوفيين[82] .

---

(٧٩) الاصلاح ٨٧

(٨٠) الالفاظ ٥٩٢

(٨١) المصدر السابق ٥٩٠.

(٨٢) مدرسة الكوفة صفحة ٣٤٨ ومابعدها .
وأبو زكرياء الفراء صفحة ٤٣٦ ومابعدها .

٧ ـ أصوله وضوابطه :

تطالعنا في كتب ابن السكيت وخاصة في (الاصلاح) بعض الأصول أو التقعيدات اللغوية ، التي يراد بها ضبط بعض القوانين اللغوية ، وخاصة القوانين الصرفية ، وبعض هذه الأصول أو الضوابط منسوبة صراحة الى الفراء وغيره ، وبعضها الآخر خلو من ذلك مما يوحي بأنها من استنباطات ابن السكيت نفسه ، على أننا لا نستطيع الجزم بذلك لسببين أساسيين :

أولهما : أن كتب اللغة التى وضعها من سبق ابن السكيت ـ وخاصة الفراء ـ لم تصل الينا كاملة •

وثانيهما : أن الذي يقرأ ابن السكيت ويدرسه يخرج بنتيجة واضحة وهي أنه شيخ حفظ ورواية ، وليس شيخ تقعيد وضبط ، واستنباط للأصول • على أن الذي يجعلنا في شك أكبر هو أن ابن السكيت يحرص دوما على نسبة كل قول الى قائله ، وتلك احدى خصاله الحميدة ، فلو كانت لغيره لما أحجم عن التصريح بذلك •

وأيا كان الأمر فنحن نورد بعض هذه الأصول ، ونبدأ ببعض ما نقله عن غيره :

١ ـ نقل القاعدة التى وضعها الفراء لضبط صيغة الفعل المضارع من الثلاثي المضعف ، فقال : « قال الفراء : ماكان على فعلت من ذوات التضعيف غير واقع فان يفعل منه مكسور العين ، مثل : عففت أعف ، وخففت أخف ، وشححت أشح ، وما كان على فعلت من ذوات التضعيف واقعا ، مثل رددت وعددت ومددت ، فان يفعل منه مضموم ، الا ثلاثة أحرف نادرة ، وهى : شده يشُدُّه ويشِده ، وعله يعله ويعله من العلل وهو الشرب الثانى ، ونم الحديث يَنُمِه • فان جاء مثل هذا مما لم نسمعه فهو قليل ، وأصله الضم ، قال : وما كان على أفعل وفعلاء من ذوات التضعيف ، فان فعلت منه مكسور العين ويفعل مفتوح العين ، مثل أصم

وصماء ، وأشم وشماء ، وأحم وحماء ، وأجم وجماء • تقول : قد صممت يا رجل تصم ، وقد جممت يا كبش تجم [٨٣] » •

٢ ـ أما ما جاء على أفعل وفعلاء من غير ذوات التضعيف ، فقد نقل فيه قول الكسائي ، قال : « فان الكسائي قال : يقال فيه فعل يفعل ، الا ستة أحرف ، فانها جاءت على فعُل : الاسمر والآدم ، والاحمق ، والأخرق ، والأرعن ، والأعجف يقال : قد سمر ، وأدم وحمق وخرق ورعن وعجف [٨٤] » •

٣ ـ ونقل قول الفراء ، فيما جاء على فَعلال وفُعَلاء وفَعَلاء وفعلاء ، قال « قال الفراء : وليس في الكلام فعلال مفتوح الفاء ، اذا لم يكن من ذوات التضعيف الا حرف واحد، يقال ناقة بها خزعال ، أي ظلع، فأما ذوات التضعيف ففعلال فيها كثير ، نحو الزلزال ، والقلقال ، وأشباهه ، اذا فتحته فهو اسم ، واذا كسرته فهو مصدر ، نحو قولك : زلزلته زلزالا شديدا ، وقلقلته قلقالا شديدا ، قال : وليس في الكلام فُعْلاء مضمومة الفاء ساكنة العين ممدودة الا حرفان : الخشاء خشاء الأذن ، وهو العظم الناتيء وراء الاذن ، وقوباء ، والأصل فيها تحريك العين ، وهو خششا وقوباء • وسائر الكلام انما يأتي على فُعَلاء بتحريك العين والمد ، نحو النفساء ، وناقة عشراء ، والرغثاء : العصبية التى تكون تحت الثدى • والرحضاء : الحمى تأخذ بعرق • وفعل ذلك في غلَواء شبابه ، وهو يتنفس الصعداء ، وكل هذا مضموم الأول متحرك الثاني ممدود الا أحرفا جاءت نوادر ، وهى شعبى : اسم موضع ••• وأدمى : اسم موضع ، وجنفى : اسم موضع ، والأربى : الداهية •• قال وليس فى الكلام فَعَلاء ممدود مفتوح الفاء والعين الا

---

(٨٣) الاصلاح ٢١٥

(٨٤) المصدر السابق ، الموضع نفسه .

حرف واحد ، وهو ابن تأداء ، وهي الأمة • وقــد يقال : تأداء بتسكين الهمــزة [٨٥] » •••

٤ ــ ونقل قوله في ما جاء على مفعول ، قال : « قــال (الفراء) : وليس يأتي مفعول من ذوات الثلاثة من ذوات الواو بالتمام الا حرفان • وهو مسك مدووف وثوب مصوون ، فان هذين جاءا نادرين والكـلام مصون ومدوف • فأما ما كان من ذوات الياء فانه يجيء بالنقصان والتمام نحو طعام مكيل ومكيول ، ومبيع ومبيوع ، وثــوب مخيط ومخيوط • فاذا قالوا مخيط بنوه على النقص لنقصان الياء في خطت ،والياء في مخيط واو مفعول انقلبت ياء لسكونها ، وانكسار ما قبلها ، وانما انكسـر ما قبلها لسقوط الياء ، فكسر ما قبلها ليعلم ان الساقط ياء • ومن قـــال مخيوط أخرجه على التمام • قال : وليس في الكلام مفعول مضموم الميم الا مغرور لضرب من الكمأة ، ومغفور ، واحد المغافير ، وهو شيء ينضحه العرفط حلو كالناطف وقد يقال : مغثور بالثاء ، وقد يقال فيه أيضا مغثر ومغفر ، ومنخور للمنخر ، ومعلوق لواحد المعاليق ، شبه بفعلول[٨٦]» •

٥ ــ ونقل بعض ضوابط الأصمعي السلبية ، قال :« قال الأصمعي : وليس في الكلام فِعلل مكسور الفاء مفتوح اللام ، الا درهم ، ورجـل هجرع ، للطويل المفرط الطول • وليس في الكلام فعول مما لام الفعـل منه واو فتأتى فى آخره واو مشددة ، وأصلها واوان الا عدو ، وفلـو • ورجل لهو عن الخير ، ورجل نهو عن المنكر • وحكى عن بعض أصحابه : ناقة رغو ، أي كثيرة الرغاء ، شرب حسوا وحساء[٨٧] » •

أما ما جاء من هذه الأصول غير منسوب الى أحد مــــن اللغويين فكثير ، وهذه أمثلة منه :

(٨٥) الاصلاح ٢٢١
(٨٦) الاصلاح ٢٢٢
(٨٧) المصدر السابق ، الموضع نفسه

١ ـ قال في اتصال تاء التأنيث الساكنة بالفعل المضعف : « وكل ما كان على فعلت ساكنة التاء من ذوات التضعيف فهو مدغم ، نحو صمت المرأة وأشباهه [٨٨] »

وذكر بعض النوادر كلححت عينه اذا التصقت ، ومششت الدابة ، وصككت وضبب البلد اذا كثرت ضبابه ، وألل السقاء اذا تغيرت ريحه، وقطط شعره •

٢ ـ وضبط مضارع فِعل بكسر العين ، فقال : « كل فعل كان ماضيه على فِعل مكسور العين ، فان مستقبله يأتي بفتح العين ، نحو علم يعلم ، وكبر يكبر ، وعجل يعجل الا أربعة أحرف جاءت نوادر • قالوا حسب يحسب ويحسب ويئس ييأس وييئس ، ويبس ييبس وييبس، ونعم ينعم وينعم ، فان هذه الأحرف من الفعل السالم جاءت بالفتح والكسر • ومن الفعل المعتل ما جاء ماضية ومستقبلة بالكسر : ومق يمق ، ووفق يفق ، ووثق يثق ، وورع يرع ، وورم يرم ، وورث يرث ، وورى الزنديرى ، وولي يلي [٨٩] • أما فَعل بفتح العين فقال فيه : « وما كان ماضيه على فعَل مفتوح العين فان مستقبله يأتي بالضم أو بالكسر نحو : ضرب يضرب ، وقتل يقتل ، ولا يأتى مستقبله بالفتح ، الا أن تكون لام الفعل أو عين الفعل أحد الحروف الستة ، وهى حروف الحلق : الخاء ، والغين ، والعين ، والحاء ، والهاء ، والهمزة ، فان الحرف اذا كان فيه أحد هذه الحروف الستة ، جاء على فعَل يفعَل ، نحو شدخ يشدخ ، وذبح يذبح ، وقرأ يقرأ ••• وقد يجيء على القياس ، وان كان فيه أحد هذه الحروف ، فيأتى مستقبله بالضم أو الكسر ، نحو دخنت النار تدخن ، ودخل يدخل ، ولم يأت الماضي

---

(٨٨) المصدر السابق ٢١٦

(٨٩) الاصلاح ٢١٢

والمستقبل بالفتح ، اذا لم يكن فيه أحد هذه الحروف الستة ، الا حرفا واحدا جاء نادرا ، وهو أبى يأبى [٩٠] » ٠

٣ ـ وضبط ما جاء على مفعل ومفعلة من اسم الآلة ، قال : « وما كان على مفعل ومفعلة فيما يعتمل فهو مكسور الميم ، نحو مخرز ، ومقطع ، ومبضع ، ومسلة ، ومخدة ، ومصدغة ، ومخلاة ، الا أحرفا جاءت نوادر بضم الميم والعين ، وهي مسعط ، وكان القياس مسعط ، ومنخل ، ومدق ، ومدهن ، ومكحلة ، ومنصل ، وليس في الكلام مفعل بكسر الميم والعين الا حرفان ، قالوا منخر ومنتن ومنتن بضم الميم [٩١] » ٠

٤ ـ وضبط بعض الأمثلة كفعول بتشديد العين ، فقال : « وكل ما كان على مثال فعول مشدد العين ، فهو مفتوح ، نحو خروب ، وسفود ، وكلوب ، وسنوت ـ وهو الكمون ٠٠ الا ثلاثة أحرف جاءت نوادر مضمومة الأول ، وهي سبوح ، وقدوس ، وذروح لواحد الذراريح ، وقد قال بعضهم سبوح ، وقدوس ، ففتح أولها [٩٢] » وضبط ما جاء على فعلول وفعيل أو فعليل ، فقال : « وكل ما جاء على فعلول فهو مضموم الأول نحو قرقور ، وبهلول ، وعمروس ، وعصفور ، وما أشبه ذلك ، الا حرفا جاء نادرا ، وهم بنو صعفوق ، لخول باليمامة « ٠٠٠٠ وما كان على مثال فعيل أو فعليل فهو مكسور الأول ، نحو قولك بصل حريف ، ورجل سكير ، اذا كان شديد السكر ٠٠ وجرجير للبقل ، وسفسير : للفيج والتابع [٩٣] » ٠

---

(٩٠) المصدر السابق ٢١٧
(٩١) الاصلاح ٢١٨
(٩٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه
(٩٣) المصدر السابق ٢١٩

وضبط أيضا ماجاء على مفعيل ، فقال : « وما كان على مثال مفعيل فهو مكسور الاول ، ومؤنثه بغير هاء ، نحو قولك : هذا فرس محضير ، وهذا رجل معطير ، وهذا جواد مئشير من الأشر . ويقال امراة معطير ومعطار ، وعطرة[94] » .

٥ ــ وتعرض للمصدر الميمي واسم المكان وحاول أن يضبطهما، قال: « وما كان على فعل يفعل ، فان مصدره اذا كان على فعل مفتوح العين ، نحو ضربه يضربه مضربا ، والموضع مكسور ، نحو قولك هذا مضربه .

وما كان من ذوات التضعيف ، فانه يأتي في مصدره الفتح والكسر ، نحو قولك تنح عن مدب السيل ومدبه ، وهو المفر والمفر . وما كان على فعل يفعَل ، فان مصدره اذا جاء على مفعل مفتوح العين ، وكذلك الموضع مفتوح ، نحو قولك دخل يدخل مدخلا ، وهذا مدخله ، وخرج يخرج مخرجا ، وهذا مخرجه ، الا أحرفا جاءت نوادر بكسر العين ، وهي مفرق الراس ، وكان القياس مفرق ، ومطلع ..

وما كان فاء الفعل منه واوا وكان واقعا ، فان المفعل منه مكسور ، مصدرا كان أو موضعا ، نحو قولك وعده يعده وعدا وموعدا ، وهذا موعده ، ووصله يصله وصلا وموصلا ، وهذا موصله .. وما كان على فعل ، مما كان فاء الفعل منه واوا وهو غير واقع ، فان مصدره اذا كان على مفعل مكسور ، وكذلك الموضع مكسور ، نحو قولك : وجل يوجل وجلا وموجلا ، والموجل الاسم ... واذا كان الفعل من ذوات الثلاثة ، من نحو كال يكيل ، وأشباهه . فان الاسم منه مكسور ، والمصدر مفتوح ، من ذلك مال ميلا وممالا ، يذهب بالكسر الى الأسماء ، وبالفتح الى المصدر ، ولو فتحتهما جميعا أو كسرتهما في المصدر والاسم لجاز . تقول العرب : المعاش والمعيش ، والمعاب والمعيب ، والمسار والمسير .. فاذا كان يفعل مفتوحا مثل يخاف ويهاب ، أو كان مضموما مثل : يقول ،

---

(٩٤) الاصلاح ٢١٩

ويعول ، فالاسم والمصدر فيه مفتوحان (٩٥) » . واذا كان المصدر مؤنثا، فان العرب قد ترفع عينه ، مثل المقبرة ، والمقدرة ، ولا يأتي في المذكر مفعل بضم العين .

٦ ـ وفي مجال المؤنث والمذكر ، حاول أن يضبطهما في بعض الصيغ كفعيل وفعول وفعلان ، قال : « واذا كان فعيل في تأويل فاعل فان مؤنثه بالهاء ، نحو كريم وكريمة ، وشريف وشريفة ... واذا كان فعول في تأويل فاعل فان مؤنثه بغير هاء نحو قولك : رجل صبور ، وامرأة صبور ، ورجل غدور ، وامرأة غدورة ... الا حرفا نادرا ، قالوا : هي عدوة الله . فاذا كانت في تأويل مفعول بها ، جاءت بالهاء ، نحو الحمولة للابل التي يحتمل عليها ، والحلوبة : ما يحتلبونه . وما كان على مثال مفعيل أو مفعال ، كان مذكره ومؤنثه بغير الهاء ، نحو رجل معطير ، وامرأة معطير ، وهما الكثيرا العطر .. وما كان من النعوت على فعلان فأنثاه فعلى ، هذا هو الأكثر ، نحو غضبان وغضبى ، وعجلان وعجلى ، وسكران وسكرى ، وغرثان وغرثى .. وملآن وملأى .. ولغةبني أسد : سكرانة ، وملآنة ، وأشباههما . وقالوا : رجل سيفان ، وامرأة سيفانة ، وهو الطويل الضامر المشوق . ورجل موتان الفؤاد ، وامرأة موتانة . وما كان على فعلان أتى مؤنثه بالهاء ، نحو خمصان وخمصانة وعريان وعريانة (٩٦) » .

٨ ـ منزلته العلمية :

لا بد لنا بعد أن وصلنا الى نهاية جولتنا مع ابن السكيت في حياته، وكتبه ، وعلمه ، أن نقوم تلك الأعمال التى تركها ، وأن نحدد مكانته بين علماء العربية ، الذين حملوا رايتها ، وساروا تحت لوائها . وأفنوا

---

(٩٥) الاصلاح ٢٢٠\٢٢١
(٩٦) الاصلاح ٣٥٧\٣٥٨ .

أعمارهم في حفظها وتدوينها ودراستها ، تلك الأعمال التى تركها على قلة ما وصل الينا منها •

وقد انتهينا من هذا البحث الى أن ابن السكيت كان أحد اولئك الشيوخ العظام الذين شدوا الرحال ودخلوا البادية ، وشاركوا الأعراب في عيشهم الضنك في تلك الصحارى المجدبه ، وفوق تلك البحار الرملية الشاسعة ، يقاسون برد الشتاء وحر الصيف ، ويحرمون أنفسهم من لذات الدنيا في حواضر العراق وغير العراق ، لا لشيء الا الرغبة في التزود من زاد العربية ، ومشافهة فصحائها ، وتدوين ما يسمعونه من السنة ابنائها العرب الخلص ثم يعودون لينسقوا ماكتبوه ، ويدونوا ما سمعوه ، ثم يخرجوه الى الناس في رسائل صغيرة ، أو مجلدات ضخام فيجتمع عليهم الناس وتزدحم مجالسهم ، ويقصدهم القاصي والداني للاغتراف من علمهم ، والاستماع الى نوادرهم • كان ابن السكيت من هؤلاء الشيوخ العظام ، وقد سبقه الى هذا الفضل عدد غفير من أئمة العربية فيالقرنين الثاني والثالث ولم يكن هو آخر من فعل هذا ، فقد جاء بعده من سار على نفس الطريق ، ونسج على نفس المنوال ، وتجشم ما تجشمه أسلافه فأتى مثلهم بثمار يانعة •

وحسبنا أن نذكر من هؤلاء الذين سبقوه : الخليل ، وسيبويه ، والأصمعي ، وأبا زيد ، وأبا عبيدة ، وغيرهم من أئمة البصرة ثم المفضل الضبي ، والكسائي ، والفراء ، وأبا عمرو الشيباني ، وأبا عبيد القاسم ابن سلام ، وابن الأعرابي ، من أئمة مدرسة الكوفة ، وعلى أكتاف هؤلاء وهؤلاء أقيمت أعمال هاتين المدرستين العريقتين اللتين كان لهما الفضل الأول في الرواية ، والنقل وتدوين اللغة ، وعلى أعمالهم أسس علم العربية ، وبما حفظوه لنا مما سمعوه من الأعراب من ألفاظ اللغة ، وأشعارها وآدابها • أمكن وضع اللبنة الأولى لدراسة اللغة وضبط قواعدها واستنباط أصولها ، تلك الدراسات التي جمعها كتاب سيبويه ، وتوالى عليها من جاء بعده ، وما زالت تتطور وتتوسع حتى توجت

بأعمال أئمة اللغة في القرن الرابع أمثال أبي علي الفارسي ، وابن خالويه ، وابن جنى ، وأحمد بن فارس ، تلك الدراسات التي جمعها أمام من أئمة العربية هو ابن سيده في كتابه المخصص ، وكفاه ذلك فضلا •

اذن ماقام به رواد العربية وطلائعها فى النصف الثاني من القرن الثاني ، وفي القرن الثالث وعلى الأخص نصفه الأول هو أساس الدراسات التي نشأت في تلك الحقبة أيضا ، وتطورت وتوسعت حتى آتت أكلها في القرن الرابع • وهنا يقف ابن السكيت وأصحابه ، وفي مثل هذه المكانة يجب أن نضعهم •

هذا فضلا عن ان هؤلاء الأئمة هم الينابيع الأساسية التي نهل منها واضعو المعاجم العربية كالجوهري ، وابن سيده ، والمجد ، وابن منظور ، وغيرهم ولذلك ازدحمت صفحات معاجمهم بأسماء هؤلاء الشيوخ ومن رواياتهم ونقولهم تتألف مادة معاجمهم •

أما ابن السكيت فيكفي أن نشير الى ذلك الاهتمام الذي أثارته كتبه لدى علماء العربية من بعده ، حتى أثار تلك الحركة الواسعة في التأليف • فهذا (اصلاح المنطق) تتداوله الأيدي • ويعجب به علماء العربية منذ الوهلة الأولى فيغزو أهل البصرة في عقر دارهم ، وهم على ما نعلم من تعصب لأبناء مدرستهم ، وحسبنا أن نشير الى ما قاله المبرد شيخهم في (اصلاح المنطق) حين قال « مارأيت للبغداديين كتابا في اللغة أحسن من كتاب ابن السكيت (اصلاح المنطق)[٩٧] وحسبنا أن نشير أيضا الى ذلك الأثر البعيد الذي تركه فى أشهر كتب العصر كأدب الكاتب لابن قتيبة ، وفصيح ثعلب • هذا فضلا عن ما أدى اليه من حركة واسعة في التأليف شملته بالدراسة شرحا وتلخيصا وتهذيبا على نحو ما عرفنا في مكانه • أما كتاب (الألفاظ) فحسبنا أن نشير الى أنه كان مدرسة انفصلت عن مدرسة كتب الصفات التي تجمعت فيها مدرسة الرسائل

---

(٩٧) مرآة الجنان ٢\١٨٩

اللغوية ، ذات الموضوع الواحد • وقد رأينا ما كان لكتاب (الألفاظ) من أثر في كتب ألفت بعده ، وكان لها شأن عظيم : كجواهر الألفـــاظ لقدامة بن جعفر ، والألفاظ الكتابية للهمذاني ، وفقه اللغة للثعالبي • أما كتاباه في القلب والابدال ، والأضداد ، فحسبنا أن نشير الى أنهما أقدم ما وصل الينا في هذين البابين ، وحسبنا أن نشير أيضا الى أن كتـــاب القلب والابدال كان عليه المعول في دراسة هاتين الظاهرتين اللغويتين ف القرن الرابع ، وخاصة عند ابن جنى الذي وعد بشرحه وهو يؤلف كتاب الخصائص كما رأينا •

خاتمــــة

في خلاصة البحث ونتائجه الاساسية

شهد العصر العباسي الأول تطورا خطيرا في مختلف نواحي الحياة ، فقد بلغت فيه الدولة الاسلامية أوج عظمتها ، وتطورت فيه الحياة الاجتماعية تطورا عظيما فامتزج العرب بغيرهم من الأمم ، وتكون جيل جديد يحمل خصائص الشعوب التي تكون منها المجتمع الاسلامي ، وازدهرت العلوم ، وازداد اطلاع العرب على الثقافات الأخرى بما نقل اليها من كتب عن الهندية ، والفارسية ، والسريانية ، واليونانية • ونطورت علوم الدين واللغة ، فدونت فيه كتب التفسير والفقه والحديث، وجمعت اللغة ودونت ، وقامت دراسات في قواعد اللغة وأصولها وخصائصها تجلت في كتاب سيبويه وغيره من كتب ذلك العصر •

في هذا العصر ولد ابن السكيت ، وكانت ولادته كما رجحنا سنة ثمان وثمانين ومائة ، ذلك أن هناك اجماعا لدى المؤرخين أنه قتل وهو في الثامنة والخمسين من عمره ، وأنه كما رجحنا أيضا قتل سنة ست وأربعين ومائتين •

ولا نعرف من اسمه ونسبه سوى أنه أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت • وأنه من أصل خوزي ومن احدى قرى دورق بالأهواز ، ولا نستطيع أن نذهب مع (بروكلمان) الى أنه من أصل آرامي ، اذ أن ذلك يحتاج الى مايؤيده ، وليس فيما بين أيدينا من مصادر مايدعم هذا الرأي• وكل ما نعرفه عن الخوز أنهم قوم يتكلمون لغة ليست بهندية ، ولا أوربية ، ولا سامية ، وربما كانوا من بقايا الأنزانيت على نحو ما ذكر فى دائرة المعارف الاسلامية • وأنهم يتصفون ببعض الصفات الذميمة •

كان أبوه اسحاق معلما لصبيان العامة في درب القنطرة ببغداد ، وكان من أصحاب الكسائي ثم الفراء من بعده • وكان عالما باللغة وأشعارها • ولا نعرف عن أسرته سوى أن ابنه يوسف عاش من بعده ، وكان عالما وأنه كان نديما للمعتضد • أما ما ذكره السيوطي في البغية من أن أمه كانت حية عندما قتله المتوكل وأنه أرسل اليها بديته ، فلانستطيع

الاخذ به ، لأن أحدا غيره لم يذكره •

ولا نعرف عن طفولة ابن السكيت أكثر من أنه نشأ في درب القنطرة ، فلما كبر أخذ يعلم صبيان العامة مع أبيه • ويبدو أن هذه المهنه لم تسد رمقه ، أو لم تشبع طموحه ، فاتصل ببشر وابراهيم ابني هارون النصراني ، وكانا كاتبين لمحمد بن عبد الله بن طاهر ، فعهد اليه بابنه ليؤدبه • ويبدو أن هذه المنزلة التي وصل اليها مكنته من الاتصال ببعض رجال البلاط العباسي ، فاتصل بمحمد بن عبد الملك الزيات الذي وصله بالخليفة الواثق ،فكان يحضر مجالسهما ، ويشترك في مناظراتهما ثم اتصل بالفتح بن خاقان الذي أوصله الى المتوكل فعهد اليه بتأديب ولديه المعتز والمؤيد وجعله من ندمائه •

وتضطرب المصادر كثيرا في ذكر أسباب مقتله وتاريخه ، الا أن هناك اجماعا من قبل المؤرخين على أنه قتل بسبب تشيعه ، ومن المؤرخين من يقول أن ذلك يرجع الى أن المتوكل أمر ابن السكيت في أحد مجالس شرابه بأن يشتم رجلا قرشيا فأبى ، فأمر المتوكل القرشي فشتم ابن السكيت ، فرد عليه • وأثار ذلك غضب المتوكل فأمر بقتله • ولم نستطع الأخذ بهذه الرواية لضعفها • اذ ما الذي يجعل المتوكل يأمر ابن السكيت أن يشتم قرشيا وهو نفسه عباسي قرشي ؟

على أن أكثر المؤرخين يذكرون أن سبب قتله يرجع الى مناقشة بينه وبين المتوكل لم يكن فيها ابن السكيت حكيما فأجاب المتوكل بكلام قاس شديد حين سأله : « أيهما أحب اليك ولداى هذان (يقصد المعتز والمؤيد) أم الحسن والحسين ؟

ويبالغ بعض المؤرخين فيجعلون من جواب ابن السكيت شتائم محضة الا أنه من الأرجح أن ابن السكيت غض عن ولدى المتوكل ، وذكر الحسن والحسين بما هما أهل له •

ومن المؤرخين المتأخرين كالذهبي وابن تغرى بردى من يذكر أن المتوكل انما قتل ابن السكيت لأنه نعى عليه هدمه قبر الحسين في أبيات

له . وقد استبعدنا ذلك لطول الزمن بين هدم قبر الحسين ومقتل ابن السكيت . فما الذي يجعل المتوكل ينتظر سبع سنوات على أقل تقدير حتى ينتقم من ابن السكيت ؟ هذا فضلا عن ان هذه الأبيات تنسب الى شاعر آخر .

وقد رجحنا أن سبب مقتله يرجع الى أن المتوكل علم بتشيع ابن السكيت . فأثار ذلك غضبه ، فأراد امتحانه فطرح عليه ذلك السؤال ، وكانت اجابة ابن السكيت كافية لاقناعه بصحة ما علم ، فأمر الأتراك فقتلوه .

وقد ذكر الخطيب البغدادي أن مقتله كان ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب ، ولم يخالفه أحد من المؤرخين فى ذلك . غير أن هناك خلافا شديدا بينهم في ذكر السنة التي قتل فيها ، فقد قيل أن ذلك كان سنة ثلاث واربعين ومائتين ، وقيل سنة أربع وأربعين ، وقيل سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة ست وأربعين .

ونحن نستبعد أن يكون مقتله سنة خمس وأربعين ومائتين ، لأن أحدا غير ابن الأثير لم يذكرها . وكذلك نستبعد أن يكون مقتله سنة أربع وأربعين ، لأن المتوكل ترك العراق في أواخر سنة ثلاث وأربعين وانتقل الى دمشق ، وبقى فيها حتى اضطر الى العودة لأنه لم يستطع تحمل برد الشتاء في الشام ، وكثرة الثلوج . ومعنى ذلك أنه لم يعد الى العراق الا فى منتصف الشتاء على أقل تقدير ، ولو رجعنا الى التقويم الهجري وما يقابله من التقويم الميلادي ، لوجدنا ان الخامس من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين يصادف السابع عشر من أكتوبر سنة ٨٥٨ م ، وهذا يعني أن المتوكل قضى شهر رجب بعيدا عن العراق ، وعلى هذا فلا يمكن أن يكون ابن السكيت قتل في هذه السنة الا اذا كان ذلك بعد عودة المتوكل الى سامراء ، أي بعد رجب بأشهر عديدة ، وهذا يخالف ما هو شبه اجماع بين المؤرخين .

ونحن نرجح أنه قتل سنة ست وأربعين ومائتين ، لأن ابن النديم وهو قريب من عصر ابن السكيت لم يذكر غيرها . كما أن أحد تلامذة ابن السكيت وهو عبد الله بن الحسن الحراني ذكر أنه كتب من ابن السكيت من سنة خمس وعشرين حتى قتل ، وقال انه قتل قبل مقتل المتوكل بسنة . ومن المعلوم أن المتوكل قتل سنة سبع وأربعين ومائتين .

وأبرز ما في شخصية ابن السكيت جانبان متناقضان يدلان على ازدواج فى شخصيته . فهو متواضع أشد التواضع بحيث لا يجد غضاضة في التعلم من صاحب له أصغر سنا كثعلب ، ومن ناحية أخرى مغرور يتعالم على شيوخه ويتطاول عليهم ويحرص على تخطئتهم ، وتسقط غلطاتهم ، فعل ذلك مع أبي نصر والأثرم ، واللحياني ، وابن الأعرابي ، فمنهم من كان يتقبلها منه على مضض ، ومنهم من كان يرده ردا عنيفا . على أن هناك جوانب أخرى من شخصية ابن السكيت تدل على أخلاق حسنة . وخاصة أمانته العلمية التي تحلى بها في كافة مؤلفاته ، فكان يحرص على نسبة كل قول الى قائله ، ورد كل رواية الى راويها ، ويدلنا شعره على أنه كان يتحلى بالصبر ولا يقبل الضيم ، وأنه كان مؤمنا صابرا لا ييأس من رحمة الله .

وكان ابن السكيت كوفي المذهب ، وليس هناك أدنى شك في ذلك . وكان مبرزا في علم اللغة ورواية الشعر . وكان العلماء يقرنونه بابن الأعرابي .

الا أن بعض المتقدمين زعموا أنه كان يضعف في النحو ، ويذكرون أنه لم يستطع أن يزن كلمة (نكتل) عندما سأله المازني فى أحد مجالس الواثق أو ابن الزيات عن ذلك :

ونحن نرجح أن هذه القصة مختلقة من أساسها ، فكل ما بين أيدينا من كتب ابن السكيت ينفي هذا الزعم ، ونظرة واحدة في اصلاح المنطق مثلا تدلنا على أن ابن السكيت كان متمكنا من علم الصرف ، فقد بنى أكثر أبواب هذا الكتاب على الأوزان .

وشيوخ ابن السكيت كثيرون أكثرهم كوفيون ، كالفراء واللحياني وأبي عمرو الشيباني وابن الأعرابي ، وبعضهم بصريون كالأثرم ، وأبي نصر صاحب الأصمعي • وهو يحكي كثيرا عن شيوخ لم يسمعهم كالكسائي ، والأصمعي ، وأبي زيد ، وأبي عبيدة •

وتلامذته كثيرون أيضا ، وأشهرهم أبو حنيفة الدينوري ، والمفضل بن سلمة ، وأبو سعيد السكرى ، والحزنبل ، وعبد الله بن رستم وكان مستمليه •

وممن عاصره ، وكان على اتصال به ، أبو عبيد ، وثعلب الذي صحبه طويلا ، والمازني ، والطوسي •

وصنف ابن السكيت تسعة وثلاثين كتابا في الأدب واللغة ، من أشهرها : اصلاح المنطق والألفاظ والأضداد ، والقلب والابدال ، والمقصور والممدود ، والمذكر والمؤنث، والمثنى والمكنى والمبني ، وغيرها مما هو مبين في مكانه من هذا البحث • وجمع وشرح دواوين اثنين وأربعين شاعرا من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين بالاضافة الى شرحه لديوان أبي نواس ، وشرحه قصيدة لعمارة بن عقيل من شعراء العصر العباسي •

وأشهر كتبه قاطبة « اصلاح المنطق » ، ويبدو أنه من أوائلها ، يدل على ذلك اضطرابه في تأليفه وخلطه بين أبواب لا تجمعها رابطة • وقد بنى هذا الكتاب في أكثر أبوابه على أساس الأبنية ، كباب فَعَل وفِعْل ، وباب فِعِل وفَعْل ، وباب فَعْل وفَعَل • وأورد فيه أبوابا أخرى كثيرة كان يقصد في معظمها الى اصلاح الأخطاء الشائعة فى لغة العامة والخاصة في عصره •

وقد اهتم العلماء ممن عاصروا ابن السكيت أو جاؤا بعده بهذا الكتاب • فقال عنه المبرد : « ما رأيت للبغداديين كتابا في اللغة أحسن من كتاب ابن السكيت « اصلاح المنطق » • وقال آخرون : « ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل (اصلاح المنطق) » • وقد بلغ من

اهتمام الناس به أن غزا أهل البصرة في عقر دارهم ، فكان يقرأ في سوق الوراقين فى حياة الرياشي الذي آثار ذلك غضبه فقال قولته المشهورة : « انما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب ، وأكلة اليرابيع • وأخذها هؤلاء عن أهل السواد أكلة الكوامخ والشواريز » •

وقد قامت دراسات كثيرة حول هذا الكتاب ، فاختصره عدد كبير من العلماء من أشهرهم زيد بن رفاعة ، والوزير المغربي ، والراغب الأصفهاني ، وهذبه كثيرون منهم الخطيب التبريزي ، بالاضافة الى آخرين شرحوه ، ورتبوه على حروف المعجم ، كما قام بشرح أبياته أبو محمد بن السيرافي •

وتكمن أهمية « اصلاح المنطق » في أمور عديدة منها :

أ ـ أنه من كتب اللغات ، فقد عرف فى ذلك العصر اهتمام الناس بلغات القبائل ، وقد قامت محاولات عديدة لتدوينها • وأكثر أبواب الجزء الأول «من اصلاح المنطق» تهتم باللغات وخاصة تلك الأبواب التي تتعرض لذكر صيغتين باتفاق معنى • وابن السكيت يشير في هذا الكتاب الى لغات القبائل اما صراحة بذكر لغة القبيلة ، أو ايماء بذكر النسب كقوله : قال الهذلي ، أو الوالبي ، أو اليشكري ، وغير ذلك •

ب ـ أنه من كتب لحن العامة ، والواقع أن عنوانه يدل على أن غرضه الأساسي معالجة الخلل الذي طرأ على اللسان سواء عند الخاصة ، أو عند العامة •

والأبواب التي تعالج لحن العامة في « اصلاح المنطق » يمكن تصنيفها الى أبواب تعالج اللحن في ضبط الكلمات ، وأبواب أخرى تعالج اللحن الذي ينشأ عن تحريف الحروف : كهمز غير المهموز ، وقلب السين صادا وبالعكس • والنوع الثالث من اللحن هو الذي ينشأ عن استعمال صيغة بدل أخرى كصيغتي فعل وأفعل • والنوع الرابع يشمل أبواب ما تضعه العامة في غير موضعه ، أو ما يمكن تسميته باللحن في الاستعمال ، وأبوابه متفرقة في الكتاب •

جـ ــ وكتاب « اصلاح المنطق » من كتب الأبنية ، ففيه أبــواب كثيرة تعرضت لأبنية الأسماء ، والأفعال ، وخاصة في الجـزء الأول من الكتاب • وقد تعرض لأبنية الاسماء وخاصة لتلك التي عنى فيها بالألفاظ التي يأتي فيها مثالان لا مثال واحد • وأما أبنية الافعال ، فقد أورد فيه أبوابا تعرضت لمجرد الثلاثي ، ومجرد الرباعي ، ومزيد الثلاثي كصيغ فعلت ، وفاعلت ، وتفاعلت ، ولصيغتي فعل وأفعل •

د ــ والى جانب هذا فقد ضم فوائد كثيرة كتعرضــه للألفاظ ، وتعدد معانيها ، وللمثنى ، وما يقال بالنفي ، وغير ذلك •

ولكن يلاحظ عليه أن الاضطراب فيه كثير ، وخاصة فى أبــواب الجزء الثاني ، حيث بعثر الأبواب هنا وهناك على غير نظام ، وجمع بين أبواب لا تربطها رابطة ، وفرق أخرى كان يجدر به أن يضمها معـــا ، وحشد المواد في كل باب بغيرتنظيم ، وكثر عنده التكرار •

وابن السكيت في هذا الكتاب حريص على الاستشهاد بالقرآن ، والشعر ، والحديث ، والأمثال والأقوال السائرة • وبلغت عنده الأمانة العلمية أنه لم يترك قولا الا عزاه لقائله ، ولا رواية الا ردها الى صاحبها، فاكتظت صفحات كتابه بأسماء اللغويين ، والفصحاء ، والرجال بشــكل عده المتأخرون عيبا ، فانكبوا عليه تلخيصا ، وتهذيبا ، وترتيبا • وقيل ان ابن السكيت نفسه انتبه الى كل ذلك ، فاختصره مرتين •

ومن أوائل الدراسات التي قامت حوله الاختصار الذي عمله زيد ابن رفاعة أحد مؤسسي المدرسة الفلسفية المعروفة باخوان الصفا ،وسماه (جوامع اصلاح المنطق) ، وقد ترك أبواب الكتاب على ماهي عليه في الأصل ، ولم يغير في ترتيبها الا تغييرا طفيفا ، فقدم بعض الأبــواب ، وأخر أخرى ، وجمع أبوابا ، وفرق أخرى • أما مادة الأبواب فقد تركها كما هي ، ولكنه اختصر بعض الشروح • وربما زاد فيها شيئا • وحذف بعض الشواهد ، وبعض أسماء اللغويين والفصحاء •

واختصره أيضا الوزير المغربي (٤١٨) ومنه نسخة مصورة بدار الكتب ، والواقع أن عمل الوزير المغربي في هذا الكتاب لايعد اختصارا، بل اعادة للتأليف ، فقد أخذ مادة الكتاب وصبها فى قوالب جديدة • وقسمه الى ثلاثة أجزاء : وهي أمثلة الأسماء ، وأمثلة الأفعال ، واللفيف• وجمع في كل جزء منها الأبواب الخاصة به ، وربما أضاف اليها أبوابا استنبطها من الكتاب ولم تكن فيه ، وعمد الى بعض الأبواب فنثر مادتها على أبواب أخرى • وتوخى الدقة في معالجته مادة كل باب فرتبها على حروف المعجم معتمدا على حروفها الأول ، الا أنه لم ينظر الى الحرف الثاني أو الثالث • وحذف الشواهد أيا كان نوعها • وقد استحق هذا الاختصار ثناء أبي العلاء المعري •

وقد اختصره أيضا الراغب الأصفهاني (٥٠٢) وسماه (خلاصة اصلاح المنطق) ، ومنه نسخة مخطوطة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب • وقد عمد الراغب الى (اصلاح المنطق) فجرده من الشواهد والاستطرادات ، ورتب مادة بعض أبوابه على حروف المعجم ترتيبا دقيقا ، بينما ترك أبوابا أخرى على ما كانت عليه في الاصل من حيث ترتيب المواد ، واستنبط أبوابا جديدة من الكتاب ، الا أنه كان في بعض الأحيان أشد ارتباكا من ابن السكيت فجمع بين أبواب لا تربط بينها صلة •

ويعد تهذيب التبريزي لاصلاح المنطق من أهم الدراسات التى قامت حول هذا الكتاب ، وقد طبع جزء منه ، وتوجد نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب ، وقد عمد التبريزي الى أبواب الكتاب ، وخاصة في الجزء الثاني فأجرى فيها بعض التغييرات الهامة متلافيا الاضطراب الذي يكتنفها في الأصل ، فجمع بعض الأبواب الى بعضها ، وفرق أخرى ، وربما فصل الباب الواحد الى عدة أبواب ، الا أنه لم يحالفه التوفيق دائما ، فوقع أحيانا فى نفس الخطأ الذي وقع فيه ابن السكيت ، فضم بابا الى أخر وليس بينهما رابط ، وحين تعرض لمادة الكتاب حذف

كل ما وجده زائدا وربما كان ذاك كلمة ، أو جملة ، أو عدة جمـــل ، واستغنى عن بعض الشروح عندما يجد المعنى واضحا • الا أن حذفـه هذا ربما ترك المعنى غامضا • وحذف مواد أو استبدل بها مواد أخرى ، ولم يكن يأبه بذكر الشيوخ الذين ينقل أو يحكي عنهم ابن السكيت ، فحذف أسماءهم ولم يذكرهم الا عند الضرورة • وأضاف مواد جديدة حينما وجد الأمر يقتضي ذلك ، وربما زاد في الشروح فشرح معنى غامضا أو كلمة مبهمة ، وأثبت شواهد الكتاب من الشعر ، وربما ذكر بيتا أو أبياتا قبل الشاهد أو بعده ،وأكمل البيت اذا كان ابن السكيت اكتفى بذكر شطره ، وربما ذكر المناسبة التي قيلت فيها القصيدة التي منها البيت وسمى اسم الشاعر في أكثر الأحيان ، وشرح الشاهد شرحا مفصلا معتمدا في ذلك على ابن السيرافي كما نص في المقدمة • وبقدر اهتمامه بشواهد الشعر أهمل الشواهد الأخرى ، وربما حذف بعضها وخاصة شـــواهد القرآن الكريم ، وكأنه ظن فيها الوضوح فعدّها زائدة •

أما ترتيب المواد فقد تركه على ما هو عليه عند ابن السكيت مــن غير أن يرتبها على حروف المعجم •

وقد شرح (شواهد اصلاح المنطق) أبو محمد ابراهيم بن أبـــي سعيد السيرافي (ت ٣٨٥ هـ) ، ومنه نسخة مصورة بمعهد المخطوطـات بالجامعة العربية بعنوان (تفسير أبيات اصلاح المنطق) • وطريقته فــي التفسير أن يأتي بالمادة أو المواد المستشهد لها ، ثم يورد الشاهد بعد أن يذكر اسم قائله فى الغالب ، ويذكر المناسبة التي قيلت فيها قصيـــدة الشاهد أحيانا • ثم يوجز معنى البيت في الأغلب ، وربما أورد بعـــض الابيات التي تسبقه ، وبعد ايجاز المعنى يفسر الالفاظ الغريبة• وقديورد شواهد أخرى تأيدا لشروحه وتفسيره للألفاظ •

ولا يقل « كتاب الألفاظ » أهمية عن اصلاح المنطق ، الا أنه لم ينـل الحظوة التي نالها (الاصلاح) عند علماء العربية قديما • فلم يعنوا به ، ولم يدرسوه باستثناء التبريزي الذي هذبه •

ويتناول هذا الكتاب ألفاظ المعاني ، وقسمه ابن السكيت الى ابواب ، كباب الخصب والغنى ، وباب الفقر والجدب ، وباب الجماعة من الأبل ، وأبواب أخرى أورد فيها الألفاظ التي تدل على المعاني المتشابهة أو المتقاربة كنفي الطعام ، وصفة الملابس ، والنساء ، والأشربة ، وغير ذلك . وقد تلافى فيه ابن السكيت الأخطاء والعيوب التي وقع فيها في (اصلاح المنطق) ، لذلك لانجد فيه الاضطراب في التبويب ، وعدم التنظيم في معالجته لمواد كل باب ، وهذا ما دعانا الى الاعتقاد بأنه من أواخر مصنفاته .

وقد هذبه كما قلنا التبريزي الا أن تهذيبه لهذا الكتاب لم يكن ذا أهمية كما كان تهذيبه لاصلاح المنطق ، ولعل ذلك يرجع الى أن ابن السكيت تلافى في (الألفاظ) ما وقع فيه في (الاصلاح) من اضطراب ، وسوء فى التبويب ، واستطراد وتكرار .

وعلى الرغم من أنه لم تقم حول كتاب (الألفاظ) دراسات مباشرة كالتي قامت حول (اصلاح المنطق) ، فقد أثر تأثيرا كبيرا في حركة التأليف اللغوي فيما بعد . ومما لاشك فيه ان ابن قتيبة تأثر كثيرا به وباصلاح المنطق ، وغيرهما من كتب ابن السكيت في تأليفه لكتابه المشهور « أدب الكاتب » .

ونستطيع أن نقول ان هناك مدرسة تسمى مدرسة الألفاظ انفصلت عن مدرسة الصفات التي يمثلها كتابا (الغريب المصنف) لأبي عبيد ، و (المخصص) لابن سيده . وهذه المدرسة ــ مدرسة الألفاظ ــ يمثلها كتاب ابن السكيت هذا ، وأيضا كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني (ت ٣٢٠ هـ) وكتاب فقه اللغة للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) .

فكتب الصفات ليست الا موسوعات لغوية تضم بين طياتها معظم ألفاظ اللغة مبوبة حسب موضوعاتها . كأبواب خلق الانسان ، والابل ، والخيل ، والنبات والشجر ، والأضداد ، والقلب والابدال ، وغيرها من

الموضوعات اللغوية • وبعبارة أخرى تجمع كافة الموضوعات التي كانت تفرد لها رسائل خاصة •

أما كتب الألفاظ فلا يعنيها من ذلك كله الا الألفاظ التي تدل على المعاني ، أو التي تطلق على مسميات لابد للمتعلم من حفظها وتعلمها •

والواقع أن هذه الكتب تجمعها ظاهرة واحدة ، وهي العناية بألفاظ المعاني وترتيبها ، الا أن لكل منها خصائص تختلف عن خصائص الكتب الأخرى لاختلاف الغرض الذي قصد اليه من تأليفه • فابن السكيت كان يقصد في هذا الكتاب الى مجرد الجمع اللغوي ، ولذلك عنى كثيرا بالغريب • أما الهمذاني فكان غرضه تعليميا صرفا ، أو كما قال الصاحب ابن عباد أنه ألفه لصبيان المكاتب ، ولذلك نجده يعنى بالسهل المستعمل من الألفاظ مع بعض الحرص على الترتيب • وقصد الثعالبي الى التعليم ، ولكنه أراد أن يكون كتابه لكافة الطبقات ، ولذلك جمع بين الغريب والمستعمل ، واشتدت عنايته بالترتيب ، فابتدع طرقا في ذلك ، فكان يرتب الألفاظ متدرجا بها من الصغر الى الكبر ، أو من الضعف الى القوة ، أو من القلة الى الكثرة ، ولذلك جاء كتابه أكثر دقة مما سبقه من الكتب •

ويأتي بعد كتاب « الالفاظ » كتاب « الأضداد » وقد اختلف علماء العربية في وجود ظاهرة التضاد في اللغة فردها بعضهم الى عوامل كثيرة ، أهمها اختلاف اللهجات ، واعتبارات أخرى كارادة التفاؤل أو التشاؤم • أو التهكم ، وانتقال اللفظ عن معناه الى آخر مجازي لنكتة بلاغية أو لعلاقة بينهما ، وغير ذلك من الأسباب •

وقد ألفت في الاضداد كتب كثيرة وصل الينا منها كتب أبي حاتم السجستاني ، وابن السكيت ، وأبي بكر الأنباري ، والصغاني ، وابن الدهان •

وطبع المستشرق الالماني أوغست هفنر كتب السجستاني ، وابن السكيت ، والصغاني فى مجموعة واحدة ببيروت ١٩١٢ ، وصدرها

بكتاب منسوب الى الأصمعي •

ومن دراستى لهذا الكتاب ومقارنته بكتاب ابـن السكيت انتهيت الى أنهما نسختان لكتاب واحد ، لأنهما لا يختلفان الا بزيادة أو نقصان عبارة أو شاهد من احدهما ، وبزيادة أحد عشر لفظا في النسخة المنسوبة للأصمعى • وقد بينت أن كل هذا لا يبـرر أن يكون الكتابان لمؤلفـين مختلفين •

والواقع أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون للأصمعي ، لعـدة أسباب ، منهـا :

أ ــ أن فيه استشهاد بشعر الكميت ، ونحن نعلم أن الأصمعي لـم يستشهد بشعره ، وكان يطعن عليه دائما ، وكان يقول عنه أنه جرمقانـي مـن أهل الشـام •

ب ــ وفي الكتاب عبارات تدل علـى أن المؤلف غير الأصمعي ، كقوله في سياق الشرح : (قال الأصمعي) ، و (أنشد الأصمعي) •

جـ ــ وفي الكتاب روايات كثيرة عن أبي عبيدة ، وأبي زيد ، ونحن لا نعلم أن الأصمعي كان يروى عنهما •

د ــ وفي الكتاب رواية عن الأثرم ، وهو تلميذ الأصمعى • فهـل يجوز أن يروى الشيخ عن تلميذه ؟

هـ ــ وفيه روايات كثيرة عن بعض شيوخ مدرسة الكوفة ، كأبي عمرو الشيباني والفـراء وابن الأعرابي • وهـذا يقطع بأن الأصمعـي البصري لا يمكن أن يكون مؤلفه ، لأننا لا نعلم أن احدا من البصريين غير أبي زيد روى عن الكوفيين •

ونحن نرجح أن المؤلف هو ابن السكيت ، لأن كل هـذه الظواهر التي تحدثنا عنها آنفا تدل على ذلك •

فالشيوخ الوارد ذكرهم في النسختين هم شيوخ ابـن السكيت ، كأبى عمرو الشيباني ، والفراء من الكوفيين ، والأثرم مـن البصريين • ونحن نعلم أنه كان يحكى كثيرا عن الأصمعي ، وأبى زيد ، وأبي عبيدة •

وفي الكتاب رواية عن أحد الفصحاء المعروف بالكلابى ، وهذا اللقب كثيرا ما نشاهده فى كتبه الأخرى ، وخاصة في الاصلاح ، والألفاظ •

أما التغيير اليسير الذى حدث في احدى النسختين ، فيمكن ارجاعه الى أن ابن السكيت أعاد النظر في الكتاب فنقحه ، ونحن نعلم أن ابن السكيت كان شديد الولع باعادة النظر في كتبه وتنقيحها • فقد رأيناه يختصر اصلاح المنطق مرتين على نحو ما ذكرنا آنفا •

وتختلف كتب الأضداد التى وصلت الينا في عدد ألفاظها وطريقة معالجتها •

ففي احدى نسختى ابن السكيت أربعة وتسعون لفظا ، وفي النسخة الثانية مائة وخمسة ألفاظ ، وازدادت عند السجستاني فبلغت مائة وخمسة وسبعين ، وعند أبى بكر الأنبارى ثلاثمائة وسبعة وخمسين ، وعند الصغانى (ت ٦٥٠ هـ •) ثلاثمائة وسبعة وستين •

ويمتاز كتابا ابن السكيت ، والسجستانى بسعة مادتهما ، وكثرة شواهدهما ، وفاقهما في ذلك كتاب ابن الأنباري الذي توسع فى شرحه ، وأكثر من شواهده بحيث خرج في كثير من الأحيان عن الغرض •

أما ابن الدهان (٥٦٩ هـ) ، والصغانى ، فيمتاز كتاباهما بأنهما مرتبان على حروف المعجم ، وقد جردا من الشواهد والاستطرادات ، فكانا أقرب الى التأليف المعجمى •

وبعد كتاب « الأضداد » يأتي كتاب « القلب والابدال » وقد كان علماء العربية أقل اختلافا في القلب والابدال منه في الأضداد • ويبدو أن هاتين الظاهرتين كانتا معروفتين عند الخليل ، وسيبويه ، الا أن مذهب البصريين فيهما على نحو ما صوره ابن جنى أن الكلمتين اذا تساوتا في التصريف فهما ليستا من باب القلب أو الابدال ، والا فان الأوسع تصرفا هى الأصل ، والثانية مقلوبة عنها ، أو متفرعة منها •

أما مذهب الكوفيين فانهم يأخذون بالقلب والابدال بصرف النظر عن كون الكلمتين متصرفتين أو غير متصرفتين • وقد اختلف العلماء أيضا في حروف الابدال ، فهي عند أبي على القالي اثنا عشر ، وجعلها ابن سيده ثلاثة عشر ، وبلغت عند صاحب التسهيل اثنين وعشرين حرفا • واشترط ابن جني وتابعه ابن سيده ، وبعض الباحثين المحدثين اتحاد المخرج بين اللفظين اللذين يقع فيهما الابدال الا أن ابن السكيت ، وأبا الطيب اللغوي لا يشترطان ذلك كما يبدو من كتابيهما •

والواقع أن اتحاد المخرج بين الحرفين اللذين يقع فيهما الابدال أمر معقول يؤيده علم الأصوات الحديث • الا أنني أرى وجوب الحذر في تطبيق هذه القاعدة لأن الابدال قد يقع في كلمة فيتحول أحد حروفها الى حرف آخر ، ويتحول هذا الثاني الى حرف جديد ليس بينه وبين الأول اتحاد في المخرج •

وأمثة ذلك كثيرة في لهجاتنا الدارجة • فمثلا انقلب صوت الراء غينا في لهجتي أهل الموصل ، وتكريت في العراق ، ثم انقلبت الغين واوا في بعض الكلمات وانقلبت الجيم دالا في بعض نواحي صعيد مصر ، وانقلبت القاف همزة في شمالي مصر وفي الشام •

أما كتاب ابن السكيت ، فلم يصل الينا منه الا الجزء الخاص بالابدال ، وفقد جزؤه الخاص بالقلب ، وقد أشار الى ذلك السيوطي ، ويدل عليه أيضا أن ابن السكيت يذكر في بعض كتبه كالاصلاح ، والألفاظ بعض الكلمات ، وكان يشير الى أنها مقلوبة ، ككلمة شاكي السلاح فقد قال انها مقلوبة عن شائك •

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه أقدم ما وصل الينا في هذا الموضوع ، ويبدو أنه كان أساسا لدراسة هذه الظاهرة عند علماء القرن الرابع من أمثال أبي على الفارسي ، وابن جني ، وغيرهما •

يدلنا على ذلك أن ابن جنى وعد بشرحه عندما تعرض لهذا الموضوع في كتابه الخصائص .

وكعادة ابن السكيت فى التصنيف لم يرتب أبوابه على نظام معين ، وكذلك فعل في ترتيب مادة كل باب ،وكثر استشهاده بالقرآن ، والشعر ، والأمثال ، وكثر عنده أيضا ذكر اللغويين والفصحاء .

وتوسع أبو الطيب اللغوى فأورد في كتابه (الابدال) ألفاظ كثيرة بحيث شملت ظاهرة الابدال كافة حروف المعجم .

وقسم كتابه الى أبواب وفصول . وحاول أن يسير على نظام معين، الا أنه لم يكن دقيقا في ترتيبه للألفاظ ضمن كل فصل .

أما أحمد فارس الشدياق فمذهبه في القلب والابدال يختلف عن مذهب القدماء كابن السكيت ، وأبى الطيب . فقد بنى كتابه (سر الليال في القلب والابدال) على نظرية الأصل الثنائى للكلمة . فكان يأتي بالأصول الثنائية ، ثم تتبع معانيها في الألفاظ الثلاثية المتفرعة منها بزيادة حرف من الآخر . وكان يأتى بعد كل مادة ثنائية بمقلوبها ، ويفعل بها نفس ما فعل بالأصل . ومن الواضح أن هذا لا يمت بصلة الى القلب والابدال . بل هو أقرب الى نظرية التصاقب عند ابن جنى ، أو الأصل الثنائي للفظة العربية كما أشرنا .

هذه هي أهم كتب ابن السكيت التى وصلت الينا .

وقبل أن نتحدث عن مصادره التي استقى منها مادة هذه الكتب ، وقبل أن نتحدث عن منهجه اللغوى فيها ، يجدر بنا أن نقف عند مسألة أثارها الدكتور أحمد مكى الأنصارى . فقد ذهب الى أن الفراء لم يكن كوفيا ، وانما كان مؤسس المدرسة البغدادية التى تقوم على أساس الانتخاب والتوفيق بين المدرستين .

ويهمنا هنا أن نناقش رأي الدكتور الأنصاري هذا ، لأن الفراء شيخ ابن السكيت ، وقد تأثر به تأثرا واضحا ، وخاصة فى مسائل النحو ومصطلحه ، وكان عماده كلما احتاج الى تعليل لغوى أو نحوى .

فاذا أنكرنا كوفية الفراء ، فان ذلك يؤدى الى انكار كوفية ابـن السكيت أيضا • وقد بنى الدكتور / الأنصارى رأيه هذا على أنـه اجتمعت في الفراء خصائص المدرستين ، فهو ينزع أحيانا نحو الكوفيين فيتحاشي التقدير ، ويقيس أحيانا على الشاهد الواحد ، ويبتعد عن منهج الفلاسفة والمتكلمين •

وينزع في أحيان أخرى نحو البصرين ،فيلجأ الى التقدير والتأويل، ولا يقيس على الشاهد الواحد ، بل لا يعتد بالسماع ولو كان سمـعه بنفسه ، وينتهج منهج الفلاسفة والمتكلمين ، فيعتـد بالقياس ، وكان يخطىء العرب ، وبعض القراءات السبعية •

هذه هى الحجج التى استند اليها الدكتور / الأنصارى في دعواه أن الفراء خرج عن مدرسة الكوفة ، وأسس مدرسة جديدة هى المدرسة البغدادية • وهي حجج أراهـا لا تستقيم ، ولا تثبـت أزاء المناقشة المنطقية• فمظاهر النزعة البصرية التى زعم أنها وجدتعند الفراء لا يمكن أن تكون دليلا على ما ذهب اليه ، فأخذه بالتقدير والتأويل لا ينكـر ، ولكن هل كان الفراء الكوفي الوحيد الذى أخذ به ؟ ان الفراء كما نعلم كان تلميذا لبعض البصرين كما كان أستاذه الكسائي من قبل • بـل لقد كان الكسائي نفسه متأثرا بمدرسة البصرة تأثرا كبيرا ، فكان يأخذ بالقياس ويستعمله ، وكانت له ضوابط وأصول، كما كانت للفراء وغيره، والا فكيف يمكن أن نفهم أن هناك نحو بدون ضوابط وأصول • أمـا تأثر الفراء بمنهج الفلاسفة والمتكلمين فكان ذلك طبيعيا من رجل اتصل بالمعتزلة في شخص رئيسهم ثمامة ، واتصل ببلاط المأمون الذي كـان مزدحما بالفلاسفة والمترجمين لعلوم الأوائل ، فروح العصر كانت تفرض عليه ذلك • أما ان الفراء خطأ بعض القراءات السبعية • فلا يمكن القول به ، والدكتور الأنصاري نفسه لم يستطع أن يورد مثلا واحدا على ذلك من كتب الفراء • وكل ما أورده رواية لصاحب خزانة الأدب زعم فيها أن الفراء خطأ قراءة حمزة قوله تعالى :

« ما أنتم بمصرخي » بخفض الياء ، وقد أثبت الدكتور الأنصاري نفسه أن هذه التخطئة ليست موجودة فى تفسير الفراء لهذه الآية في كتابه (معاني القرآن) ، فكيف يمكن اذن أن نصدق رواية صاحب الخزانة ، وبينه وبين الفراء أكثر من تسعة قرون ؟

ليس من شك عندي في أن الفراء كان شيخا من شيوخ مدرسة الكوفة ، بيد أنه كان كأستاذه الكسائي نقلة كبيرة في تاريخ هذه المدرسة ، شهدت عنده الدراسات النحوية واللغوية تطورا عظيما ، وكانت كتبه قدوة لمن جاءوا بعده ، وخاصة عند ثعلب •

أما مصادر ابن السكيت فهى في حقيقتها مصادر الكوفيين بصورة عامة ، والفراء بصفة خاصة • ويمكن اجمالها فيما يلى :

١ ــ القرآن الكريم : وكتبه مليئة بالشواهد القرآنية ، وهو لا يترك فرصة سانحة الا استشهد فيها بالقرآن الكريم •

٢ ــ ما رواه عن الشيوخ الذين سبقوه ، بصريين كانوا أو كوفيين ، سمع منهم أو لم يسمع ، فمن الكوفيين الكسائي ، والفراء ، وأبو عمرو الشيبانى ، واللحيانى ، وابن الأعرابى • ومن البصريين الخليل ، ويونس ابن حبيب ، والأصمعى ، وأبو زيد ، وأبو عبيدة ، والأثرم •

٣ ــ ما رواه عن فصحاء العرب الذين التقى بهم في بوادى العرب ، أو الذين كانوا يفدون الى بغداد ، ومن الفصحاء الذين تردد ذكرهم في كتبه أبو مهدى ، ومنتجع بن نبهان الكلابى ، وأبو تمام ، وغنية الكلابية ، وقرية الأسدية ، وأبو صاعد الكلابى •

٤ ــ الشعر العربي جاهليه واسلاميه ، وكذلك الأمثال ، وكتبه تزخر بالشواهد من الشعر والأمثال ، ويبلغ عدد الشعراء فى اصلاح المنطق مثلا مائة وثلاثة وأربعين ، وفي الألفاظ ثلاثمائة وثلاثة ، وفي الأضداد أكثر من ستين ، وفي القلب والابدال سبعة وثمانين •

٥ ــ القراءات : وطريقه اليها الفراء ، ثم الكسائي •

٦ ــ الحديث : وقد استشهد به في مواضع كثيرة من كتبه •

أما منهجه فهو منهج الكوفيين أيضا ، اعتداد بالرواية والنقل ، وبالقراءات واعتزاز بها وتغليبها على المقاييس المنطقية ، ويمكننا تلخيص طريقته في التأليف فيما يلى :

١ ــ كان فى تأليفه (اصلاح المنطق) وهو من أوائل كتبه كما قلنا شديد الاضطراب ، سواء في تبويبه أو في معالجة كل باب ، ولكنه تخلص من هذا الاضطراب في تآليفه المتأخرة كالألفاظ ، والقلب والابدال •

٢ ــ وكان مولعا بالاستشهاد ، وهو يبحث عن الشواهد في القرآن ، والحديث ، والشعر ، والأمثال ، فحفظ لنا ثروة أدبية ولغوية يمكن أن نستعين بها في اعادة استقرائها ، والافادة منها في اعادة النظر فى بعض قواعد اللغة •

٣ ــ لانجد عنده تلك العناية التي نجدها عند بعض المتأخرين من ترتيب المادة اللغوية على حروف المعجم •

٤ ــ وكان حريصا على نسبة كل قول الى قائله ، وكل رواية الى راويها ، وقد حفظ لنا أقوال وآراء بعض الشيوخ كأبي عمرو الشيبانى ، وابن الأعرابى ، وأبي زيد ، والكسائى ، ممن لم تصل الينا مصنفاتهم • وهو بذلك يحرص كل الحرص على الأمانة العلمية •

ولا تتجلى كوفية ابن السكيت في مصادره ، ومنهجه فحسب ، بل أيضا في مصطلحه فقد استعمل مصطلحات الكوفيين بصورة عامة ، والفراء بصفة خاصة • ومن هذه المصطلحات :

ألقاب الاعراب : كالرفع ، والنصب ، والجر ، ومصطلحات نحوية أخرى كحروف الصفة أي حروف الجر ، والفعل الواقع ، وغير الواقع أي المتعدى واللازم ، وما لم يسم فاعله أي المبنى للمجهول ، والفعل المستقبل أي المضارع ، والجحد أي النفي ، والمفسر أي التمييز ، وغير ذلك من المصطلحات •

وما يدل على اعتماده على الفراء انه ينقل كثيرا من ضوابطه وأصوله ، وتعليلاته النحوية واللغوية في كتبه ، وخاصة في (الاصلاح) •

وبعد ، فهذا هو ابن السكيت في حياته ، وفي آثاره ، وفيما قدم للعربية من جهود خصبة مثمرة ، فأين نستطيع أن نضعه بين علماء العربية ؟ .

والواقع أنه كغيره ممن سبقوه أو لحقوه ، ممن وضعوا الأساس الراسخ لدراسة العربية ، واستنباط قواعدها ، واستخلاص خصائصها فى تلك الدراسات التى بلغت أوجها عند أبى على الفارسي ، وابن خالويه ، وابن جنى ، وأحمد بن فارس في القرن الرابع الهجرى . فقد كانت كتب الخليل ، وسيبويه ، والكسائي ، والفراء ، والأصمعي ، وأبى عبيدة ، وأبى زيد وأبى عمرو الشيبانى ، وابن الأعرابى ، وابن السكيت، والمبرد، وثعلب ، أصولا لتلك الدراسات . وحسبنا أن نشير الى أن كتب ابن السكيت : الألفاظ ، والأضداد ، والقلب والابدال أقدم ما وصل الينا في هذه الموضوعات اللغوية فضلا عن كتاب (اصلاح المنطق) الذى كان له ذلك الأثر البعيد المدى الذى تحدثنا عنه ، وحسبنا أن نشير أيضا الى أن بعض كتب ابن السكيت كان عمدة علماء العربية من أمثال ابن جنى في دراسة بعض ظواهر اللغة ، كظاهرتى القلب والابدال .

هذه هى غاية جهدي . وما أبرىء نفسي من الخطأ ، فنفس الانسان بطبيعتها معرضة للزلل والخطأ . وسبحان من لا يخطىء .

والله ولى التوفيق ،،،

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

(١) التبريزي ـ تهذيب اصلاح المنطق ، مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٥١٢ لغة .

(٢) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، (مصورة) ١٢١٩٥ ح .

(٣) الراغب الأصفهاني ـ خلاصة اصلاح المنطق ، مخطوطة المكتبة التيمورية ـ دار الكتب المصرية ١٣٧ لغة تيمور .

(٤) ابن السيرافي ـ تفسير أبيات اصلاح المنطق ، مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية على ميكروفيلم عن نسخة مكتبة كوبر يلي برقم ١٢٩٦

(٥) ابى شاكر الكتبى ـ عيون التواريخ ، مصورة دار الكتب رقم ١٤٩٧ تاريخ .

(٦) ابو الطيب اللغوى ـ مراتب النحويين ، مخطوطة دار الكتب رقم ١٢٤٧٢ ح .

(٧) ابن عبد المجيد اليمنى ـ اشارة التعيين ، مخطوطة دار الكتب المصرية.

(٨) العينى ـ عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٨٢٠٣ ح .

(٩) الفراء ـ معاني القرآن،مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٤٧٧١ تفسير.

(١٠) ابن قاضي شهبة ـ طبقات النحاة واللغويين ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١١٩٨٨ ح

(١١) الوزير المغربى ـ مختصر اصلاح المنطق ، مصورة عن نسخة المنصورة بالفوتستات ، دار الكتب المصرية رقم ٧٦٢٧ ادب .

(١٢) يوسف خليف ـ حياة الشعر فى الكوفة حتى نهاية القرن الثانى للهجرة ، مخطوطة مكتبة الجامعة رقم ١١٥

ثانيا ـ المطبوعات :

(١٣) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ، ترجمة محمد عبد الهادى أبي ريدة ، مطبعةلجنة التاليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م.

(١٤) ابراهيم انيس ـ من اسرار العربية ،مطبعة لجنة البيان العربى ـمكتبة الانجلو المصرية ١٩٥١ م .

(١٥) ابن الاثير ـ التاريخ الكامل ، ليدن ١٨٦٥ م .

(١٦) احمد امين ـ ضحى الاسلام،لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٣٥م.

(١٧) احمد فارس الشدياق ـ سر الميال في القلب والابدال ، استانبول ١٢٨٤ هـ .

(١٨) احمد مكي الانصاري ـ ابو زكريا الفراء ، دار المعارف ـ مصر١٩٦٢م.

(١٩) ادوارد جرجس ـ انظر فيليب حتى .

(٢٠) اسماعيل باشا البغدادى ـ ايضاح المكنون ، المطبعة المرتضوية .

(٢١) هدية العارفين ، استانبول ١٩٥٥ م .

(٢٢) الاصمعي ـ نسب اليه كتاب الأضداد ، نشره اوغست هفنر ، بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩١٢ م .

(٢٣) الأنبارى ـ ابـو البركات ـ الانصاف في مسائل الخلاف ، مطبعـة الاستقامة القاهرة ١٩٤٥ م .

(٢٤) نزهة الالباء في طبقات الأدباء ـ مصر ١٢٩٤ هـ . ١٢٩٤ هـ .

(٢٥) الانبارى ـ ابو بكر ـ الاضداد ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، الكويت ١٩٦٠ م .

(٢٦) بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربى ، ترجمة عبـد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر .

(٢٧) البطليوسي ـ الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ، بيروت ١٩٠١ م .

(٢٨) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٣٠ .

(٢٩) الثعالبى ـ فقه اللغة ، بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٣ م.

(٣٠) ثعلب ـ الفصيح ، بتحقيق ج . بارت ليبزج ١٨٧٦

(٣١) جبرائيل جبور ـ انظر فيليب حتى .

(٣٢) جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلامي ، راجعـــه الدكتور حسين مؤنس ، مصر ١٩٥٨ م.
(٣٣) ابن جنى ـ الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ م.
(٣٤) الجواليقى ـ المعرب ، طبعة اوربا ، ليسيا ١٨٩٧
(٣٥) الجوهري ـ تاج اللغه . وصحاح العربية ، دار الكتاب العربى . مصر
(٣٦) حاجي خليفة ـ كشف الظنون ، مطبعة وكالة المعارف الجليله بتركيا ١٩٤٣ م وكذلك طبعة اوربا .
(٣٧) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسى ،مكتبة النهضة ـ مصر ١٩٤٥ م
(٣٨) حسين نصار ـ المعجم العربى ، مصر ١٩٥٦ م
(٣٩) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ م.
(٤٠) الخطيب التبريزى ـ تهذيب اصلاح المنطق ، اشراف صالح علـى ، مصر ١٩٠٧ طبعة ناقصة .
(٤١) تهذيب الألفاظ نشره لويس شيخو مع بعض الاضافات، بعنوان كنز الحفاظ فى تهذيب الألفـــاظ ـ المطبعـــة الكاثوليكيـــة بيروت ١٨٩٥ م .
(٤٢) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مصر ١٩٤٨ م
(٤٣) الخوانسارى ـ روضات الجنات ، روضات ١٣١٥ هـ
(٤٤) ابن خير ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه ، نشره الشيخ فرنشكة زيدين وتلميذه خليان زيارة طرغوة ، طبع مدينة سرقسطة ١٨٩٣ م.
(٤٥) دائرة المعارف الاسلامية ـ الترجمة العربية .
(٤٦) ابن دريد ـ الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعـــة السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م
(٤٧) ابن الدهان ـ الأضداد ، المجموعة الأولى من الكتاب الرابع من نفائس المخطوطات ، نشره محمد حسن آل ياسين ، بالنجف ١٩٥٣ م.
(٤٨) الزبيدى ـ طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد ابو الفضـل ابراهيم ، مطبعة مصر ، محمد سامى الخانجى ١٩٥٤ م.
(٤٩) الزجاجى ـ مجالس العلماء ، الكويت ١٩٦٢ م.
(٥٠) زيد بن رفاعة ـ جوامـــع اصلاح المنطق ، مطبعة دائـــرة المعارف العثمانية، ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٤ هـ .

(٥١) السجستاني ـ الأضداد ، نشره اوغست هفنر ، بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩١٢ م.
(٥٢) ابن السكيت ـ اصلاح المنطق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ .
(٥٣) الأضداد ، نشره اوغست هفنر . بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩١٢ م.
(٥٤) الألفاظ ، نشره لويس شيخو مع بعض الاضافات والهوامش من تهذيب التبريزي بعنوان مختصر تهذيب الألفاظ ،بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين .
(٥٥) شرح ديوان الخطيئة ، حققه نعمان امين طه ، وطبع مع شروح أخرى بالقاهرة ١٩٥٨ م.
(٥٦) شرح ديوان عروة بن الورد ، بعناية ابن ابي شنب الجزائر ١٩٢٦ م.
(٥٧) شرح ديوان قيس بن الخطيم ، نشره كوالسكى ، ليبزج ١٩١٤ م. وطبعه مع شروح اخرى ناصر الدين الأسد ، القاهرة ١٩٦٢ م.
(٥٨) القلب والابدال ـ نشره اوغست هفنر مع كتب اخرى للأصمعى بعنوان الكنز اللغوي في اللسان العربى بيروت ١٩٠٣ م.
(٥٩) سيبويه ـ الكتاب ، بولاق ١٣١٦ هـ .
(٦٠) ابن سيده ـ المخصص ، المطبعة الأميرية بولاق ١٣١٨ هـ .
(٦١) السيرافي ـ اخبار النحويين البصريين ، تحقيق طه محمد الزينى ، ومحمد عبد المنعم خفاجى ، مطبعة الحلبى ـ مصر ١٩٥٥ م.
(٦٢) السيوطى ـ بغية الوعاة ، نشره محمد امين الخانجى ، مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ .
(٦٣) المزهر ، تحقيق محمد احمد جاد المولى ، ومحمد ابو الفضل ، وعلى محمد البجيرى ، مطبعة عيسي الحلبى ١٩٥٨ م.
(٦٤) الصغاني ـ الأضداد ، نشره اوغست هفنر ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩١٢ م.
(٦٥) صلاح الدين الصفدى ـ الوافى بالوفيات ، الأول والثانى استانبول ١٩٣٠ م. والثالث في دمشق ـ المطبعة الهاشمية ١٩٥٣ م.
(٦٦) الطبرى ـ تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ـ مصر ١٣٢٦ هـ
(٦٧) ابن الطقطقي ـ الفخرى في الآداب السلطانية ، مطبعة الموسوعات ، مصر ١٣٠٧ هـ .

(٦٨) ابو الطيب اللغوى ــ الابدال ، تحقيق عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ــ دمشق ١٩٦٠ م .
(٦٩) عبد القادر البغدادى ــ خزانة الادب ، مصر ١٩٢٩ م.
(٧٠) عبد الله امين الاشتقاق ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ــ مصر ١٩٥٦ م .
(٧١) ابو العلاء المعرى ــ رسالة الغفران ، تحقيق الدكتورة بنت الشاطيء ، مصر دار المعارف ١٩٥٠ م.
(٧٢) علي عبد الواحد وافي ــ فقه اللغة ، لجنة البيان العربى ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٢ م.
(٧٣) ابن العماد ــ شذرات الذهب ، مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٠ هـ .
(٧٤) ابن فارس ــ الصاحبي في فقه اللغة ، المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٢٨ هـ .
(٧٥) مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون . دار احياء الكتب العربية ١٣٦٦ هـ .
(٧٦) ابو الفداء ــ تاريخ أبى الفداء ــ مصر ١٣٢٣ هـ .
(٧٧) ابو الفرج الأصفهانى ــ مقاتل الطالبيين ــ المطبعة الحيدرية ــ النجف الأشرف ١٣٥٣ هـ .
(٧٨) فيليب حتى وآخرون ــ تاريخ العرب . بيروت ، دار الكشاف ١٩٦١ م.
(٧٩) ابن قتيبة ــ ادب الكاتب ، تصحيح محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، مصر ١٣٤٦ هـ .
(٨٠) قدامة بن جعفر ــ جواهر الالفاظ ،مطبعة السعادة مصر ١٩٣٢ م.
(٨١) القفطى ــ انباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ــ القاهرة ١٩٥٥ م.
(٨٢) مجمع اللغة العربية ــ البحوث والمحاضرات . مؤتمر ١٩٦٢ م .
(٨٣) المرزباني ــ معجم الشعراء ، مكتبة القدسي ١٣٥٤ هـ .
(٨٤) مرمرجى الدومنكى ــ هل العربية منطقية ، طبعة لبنان .
(٨٥) المقانى ــ تنقيح المقال في أحوال الرجال ، المطبعة المرتضوية النجف الأشرف ١٣٤٢ هـ .
(٨٦) مهدى المخزومى ــ مدرسة الكوفة ــ مطبعة دار المعرفة ــ بغداد ١٩٥٥ م.
(٨٧) النجاشي ــ الرجال ، الهند ١٣١٧ هـ .

(٨٨) ابن النديم ـ الفهرست ، نشره جوستاف فليجل ، ليبزج ١٨٧٢ م.
(٨٩) الهمذاني ـ الألفاظ الكتابية ، تصحيح لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٩ م.
(٩٠) اليافعي ـ مرآة الجنان ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ هـ .
(٩١) ياقوت الحموى ـ معجم الأدباء ، راجعته وزارة المعارف العمومية ـ القاهرة ١٩٣٨ م.
معجم البلدان ، ليبزج ١٨٧٣ م.
(٩٣) اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ، النجف الأشرف ١٣٥٨ هـ .
(٩٤) يوهان فك ـ دراسات في اللغة العربية واللهجات والأساليب ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مصر ـ مكتبة الخانجي ١٩٥١ م.

فهرست الاعلام

يستثنى من هذا الفهرست اسماء الشعراء الذين استشهد ابن السكيت بشعرهم المذكورة اسماؤهم في الصفحات ٢٦٩ ، ٣٠٢ الى ٣٠٨

الاسم	الصفحة

السين

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الغين

الفاء

القاف

الكاف

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

فهرس البلدان

(الارقام التي بين القوسين تدل على تكرار الرقم)

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

فهرس القبائل والامم والجماعات

(الارقام التي بين القوسين تدل على تكرار الرقم)

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

فهرس الكتب

(لم نذكر فى هذا الفهرست كتب ابن السكيت المثبتة في الفصل الثالث من الباب الاول ولا الكتب المثبتة فـي ثبت المصادر ـ الرقم الموضوع بين القوسين يدل على تكرار الرقم) .

★ ★ ★

فهرست الموضوعات